

جامعة النجاح الوطنية
كلية الدراسات العليا

الحياة الاقتصادية والاجتماعية للجالية الألمانية في لواء القدس (1867-1918م/1284-1336هـ)

اعداد

مجدي واصف محمد قبها

اشراف

د. محمد الخطيب

قدمت هذه الأطروحة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في التاريخ
بكلية الدراسات العليا في جامعة النجاح الوطنية في نابلس، فلسطين.

2020م

الحياة الاقتصادية والاجتماعية للجالية الألمانية في لواء القدس (1867-1918م/1284-1336هـ)

اعداد

مجدي واصف محمد قبها

نوقشت هذه الأطروحة بتاريخ 2020/02/06م، وأجيزت.

أعضاء لجنة المناقشة

التوقيع

1. د. محمد الخطيب / مشرفاً رئيسياً
.....
2. د. غسان محيبيش / متحناً خارجياً
.....
3. د. عامر القبيج / متحناً داخلياً
.....

الإهداء

إلى أرواح شهداء فلسطين الأكرم منا جميعاً.

إلى والدتي اللّذين غرسا في نفسي فضيلة الكفاح.

إلى إخوتي الأحبّة... سندي في الحياة.

إلى هديل...

الشكر والتقدير

أشكر الله تعالى وأحمده بأن أنعم عليّ اتمام هذا البحث، وإذ أخطو خطوات حثيثة بوضع اللمسات الأخيرة في إنجازها، فإنني أتقدم بالشكر والتقدير الى كل من ساهم في أخراج هذا العمل الى النور، وأخص بالذكر أستاذي ومشرفي الدكتور محمد عثمان الخطيب، الذي شرفني بقبوله الإشراف على هذه الرسالة وقدم لي كل عون لإنجازها، واطلب من الله ان يمتعه بالصحة والعافية، وإلى اساتذتي أعضاء لجنة المناقشة الأفاضل لقبولهم مناقشة رسالتي والحكم عليها، وأبداء ملاحظاتهم وتوجيهاتهم القيمة، فلهم مني جزيل الشكر والتقدير والاحترام.

والشكر موصول إلى أعضاء الهيئة التدريسية في قسم التاريخ- الدراسات العليا، وإلى الأستاذة تمار مشعل، والأستاذ محمد عرعراوي لما قدماه لي من مساندة ودعم لإنجاز هذه الأطروحة، و إلى موظفي مكتبة جامعة النجاح الوطنية، الأستاذ عبدالله نصر، والأستاذ فايز سلوم، الذين ساعداني في الوصول الى العديد من المراجع والكتب العلمية.

الإقرار

أنا الموقع أدناه، مقدّم الرسالة التي تحمل العنوان:

الحياة الاقتصادية والاجتماعية للجالية الألمانية في لواء القدس (1867-1918م/1284-1336هـ)

أقرّ بأنّ ما اشتملت عليه هذه الرسالة إنّما هو نتاج جهدي الخاص، باستثناء ما تمّت الإشارة إليه حيثما ورد، وأنّ هذه الرسالة كاملة، أو أيّ جزء منها، لم يقدّم من قبل لنيل أيّ درجة علميّة، أو لقب علمي، أو بحث لدى أيّ مؤسسة تعليميّة أو بحثيّة أخرى.

Declaration

The work provided in this thesis, unless otherwise referenced, is the researcher's own work, and has not been submitted elsewhere for any other degree or qualification.

Student's Name:

اسم الطالب:

Signature:

التوقيع:

Date:

التاريخ:

الرموز والمختصرات

1- سجلات محكمة القدس الشرعية:

- أسم السجل، رقم السجل، التاريخ، الصفحة.
- مثال: القدس سجل 397، (1321هـ/1903م)، ص 143.

2- أرشيف القنصلية الألمانية في القدس (Archive of the German Consulate in Jerusalem) (AGCJ):

- اسم الأرشيف: اسم المجلد، رقم المجلد، التاريخ، الصفحة.
 - مثال: AGCJ,File 544,8,(1911AD/1329AH),p248 .
- ### 3- (الأرشيف العثماني) (BOA) Başbakanlık Osmanlı Arşivi :

- أ- شوارى دفتر (ŞD.) Şura-yı Devlet.
- ب- تصنيف قصر يلدز (Yıldız Tasnifi (Y) .
- ت- اوراق الباب العالي (BEO) Babıali Evrak Odası Evrakı .
- ث- اسم الأرشيف: اسم المجلد، رقم المجلد، التصنيف.
- ج- مثال: BOA, BEO, 3549, 266,130 .

فهرس المحتويات

الصفحة	الموضوع
ج	الإهداء
د	الشكر والتقدير
هـ	الإقرار
و	الرموز والمختصرات
ز	فهرس المحتويات
ط	الملخص
1	المقدمة
4	الفصل التمهيدي: دراسة في المصادر
5	أولاً: سجلات محكمة القدس الشرعية
7	ثانياً: الوثائق
13	الفصل الأول: الجغرافيا التاريخية للواء القدس (1867-1918م/1284-1336هـ)
14	التضاريس و المناخ
18	السكان
22	التقسيم الإداري للواء القدس العثمانية
27	الفصل الثاني: استقرار الجالية الألمانية ونموها في لواء القدس
28	الجزور الألمانية الأولى
53	رواد الهيكلين الألمان
71	الفصل الثالث: الاستيطان الألماني في لواء القدس
72	حجم الجالية الألمانية وطوائفها في لواء القدس
77	المستوطنات الألمانية ومراكز انتشار الجالية الألمانية في لواء القدس
80	الاستيطان الألماني في قضاء يافا
86	الاستيطان الألماني في مدينة القدس ومحيطها
99	الفصل الرابع: الحياة الاقتصادية للجالية الألمانية في لواء القدس
100	الزراعة
111	ملكيات الألمان

الصفحة	الموضوع
126	التجارة والحرف والصناعات
133	قطاع المواصلات
135	الضرائب
139	الوكالات
142	الديون والرهنون
148	البنوك
152	الفصل الخامس: الحياة الاجتماعية للجالية الألمانية في لواء القدس
153	التعليم
169	قطاع الصحة
178	دور العبادة والأوقاف
195	العلاقات الألمانية العربية
199	علاقات الألمان مع اليهود
205	النتائج
207	قائمة المصادر والمراجع
224	الملاحق
b	Abstract

الحياة الاقتصادية والاجتماعية للجالية الالمانية في لواء القدس
(1867_1918م/1284_1336هـ)

اعداد

مجدي واصف محمد قبها

اشراف

د. محمد الخطيب

الملخص

تُسلّط هذه الدّراسة الضّوء على الحياة الاقتصادية والاجتماعية للجالية الألمانية في لواء القدس في الفترة الواقعة ما بين (1284 - 1336هـ/1867 - 1918م)، والتي تم استخلاص معظم مادتها التاريخية من مصادها الأصلية كسجلات محكمة القدس الشرعية العثمانية، والوثائق الألمانية، التي تعود إلى فترة الدراسة. إضافة إلى الاعتماد على بعض المراجع العربية والأجنبية ذات الصلة المباشرة بالموضوع.

عرضت الدراسة الإطار الزمني والمكاني الخاص بلواء القدس، والتطور التاريخي لاستقرار الجالية الألمانية في المنطقة بدءاً من النصف الأول من القرن التاسع عشر الميلادي، حيث شكّلت افتتاح القنصلية الألمانية في مدينة القدس تحولاً جذرياً في العلاقات الألمانية العثمانية في فلسطين، لتحظى المؤسسات الألمانية في فلسطين بالصفة الرسمية، بحيث شكّلت القنصلية راعياً وداعماً مهماً للألمان.

ومع إصدار الدولة العثمانية قانون تملك الأجانب عام(1284هـ/1867م) أُتيح للأجانب بما فيهم الجالية الألمانية التملك في لواء القدس بشكل قانوني تحت مظلة المانيا وحمائيتها، وقد تركّز تملكهم في القدس، يافا، وبيت لحم، وسلّطت الدراسة على أهمية زيارة الإمبراطور الألماني مع زوجته ألوغستا فكتوريا لمدينة القدس كتنويع لهذه العلاقة وما رافق هذه الزيارة تدشين لعدد من العقارات كالكنائس، والمستشفيات والمباني التي عملت على ترسيخ النفوذ الألماني في فلسطين عامة والقدس خاصة.

كما تناولت الدراسة أهمية دور الهيكليين الالمان في عملية الاستيطان وبناء المستعمرات، فتم توضيح مراكز انتشار المستوطنات واهم منتجاتها، ونمط حياة المستعمرين داخلها.

كذلك تناولت الدراسة حجم الجالية الألمانية وطوائفها الدينية وممتلكاتها العقارية من أراضي ومصانع وبنوك ومدارس وغير ذلك، كإسهاماتها التعليمية، وإنجازاتها في القطاع الصحي ويظهر ذلك جلياً في تأسيسها للمرافق الصحية من مستشفيات، وصيدليات وغيرها، وإنشائها لدور العبادة ورصدها الأوقاف عليها، وختُمت الدراسة في توضيح طبيعة علاقة الجالية الألمانية مع المجتمع المحيط بها.

المقدمة

شهدت أُلوية فلسطين الثلاثة، عكا، نابلس والقدس، خلال الفترة الواقعة ما بين انسحاب الجيش المصري من بلاد الشام على أثر مؤتمر لندن عام (1256هـ/1840م)، وحتى نهاية الفترة العثمانية عام (1337هـ/1918م)، مجموعة من التحولات الاقتصادية، والاجتماعية، والسياسية التي أَلقت بظلالها على حقبتها التاريخية، ففي عام (1256هـ/1840م) عادت الدولة العثمانية إلى ولاياتها الشامية بما فيها فلسطين عودة الفاتحين، إلا أنها اصطدمت بالتركة الضخمة التي خلفها الحكم المصري في الفترة (1247_1256هـ/1831-1840م)، وفي مقدمتها فتح أبواب الأُلوية الفلسطينية بما فيها لواء القدس للتغلغل الأجنبي، بغية الظهور بمظهر التقدّم والحدّاث مقابل حكم العثمانيين المحافظ، ومن ثم الحصول على اعتراف الدول الأوروبية بسيطرته على بلاد الشام.

ووصلت الامتيازات الممنوحة للدول الأوروبية ذروتها في منح بريطانيا امتياز فتح قنصلية لها في مدينة القدس عام (1254هـ/1838م) وهو ما فتح الباب على مصراعيه أمام الدول الأوروبية للمطالبة بفتح قنصليات لها بالمدينة المقدسة، أسوة بالامتياز البريطاني حتى لا تتفرد بريطانيا دون غيرها بالسيطرة على مدينة القدس، ونتيجة لذلك فتحت فرنسا، والنمسا، وألمانيا، قنصليات لها بالمدينة.

وبفتح القنصلية الألمانية-البروسية- في القدس علم (1258هـ/1842م)، بدأ الحضور الألماني المباشر في لواء القدس، على الصعيدين الرسمي والشعبي، وأخذ يمارس دوره في حركة التغلغل الأجنبية التي تسارعت وتيرتها اقتصاديا واجتماعيا وغدت عبئاً ثَقِيلاً بغية تحقيق قدم السبق في التغلغل الثقافي، والديني، والصحي في مدينة القدس ولوائها، وبذلك نافست النفوذ الأوروبي وفي مقدمته البريطاني والفرنسي والنمساوي والإيطالي والروسي والإسباني والأمريكي، ولا تزال آثارها ماثلة للعيان حتى يومنا هذا بما خلفته من مشافي وكُنائس وأديرة، إذ لا يزال المستشفى الألماني قائماً في مدينة القدس ويزاول أعماله حتى اليوم.

ومما لاشك فيه أن حركة التغلغل الألمانية في لواء القدس، تنامت وتسارعت وتيرتها بصورة ملفته، وحقت إنجازات مادية، ومعنوية كبيرة في ظل تنامي قوة ألمانيا الفدرالية، بعد اتحاد ولاياتها عام (1287هـ / 1870م)، وظهورها كقوة عالمية مؤثرة في الساحة الدولية، وازدهار العلاقات الألمانية العثمانية بالميادين العسكرية، والإقتصادية، والسياسية.

وقد مارست الجالية الألمانية حياتها الإقتصادية، والإجتماعية في لواء القدس بصورة مختلفة عن الجاليات الأوروبية الأخرى، التي رأت فيها الدولة العثمانية عيونا استخبارية لتطلعاتها الإستعمارية، بينما لم تستعمر ألمانيا أي ولاية عثمانية أسوة بفرنسا وبريطانيا وإيطاليا، فمُنحتهم مزيداً من التسهيلات في شراء الأراضي وبناء المؤسسات الدينية والثقافية والإقتصادية ككنيسة الدباغة والمستشفى الألماني والمكتب التجاري والبريد والبنك الألماني وهو ما استفاد منه المستوطنين اليهود الحاملين للجنسية الألمانية.

وفي سبيل التعرف على حقيقة الجالية الألمانية، وعلاقاتها بالمؤسسة الرسمية الألمانية، والدولة العثمانية على الصعيدين الرسمي، والشعبي، والجاليات الأوروبية الأخرى، والأنشطة الإقتصادية، والإجتماعية، التي مارستها في لواء القدس؛ فقد تم اختيارها ميداناً للدراسة والبحث في حقبة زمنية محددة مدتها (50) سنة، وذلك ابتداء من صدور قانون تملك الاجانب عام (1284هـ/1867م)، الذي أتاح للأجانب تملك العقارات في اللواء، وكانت ألمانيا من أوائل الدول التي وقعت على ما جاء في القانون من شروط كي تتيح لرعاياها التملك العقاري المباشر، وانتهاءً برحيل الدولة العثمانية عن اللواء عام (1337هـ / 1918م) رحيلاً لا رجعة فيه، وقد وضع عنوان للدراسة "الحياة الاقتصادية والاجتماعية للجالية الألمانية في لواء القدس (1284_1337هـ/1867_1918م)"، وذلك بالإعتماد على المصادر المحلية الأولية للواء وفي مقدمتها سجلات المحاكم الشرعية، ودفاتر الطابو، والأرشيف العثماني في إستانبول - تركيا، والمصادر العربية، والأجنبية، ووثائق القنصلية الألمانية.

وقد جاءت الدراسة في خمسة فصول وفصل تمهيدي، تخللها مجموعة من الجداول والخرائط التوضيحية، حيث خصص الفصل التمهيدي منها لدراسة أهم المصادر التي تم

الإعتماد عليها في هذه الدراسة، بينما أفرد الفصل الأول لدراسة الجغرافية التاريخية للواء القدس وتوضيح التقسيم الإداري، ثم تحديد حدوده جغرافياً، كما سلط الضوء على طوائف السكان في اللواء.

وكرّس الفصل الثاني للحديث عن استقرار الجالية الألمانية ونموها داخل لواء القدس، وإظهار الجذور الأولى للجالية ابتداءً من تأسيس القنصلية مروراً بإصدار القوانين التي أتاحت للأجانب بما فيهم الألمان التملك داخل اللواء، وإبراز أهم رواد الهيكليين الألمان الذين قدموا إلى فلسطين وساهموا في تثبيت دعائم الوجود الألماني داخل اللواء.

كما تطرّق الفصل الثالث إلى الإستيطان الألماني داخل اللواء فأظهر حجم الجالية الألمانية وانتمائهم المذهبي و طوائفهم الدينية، كما بين أهم المستوطنات الألمانية التي شيدها داخل اللواء وتحديد مراكز انتشارهم فيها.

وأشار الفصل الرابع إلى الحياة الإقتصادية التي مارستها الجالية الألمانية داخل لواء القدس، فتتطرق الحديث إلى الزراعة بمختلف أنواعها وأهم المزروعات التي عمل بها الألمان داخل مستوطناتهم ومساهماتهم وإنجازاتهم الزراعية، وأهم ملكيات الألمان التي امتلكوها، كما أشار إلى النشاط الإقتصادي من تجارة وحرف وصناعات وضرائب ووكالات تجارية وديون ورهونات وقروض وبنوك.

وأفرد الفصل الخامس لدراسة الحياة الإجتماعية للجالية الألمانية داخل اللواء فقد سلط هذا الفصل الضوء على أهم المراكز العلمية كالمدارس، ثم تطرق إلى الحديث عن قطاع الصحة وإبرز أهم المستشفيات الألمانية، ودور العبادة والأوقاف والمقابر، ثم أظهر طبيعة العلاقات الألمانية العربية - اليهودية.

الفصل التمهيدي

دراسة في المصادر

أولاً: سجلّات محكمة القدس الشرعيّة

تكمّن أهميّة سجلّات محكمة القدس الشرعيّة العثمانية في أنّها أقدم السجلّات المخطوطة في العصر العثمانيّ، إذ تكشف عن جوانبَ متعدّدة من الحياة اليومية لسكان مدينة القدس، فهي إحدى محاكم بلاد الشام المركزية، فهي تشتمل على حجج شرعية، تتعلّق بمدنٍ وقرى، وتغطّي مساحاتٍ مختلفةً من فلسطين عامّة كما تحتوي في ثناياها على تفاصيلٍ مهمّةٍ عن الحالة الاجتماعيّة والدينيّة والعمرانيّة والسياسيّة والاقتصاديّة والإداريّة لمدينة القدس وجوارها في مختلف الفترات، وأصبحت المحكمة محلّ ثقة السكّان في المتصرفيّة بمختلف طوائفهم وملهم، وفي مقدمتهم الألمان، الذين أقبلوا على تسجيل أملاكهم فيها، ويأتمرون بحكم القاضي الشرعيّ.

ومما يميّزها أيضاً، تجاوزُها البعدَ الجغرافيّ لمدينة القدس، ما جعلها تتناول القرى والأرياف والمدن في كامل حدود اللواء، حيث ذكرت بعض السجلّات أملاك الألمان في يافا والقرى المحيطة بها، مثل أملاك بركم (Bergheim)، في قرية أبو شوشة⁽¹⁾، وأملاك كريستوف هوفمان (Christoph Hoffmann) في قرية اليهودية⁽²⁾.

وبذلك شكّلت السجلّات العمودَ الفقريّ للدراسة؛ لما احتوت عليه من معلومات ذات طابعٍ محليٍّ وشموليٍّ وموضوعيٍّ، نظراً للرقابة التامّة عليها من الدولة، ما مكّن الطوائف غير المسلمة من إعطائها الثقة بها، كما ذكرت سابقاً، ومن ناحية أخرى، شكّلت السجلّات مادّةً خصبةً عن الطائفة الألمانيّة، ودورها في اللواء، إذ درجت العادة على استخلاص المعلومات من

* أبو شوشة: قرية عربية، تقع على بعد نحو 8 كم إلى الجنوب الشرقيّ من مدينة الرملة، ويبلغ ارتفاعها 200م عن سطح البحر، وهي من قرى ناحية الرملة، كان لموقعها الجغرافيّ منذ القدم أهميّة كبيرة، لوقوعها على الطريق القديم بين المنطقة الجبلية والسهل الساحليّ؛ لأنّها نشأت فوق تلّ جازر، ذي الأهمية الاستراتيجية. بلغ عدد سكانها في (1288هـ/1871م) حوالي 3500 نسمة. شراب، محمد، معجم، ص 95-96، نعمة الله، إبراهيم، قضاء، ص 15.

(1) القدس سجلّ 379، (1307هـ/1890م)، ص 71، سجلّ 384، (1309هـ/1892م)، ص 37-39.

** قرية اليهودية: تقع في الجهة الشرقية من يافا، على بعد (13) كم، ويقع بالقرب منها مطار اللد، وعرفت "بالعباسية" إكراماً لذكرى شيخ يدعى العباس مدفون هناك، من أشجارها الحمضيات والزيتون، دمرها الصهاينة عام 1948م، وأقاموا عليها مستعمرة "يهود". الدباغ، بلادنا، ج 1، ق 1، ص 277-278، شراب، محمد، معجم، ص 515-516.

(2) القدس سجلّ، 397، (1321هـ/1903م)، ص 143.

المصادر الأجنبية، وخصوصاً الألمانية منها، ونظراً لما تضمّنته من معلومات قيّمة وثريّة امتازت بها، جعلت في مقدّمة المصادر الرئيسة للدراسة، ويمكن تسليط الضوّء على هذه الجوانب كما يأتي:

الجانب الاجتماعيّ: زوّدتنا سجلّات محكمة القدس الشرعيّة بمعلومات مختلفة ذات طابع اجتماعيّ؛ إذ تحدّثت عن السكّان وأديانهم من مسلمين، ومسيحيّين، ويهود، وأهمّ الجاليات التي أقامت في لواء القدس، خاصّة الألمانية منها، وتحدّثت عن العلاقة السائدة بين شرائح السكّان من ألمان، وعرب، ومسيحيّين، ويهود، وتطرّقت إلى أهمّ المناسبات الدينيّة والاجتماعيّة، وقدّمت معلومات عن قضايا حصر الإرث، والوكالات الشرعيّة، وأهمّ الامتيازات التي تمتعت بها الطوائف غير الإسلاميّة، التي يعدّ الألمان مكوّناً أساسيّاً لها، وأظهرت كذلك علاقات الألمان مع بعضهم بعضاً، وعلاقاتهم مع غيرهم من الطوائف الأخرى، وتحدّثت عن المؤسسات الصحيّة، والخدمات التي تقدّمها للسكّان، وأهمّ المؤسسات التعليميّة التي شيّدها الألمان، وأماكن انتشارها، وعن نوعية التعليم، وأشكاله، وأسماء بعض المدرّسين، كما أمدّتنا بمعلومات وافرة عن طوائف الألمان، ومراكز انتشارهم ووجودهم في القدس والمتصرفيّة⁽¹⁾.

الجانب الدينيّ: كما اهتمّت السجلّات بإبراز الحياة الدينيّة للطائفة الألمانية في لواء القدس، من خلال تسليط الضوّء على أهمّ الأماكن الدينيّة: كالكنايس والأديرة، كما أبرزت مسألة الوقف بأنواعه وكلّ ما يتعلّق به، ابتداءً من عمليّة تسجيل الوقف، وحدوده، ونوعه، وطرق الانتفاع به، والقائمين عليه: من استبدال، ومحاسبية، ونظارة، وتولية، وغيرها من المهمّات المنوطة به، حيث كان الوقف ذا أهميّة كبيرة من الناحية الاجتماعيّة والاقتصاديّة للجالية الألمانية في مدينة القدس وجوارها⁽²⁾.

(1) انظر: ص 72، 153، 195. القدس سـجلّ 368، (1294هـ/1877م)، ص 27-28، سـجلّ 379، (1307هـ/1890م)، ص 17، سـجلّ 388، (1313هـ/1895م)، ص 35، سـجلّ 390، (1314هـ/1896م)، ص 42، سـجلّ 397، (1323هـ/1905م)، ص 87، ص 105، القدس سـجلّ 400، (1324هـ/1906م)، ص 47-48.

(2) انظر: ص 178. القدس سـجلّ 379، (1308هـ/1891م)، ص 187، سـجلّ 383، (1311هـ/1894م)، ص 144، سـجلّ 388، (1313هـ/1895م)، ص 23-24، سـجلّ 395، (1318هـ/1900م)، ص 69، سـجلّ 397، (1322هـ/1904م)، ص 35، القدس سـجلّ 403، (1328هـ/1910م)، ص 96-97.

الجانب الاقتصادي: أمدّتنا السجّلات بمعلوماتٍ قيّمةٍ حول الحياة الاقتصادية، التي مارسها الجالية الألمانية داخل اللواء، اشتملت على أشكال الملكيات التي تعاملت بها الطائفة، كملكيّة الأراضي وأنواعها، وملكيّاتهم العقاريّة المختلفة، وإلى النشاط الزراعيّ المعمول بها، وبالمعاملات التجارية من وكالاتٍ، وبيعٍ، ورهنٍ، وقروضٍ، وديونٍ، وبيّنت أهمّ التجار الألمان، وأهمّ البنوك التي أنشأوها (1).

الحركة العمرانيّة: سلّطت السجّلات الضوّة على بعض مظاهر الحركة العمرانيّة داخل القدس بشكلٍ خاصٍّ، وداخل اللواء بشكلٍ عامٍّ، حيث أشارت إلى أهمّ الحارات، والمباني، والمساكن، والمدن، والقرى، ومن يسكن فيها من عائلاتٍ، وطوائفٍ، وأفرادٍ، وبيّنت أهمّ طرق المواصلات (طريق القدس-يافا) (2).

الجانب الإداري: أمدّتنا السجّلات بمعلوماتٍ مهمّةٍ تتعلّق بالجانب الإداري، خاصّةً بعض أسماء الوظائف في لواء القدس كالمفتي، والقاضي الشرعيّ، الذي ينظر في التجاوزات، والسرقة، والتزوير، وتعاطي الرشوة، إضافةً إلى بعض مسمّيات الدوائر كالمتصرّف، والقائمقام، والولادة، وأسماء القناصل، ورؤساء الطوائف المسيحيّة، والطوائف اليهوديّة (3).

ثانياً: الوثائق

اعتمدت الدراسة بشكلٍ كبيرٍ على وثائق القنصيلة الألمانية في القدس ويافا، المحفوظة لدى أرشيف مكتبة "إسرائيل" في القدس، المحفوظة إلكترونياً على شكل (pdf) على موقع

(1) انظر: ص100-148. القدس سجّل، 377، (1307هـ/ 1890م)، ص62، سجّل، 378، (1307هـ/ 1890م)، ص231، سجّل 379، (1308هـ/ 1891م) ص140، سجّل، 384، (1310هـ/ 1893م)، ص76، سجّل 395، (1319هـ/ 1901م)، ص110، سجّل، 398، (1324هـ/ 1906م)، ص99-100، سجّل 398، (1324هـ/ 1906م)، ص160.

(2) انظر: ص77-99. القدس سجّل، 383، (1309هـ/ 1892م)، ص20، سجّل 388، (1314هـ/ 1896م)، ص179، سجّل 398، (1324هـ/ 1906م)، ص130.

(3) انظر: ص133. القدس سجّل، 368، (1294هـ/ 1877م)، ص34، سجّل 379، (1308هـ/ 1890م)، ص122، سجّل، 381، (1309هـ/ 1891م)، ص69، سجّل 384، (1310هـ/ 1893م)، ص76، سجّل 398، (1324هـ/ 1906م)، ص99-100، سجّل، 400، (1324هـ/ 1906م)، ص47-48، سجّل 407، (1330هـ/ 1912م)، ص157، سجّل 408، (1330هـ/ 1912م)، ص90.

أرشيف المكتبة ألكتروني، شكّلت تلك الوثائق مصدراً مهماً للدراسة؛ نظراً لتقديمها معلومات غنية ومركزة ومباشرة حول الأوضاع التي تمسّ حياة الجالية الألمانية في اللواء من مختلف النواحي الحياتية، وذلك لأحتوائها على المراسلات التي كانت تجري باستمرار بين المتصرفيّة والقائمقاميّة مع القنصلية، وجاءت بصيغة: "لجانب قونسلاتو دولة ألمانيا الفخيمة بيافا"، أو "لجانب قسيس قونسلاتو إمبراطوريّة ألمانيا الفخيمة بيافا"، أو "لجانب قائممقاميّة قضاء يافا البهيّة".⁽¹⁾

اشتملت ملفّات القنصلية على عددٍ من وثائق عمليات عقود البيع، والشراء والوكالات، والاقواقف، التي قام بها افراد الجالية، ومن الجدير ذكره، أنّ المؤسّسة الرسميّة الألمانية، المتمثلة بقنصليّاتها في البلاد، كانت تحرص دوماً على تسجيل أعداد رعاياها، ومعرفة ممتلكاتهم وأماكن وجودهم، وجاءت العبارات المتكرّرة الصادرة عن القنصل الألمانيّ إلى المتصرفيّة بلزوم إصدار بياناتٍ رسميّة من الدولة تفيد بأمالك الألمان المختلفة من عقارات، وأراضٍ، وبيّارات، ومزارع، وتسليمها إلى القنصليّة؛ لمعرفة أوضاع الرعايا ومتابعتها.⁽²⁾

واحتوت الملفّات على ثلاث لغات: الألمانية كلغةٍ رسميّةٍ للمراسلات، المكتوبة بخط اليد المتسلسل، وبعضها كُتِبَ بآلة الطباعة، ثم اللغة العثمانيّة للمراسلات بين القنصليّة الألمانيّة والمتصرفيّة بالقدس ويافا وبإستانبول، و اللغة العربية في معظم الملفّات وذلك بأعتماداً على مترجمين القنصلية الذين كانوا في الغالب مسيحيّين محليّين وهو ما سهّل علينا دراستها، وجاءت الوثيقة على الترتيب الآتي: الوثيقة الأولى باللغة الالمانية، تليها ترجمة باللغة العثمانيّة، ثمّ ترجمة باللغة العربيّة، وقد تكرّر هذا كثيراً خلال دراستنا للوثائق.

وقد تمّ إعطاء الملفّات عناوين تبيّن ما بداخلها، منها: ملفّ قضية (أبو شوشة)، وأمالك (بركم)، وقضية شراء أراضي قريتي اليهوديّة والحميديّة، وأمّا البعض الآخر، فكان

AGCJ, File 435,8(1913-1916AD/1331-1334AH), File 536,13,(1898AD/1315AH),⁽¹⁾
File,544,6,(1901AD/1318AH), File 442,3,(1805-1869AD/1219-1285AH), File 426,1,(1863-
1880AD/1279-1297AH), File 435,2,(1907-1910AD/1325-1328AH)

AGCJ, File,459,5,(1878AD/1295AH), File 544,8,(1901-1911AD/1318-1329AH)⁽²⁾

عبارةً عن أوراقٍ جُمِعت وكُتِبَت على ملفّاتها أرقامٌ متسلسلةٌ لبيان هويّتها، واحتوت الملفّات على جداولٍ، ورسوماتٍ، وصورٍ، ورخصٍ، ومخطّطات بناء⁽¹⁾، وكان اعتمادي في هذه الدراسة بآلية التوثيق على الرقم المتسلسل الإلكترونيّ، والمؤرشف من أرشيف مكتبة "إسرائيل" بالقدس على لوح الملفّ (pdf)، ومع ذلك، فإنّ أهميّتها تكمن في احتوائها على معلوماتٍ شبه تفصيليّة عن الجوانب الحيّاتية، التي مارسها الجالية الألمانيّة، ومنها:

الحياة الاجتماعيّة: أسهمت التقارير التي صدرت عن القنصلية في معرفة تطوّر العلاقات الألمانيّة - العثمانيّة، وفي تحديد طبيعة العلاقة مع محيطهم، كالسكّان العرب والمسيحيّين واليهود، وأسهمت بعض الملفّات في الإشارة إلى المصاعب اليوميّة، التي تعرّض لها الألمان في مختلف أماكن انتشارهم في المستوطنات التي شيّدوها، ومنها مهاجمة العرب لمستوطنة سارونا و ويلهلم، وأجرت القنصلية دوراً مهمّاً في حماية أفرادها ومتابعة مراسلاتهم وأمورهم القضائيّة مع الدولة العثمانيّة، سواءً في إستانبول أم في اللواء⁽²⁾.

الحياة الاقتصاديّة: تخلّلت الملفّات معلوماتٌ وفيرةٌ عن الحياة الاقتصاديّة للجالية داخل اللواء، مثل: إنشائها للبنوك، وعمليات البيع والشراء للعقارات بمختلفها، وأهتمامهم بالزراعة وأسهمت في ذكر التفاصيل عن الأراضي الزراعيّة، من حيث: موقعها، ومالكها، ونوعيّتها، وأهمّ المحاصيل الزراعيّة، كما أشارت إلى الصناعات والمصانع التي شيّدوها في المدن والمستوطنات، ومنها: مصانع النسيج، كما في سارونا والقدس، واستعرضت أهمّ الضرائب التي فرضت على الألمان: كالمسقّفات، والأراضي، والمحاصيل الزراعيّة، والمصنوعات التي ينتجونها.⁽³⁾

الجانب الدينيّ: بيّنت الملفّات أهمّ الطوائف الدينيّة المسيحيّة التي انتمى إليها الألمان: بروتستانت، وكاثوليك، وأرثوذكس، وكشفت عن أهمّ المواسم الدينيّة الخاصّة بهم، وبيّنت

(1) AGCJ, File 459,5,(1878AD/1295AH), File 544,8,(1901-1911AD/1318-1329AH)

(2) انظر: ص153-195. AGCJ, File, 544,8.p247, AGCJ, File,542,9,(1908-1910AD/1326-1328AH),p84-99-235

(3) انظر: ص100-148. AGCJ, File 426,1,(1868-1896/1285-1313AH),P7-131, File 544,8,(1901-1911AD/1318-1329AH), p2-248

الكنائس الدينية للألمان بشكلٍ مفصلٍ، بدءاً من شراء الأرض المنوي إقامة الكنيسة عليها، ثمّ يتبعها الحصول على الموافقة الحكومية، ومخططات البناء، إضافةً إلى تكاليف المشروع.⁽¹⁾

الجانب التعليمي: أسهبت ملفات القنصلية إلى حدٍّ كبيرٍ في تبيان أهمّ المراكز والمؤسسات التعليمية الألمانية، التي تتبع كلّ طائفةٍ من الطوائف الألمانية: منها الكاثوليكية والبروتستانتية الموجودة في مختلف مناطق اللواء، في القدس، ويافا، وبيت لحم، وبيت جالا، ومواقعها الجغرافية، كما بيّنت نوعية الأرض المقامة عليها، وطريقة امتلاكها، وتاريخ تأسيسها، والجهة التي تدعمها، أو التي تنتمي إليها المدرسة، كما تطرقت إلى ذكر المناهج الدراسية والطلّاب، من حيث جنسياتهم، وأظهرت أسماء المدرّسين، ومديري المدارس.⁽²⁾

الجانب الصحي: أولت الجالية القطاع الصحيّ اهتماماً كبيراً، فذكرت أهمّ المؤسسات الصحيّة، التي شيّدها الألمان كالمستوصفات، والصيدليات، والمستشفيات، وأشهرها المستشفى الألمانيّ في القدس (الأوغستا فكتوريا)، ومستشفى دار العجزة في قرية المالحه، من أعمال القدس، حيث أشارت إلى موقعها الجغرافيّ، وطريقة الحصول على الرخصة السنّية (الدولة العلية العثمانية) ونوعية الأرض، واستعرضت كذلك أهمّ الأمراض التي حلّت بالرعايا الألمان، وطرق مكافحتها، وهذا ما أشار إليه أحد تقارير القنصلية المرفوع إلى المتصرفيّة بشأن شكوكها بأنّ أحد الأوبئة منتشرٌ في قرية الطيرة المجاورة لمستوطنة (فيلهلم) الألمانية، وخوفاً من انتشار المرض لدى الألمان، أوصت القنصلية بضرورة معاينة الناس، والكشف عليهم؛ للحيلولة دون انتشار المرض بينهم.⁽³⁾

الدراسات الحديثة

عالجت بعض الدراسات الحديثة تاريخ فلسطين الحديث والمعاصر، من جوانبه كافّة، وأبعاده الإداريّة، والسياسيّة، والاجتماعيّة، والاقتصاديّة، وتناول بعضها الوجود الألمانيّ في

⁽¹⁾ انظر: ص 178. AGCJ, File 536,13, (1903AD/1320AH),p259

⁽²⁾ انظر: ص 153. AGCJ, File 427,8,(1887-1916AD/1304-1334AH),p79-87

⁽³⁾ انظر: ص 169. AGCJ, File 543,3,,(1912AD/1330AH),p132, File 440,6,(1886AD/1303AH) p3-

فلسطين بشكل عام، وفي لواء القدس بشكل خاص، ومن المراجع التي عُنيت بذلك، وأُثرت الدراسة بالمعلومات الاجتماعية، والاقتصادية، والسياسية، والإدارية، وملكية الأراضي، ما يأتي:

1. (العلاقات الألمانية - الفلسطينية من إنشاء مطرانية القدس البروتستانتية، وحتى نهاية الحرب العالمية الأولى (1257-1364هـ/1841-1945م)، عليّ محافظة، اعتمد الباحث في كتابه بالدرجة الأساسية على وثائق وزارة الخارجية الألمانية وأرشيفها، استفدت منه في تحديد طبيعة العلاقات الألمانية - الفلسطينية، ودور ألمانيا في النشاط التبشيري البروتستانتي والكاثوليكي في الأرض المقدسة، وموقف السلطات العثمانية والعربية من ذلك، وحول إنشاء المستعمرات الألمانية في فلسطين والدوافع إلى إنشائها، وتبيان بعض ملكياتهم.

2. (تحولات جذرية في فلسطين (1272هـ-1299هـ/1856-1882م)، دراسات حول التطور الاقتصادي والاجتماعي والسياسي)، ألكزندر شولش، أحد أبرز المستشرقين الألمان، الذين تناولوا تاريخ فلسطين الحديث، واعتمد في دراسته على المصادر الألمانية بالدرجة الأولى، استفدت منه في بيان التطور التاريخي والجغرافي والإداري، والاقتصادي، والاهتمام الأوروبي بفلسطين، خاصة الاهتمام الألماني، والنشاطات التي واكبته من تأسيسهم للمستوطنات الهيكلية، وفي تقديم إحصائيات مهمة عن أعدادهم فيها.

3. (ملكية الأراضي في متصرفية القدس (1275-1337هـ/1858-1918م))، أمين أبو بكر، تُعدّ هذه الدراسة من أهم الدراسات الحديثة، التي قدّمت معلومات عن ملكية الأراضي، والأوقاف، وأنواع الأراضي، وتطورات تسجيل الأراضي والطابو، والتغلغل الأجنبي والاستيطان الصهيوني، في متصرفية القدس، من خلال استخدام المصادر الأولية المحلية، وأهمها: سجلات المحاكم الشرعية العثمانية في القدس، ويافا، والخليل، ونابلس، وغزة، إضافة إلى اعتماده على سجلات الطابو العثمانية، والصحف، والسالنامات، استفدت منه في تبيان الحدود الإدارية للواء القدس خلال العهد العثماني، وفي دراسة الطبيعة

الجغرافية للمتصرفية، وفي تحديد بعض ملكيات الألمان في لواء القدس، إضافة إلى المستعمرات الألمانية.

4. (المصالح الألمانية في سوريا وفلسطين (1257-1319هـ/1841-1901م)، عبد

الرؤوف سنو، اعتمد الباحث في كتابه على الوثائق الألمانية، خاصةً وثائق أرشيف وزارة الخارجية في بون (ألمانيا)، وبعض الوثائق من أرشيف القنصلية الألمانية في القدس، وعلى تقارير ومنشورات الجماعات والإرساليات الألمانية في سوريا وفلسطين، استفدت منه في بيان المصالح الألمانية الدينية، والثقافية، والسياسية، والاقتصادية في فلسطين.

5. (العلاقات بين العرب واليهود في فلسطين (1293-1333هـ/1876-1914م)، محمود

الشناق، اعتمد الباحث في كتابه على وثائق الأرشيف العثماني المحفوظة في إستانبول، ووثائق القنصليتين الألمانية والبريطانية، المحفوظة في أرشيف "إسرائيل"، ودفاتر بلديتي القدس، ونابلس، إضافةً إلى سجلات المحاكم الشرعية العثمانية، والصحف، والسالنامات، فقد تناول الباحث في كتابه الحديث عن اليهود في ظل الإدارة العثمانية، وأشكال الاستيطان اليهودي ووسائله، والعلاقات بين العرب واليهود، استفدت منه في معرفة طوائف الجالية الألمانية، كاليهود الأشكنازيين، ودورهم في الحياة الاقتصادية والاجتماعية، وطرق حيازتهم للأراضي والعقارات، والى تحديد أماكن وجود الجالية في لواء القدس.

الفصل الأول

الجغرافيا التاريخية

التضاريس والمناخ

لعبت التضاريس والأحوال المناخية والتنوع الزراعي دوراً كبيراً في الوجود السكاني، في لواء القدس، ويمكن تقسيمها إلى أربعة أقسام:

المرتفعات الجبلية

تعد المرتفعات الجبلية آخر حلقة في سلسلة جبال بلاد الشام الغربية الفقارية، وتمتد من مشارف سهل بيسان ومرج بن عامر في الشمال الى أن تلتحم مع تلال الهضبة الصحراوية في الجنوب، عليها ثلاثة جبال تنسب الى المدن التي تقوم عليها: جبال نابلس، وجبال المتصرفية جبال القدس*، والتي تتصل مع جبال نابلس** عبر منحدران طبيعيان مستقلان، ليس هناك حدود تفصلهما، بل كل منهما متصل مع الآخر، ويتصل كلاهما عند قمة تل العاصور (1016م) الواقع الى شمال رام الله والتي تعد أعلى قمم وسط فلسطين، تبدأ سلسلة جبال القدس من منطقة رام الله والبيرة وحتى أطراف الشمالية لجبال الخليل بطول (77كم)، وعرض يتراوح ما بين (24كم) وحوالي (40كم) في الجنوب، ثم تتحدر تدريجياً نحو الغرب باتجاه السهل الساحلي، أما ناحية الشرق فتنتهي الى منخفض البحر الميت عبر جروف حادة وأخاديد بسبب عملية التصدع، وترتفع في جبال القدس مجموعة من القمم الجبلية وأهمها: جبل النبي صموئيل***،

* جبال القدس: هضابٌ مستديرةٌ بينها اوديةٌ صخريةٌ ضيقةٌ جافةٌ أكثر أيام السنة، ويُعرف القسم الجنوبي منها باسم (جبال الخليل)، نسبةً إلى مدينة الخليل، وأشهر جبال القدس: تلّ عاصور، وجبل النبي صموئيل، وجبل المشارف، وجبل المكبر، وجبل الطور أو (جبل الزيتون). الدباغ، بلادنا، ج1، ق1، ص54.

** جبال نابلس: وهي حلقة متصلة مع السلسلة الجبلية الوسطى، حيث لا يوجد لها حدود طبيعية تفصلها عنها، تبدأ من سهل مرج بن عامر شمالاً، وحتى جبال رام الله جنوباً، ومن الغرب تمتد جحتى تلال طولكرم ومن ثم البحر المتوسط، أما في الشرق فتتصل بغور الأردن، أشهر قممها عيال وجرزم، ويتخللها مجموعة من السهول أشهرها سهل عرابة وسانور. الدباغ، بلادنا، ج1، ق1، ص53، بارود، نعيم، صالحه، رائد، جغرافية، ص103-107.

*** جبل النبي صموئيل: يقع مباشرة شمال غرب القدس يرتفع (885) متراً. الدباغ، بلادنا، ج1، ق1، ص54، بارود، نعيم، صالحه، رائد، جغرافية، ص108.

وجبل المشارف*، وجبل الزيتون**، وجبل المكبر***، تمتاز بأنها وعرة، وشديدة الارتفاع⁽¹⁾

وترتفع جبال القدس باتجاه الجنوب لتتصل مع جبال المتصرفية الثالث جبال الخليل، يحدها من ناحية الشمال القدس والرملة، ومن الشرق البحر الميت، ومن الجنوب بئر السبع، ومن الغرب غزة، مرتفعاتها الشرقية حتى البحر الميت تحمل اسم (برية الخليل) وترتفع حوالي (600) متر، إلا أنها تأخذ بالانحدار التدريجي من ناحية الشرق حتى تصل إلى (375) متراً تحت مستوى سطح البحر. وتبلغ ذروة جبال الخليل عند قمة خلة بطرخ (1020م) القائمة على بعد (3) كم إلى الشمال من الخليل التي تعد أعلى مدن المتصرفية، ثم توالي مرتفعات الخليل انحدارها التدريجي إلى أن تلتحم مع تلال النقب عند مستوى (30-500) متر⁽²⁾

السهول

احتوت متصرفية القدس على مساحة كبيرة من الأراضي السهلية، التي يمكن تقسيمها وفقاً لموقعها الجغرافي إلى ثلاثة أقسام، هي:

السهول الغورية

فيتمثل بغور أريحا، الذي يُعدّ أشهر المناطق الزراعية؛ نظراً لسعة مساحته، وخصوبة تربته، خاصة تلك القريبة من نهر الأردن، وتعتمد هذه المنطقة على الزراعة المروية،

* جبل المشارف: شمس كذلك لأنه يشرف على القدس، يبدأ من شعفاط وينتهي بجبل الزيتون، يقع إلى الشمال من القدس بإنحراف قليل إلى الشرق، يعرف بـ (جبل سكوبس) عند الغربيين يرتفع (819) متراً. الدباغ، بلادنا، ج1، ق1، ص54، بارود، نعيم، صالحة، رائد، جغرافية، ص108.

** جبل الزيتون: يدعى أحياناً باسم (جبل الطور)، يقع إلى الشرق من القدس وإلى الجنوب من جبل المشارف، يرتفع (826) متراً. الدباغ، بلادنا، ج1، ق1، ص54، بارود، نعيم، صالحة، رائد، جغرافية، ص108.

*** جبل المكبر: يقع جنوب القدس، يرتفع حوالي (795) متراً، ومنه دخل عمر بن الخطاب لبيت المقدس يوم فتحها.

الدباغ، بلادنا، ج1، ق1، ص54، بارود، نعيم، صالحة، رائد، جغرافية، ص109.

(1) الدباغ، بلادنا، ج1، ق1، ص46-54، ابو بكر، أمين، ملكية، ص58-61، بارود، نعيم، صالحة، رائد، جغرافية، ص107-109.

(2) الدباغ، بلادنا، ج1، ق1، ص55، ابو بكر، أمين، ملكية، ص58-61، بارود، نعيم، صالحة، رائد، جغرافية، ص110-113.

وطبيعة مناخها الدافئ شتاءً نتيجةً لأنخفاضها عن مستوى سطح البحر، أتاح زراعة الخضراوات حيث تتضج قبل أن تتضج محاصيل المناطق الأخرى.⁽¹⁾

السهل الساحليّ

يمتدّ من لواء نابلس شمالاً، حتّى خطّ الحدود المصريّة العثمانية جنوباً، وسفوح التلال شرقاً، والشريط الرمليّ المحاذي لشاطئ البحر غرباً، ويتألّف من قسمين: شماليّ وجنوبيّ، ويُعرف الشماليّ بسهل سارونة، والجنوبيّ بسهل غزّة، وتمتاز تلك الأراضي بخصوبة تربتها، واعتدال مُناخها، وغزارة إنتاجها، واعتماد مساحاتٍ منها على الزراعة المروية، وتعدّ مركزاً مهماً لإنتاج الحبوب.⁽²⁾

الهضاب الصحراوية

تتمثّل في قسمين، الأوّل: السفوح الشرقيّة لسلسلة جبال القدس والخليل، وسمّيت بمسمّياتٍ مختلفةٍ منها: البريّة والمسفرة، واستخدمت أراضيها للرعي في فصل الربيع، وتمتاز بتربتها القاحلة، وارتفاع حرارتها، والثاني: هضبة النقب والتي تبدوا بشكل مثلث رأسه عند خليج العقبة جنوباً، وقاعدتها شمالاً تصل إلى الحدود المصريّة غرباً ووادي عربة شرقاً تتسحّو على مساحة 44% من المساحة الاجمالية للمتصرفية تسودها سلاسل جبلية وعرة وسهول حصوية وأودية.⁽³⁾

الأودية والأنهار

يتخلّل مناطق المتصرفيّة عددٌ من الأودية والأنهار، التي تحمل مياه الأمطار الهاطلة على أراضيها، إضافةً إلى مياه الينابيع والعيون إلى مصبّاتها، وتنقسم الأودية فيها إلى قسمين، الأولى: تتّجه شرقاً، وتصبّ في نهر الأردنّ والبحر الميّت ووادي عربة، أهمّها: وادي القلط الذي

(1) أبو بكر، أمين، لواء، ص 62-63.

(2) الدباغ، بلدنا، ج1، ق1، ص39، أبو بكر، أمين، لواء، ص 62-65.

(3) أبو بكر، أمين، لواء، ص 65-67، بارود، نعيم، صالحة رائد، جغرافية، ص133.

يعبر القسم الجنوبي من مدينة أريحا حاملاً معه الأمطار الهائلة على المرتفعات الممتدة ما بين مدينتي رام الله شمالاً والقدس جنوباً إلى أن يصبّ في نهر الأردن، ووادي النّار الذي يبدأ مجراه العلوي من مدينة القدس ويسير في اتجاه الجنوب الى أن يصبّ في البحر الميت، ووادي الغار أشهر أودية بركة الخليل تتجمع فيه مياه الأمطار التي تسقط جنوب بلدة السموع وشمالها ويصبّ في البحر الميت الجنوبي عين جدي، ووادي الجرافي يعتبر أهم أودية النقب، يبدأ مجراه العلوي بصحراء سيناء الى أن يصبّ في وادي عربة⁽¹⁾ والذي يعتبر الاخير من أهم الأودية يبدأ من ناحية الجنوب من خليج العقبة وبظل يرتفع تدريجياً باتجاه الشمال حتى يصل الى جرف خُنيزيره وهو الحد الجنوبي للبحر الميت والحد الشمالي لوادي عربة قاطعاً (160) كم⁽²⁾

أمّا المجموعة الثانية، فهي الأودية التي تتحدّر غرباً نحو مصباتها في البحر الأبيض المتوسط، وتعدّ من أهمّ سهول المتصرفيّة، أهمّها نهر العوجا ويعرف بنهر (يافا) ينبع من رأس العين، وهو الأشهر الذي يقطع سهل سارونة بطول (26) كم، ويصب شمال مدينة يافا، على ضفافه بنيت المستوطنات اليهوديّة، وأشهرها (بتاح تكفا)، ثمّ نهر روبين عرفه الكنعانيون ايضاً باسم (نهر بعل)، ويقع في الطرف الجنوبيّ من أراضي المتصرفيّة من السهل الساحليّ ويصب جنوب يافا على بعد (14) كم منها، ووادي غزّة عرفه الكنعانيون ايضاً باسم (نهر البسور) آخر الأودية الغربيّة وادٍ تتجمع فيه مياه الأمطار المتساقطة في اراضي بئر السبع، يعد أطول أودية المتصرفية وأوسعها منبعاً بعد نهر الأردن⁽³⁾

المُناخ

يعدّ المُناخ من أبرز العوامل التي أثّرت في بنية ملكيّة الأراضي في متصرفيّة القدس، ويتّضح ذلك من خلال الانتشار العمرانيّ على الأرض، والكثافة السكّانيّة، والنشاط الزراعيّ والرعيّ، والغطاء النباتيّ، الذي يتطابق مع خرائط توزيع العنصرين الرئيسيين من

(1) أبو بكر، أمين، لواء، ص 67-74، بارود، نعيم، صالحة رائد، جغرافية، ص 110-123.

(2) الدباغ، بلادنا، ج1، ق1، ص 106-107، بارود، نعيم، صالحة رائد، جغرافية، ص 129.

(3) الدباغ، بلادنا، ج1، ق1، ص 30-37، أبو بكر، أمين، لواء، ص 67-74، بارود، نعيم، صالحة رائد، جغرافية، ص 93-94.

عناصره، وهما الأمطار والحرارة، وانخفاض درجات الحرارة خلال موسم الشتاء، وتراكم الثلوج، وحدوث العواصف والأنواء، وما يترتب عليها من آثار سلبية على السكان.⁽¹⁾ ونظراً لوقوع أجزاء من المتصرفية على شاطئ البحر المتوسط، وتأثرها بمراكز الضغط الجوي والرياح والمنخفضات الجوية المتمركزة في حوض البحر المتوسط، وصحراء سيناء، ومناخه الحار نسبياً، يسود فيها مناخ البحر الأبيض المتوسط في السهول الساحلية والداخلية، أما المرتفعات، فيسودها الدفء والأمطار الغزيرة شتاءً، وارتفاع الحرارة صيفاً، والموقع الفلكي لفلسطين جعلها من الناحية المناخية جزءاً من المناطق المدارية في فصل الصيف، وجزءاً من المناطق المعتدلة في فصل الشتاء.⁽²⁾

السكان

حظي لواء القدس باستقطاب أعداد كبيرة من السكان؛ نظراً لمكانته الدينية، إضافة إلى تركّز النشاط الاقتصادي فيه، ويقسم السكان في اللواء بشكل عام إلى ثلاث طوائف، وهي:

أولاً: المسلمون: شكّل المسلمون الغالبية العظمى للسكان، موزعين على المذاهب الفقهية الإسلامية الأربعة: المذهب الحنفي، وهو المذهب الرسمي للدولة العثمانية، والشافعي، والمالكي، والحنبلي، أما من الناحية الاجتماعية، فانقسموا إلى حضر، وبدو، شكّل الفلاحون العمود الفقري للحضر، وهم سكان الأرياف المنتمية إلى عشائر متعدّدة، أما البدو فينتسبون بدورهم إلى قبائل وبطون وعائلات مختلفة.⁽³⁾

ثانياً: النصارى: احتلّ المسيحيون على اختلاف طوائفهم المرتبة الثانية بعد المسلمين من حيث عدد السكان في اللواء، وقد تركّزت إقامتهم في مدينة القدس، خاصة في

(1) أبو بكر، أمين، لواء، ص 75-76.

(2) صلاح، حنا، فلسطين، ص 16-17، الدباغ، بلانا، ج 1، ق 1، ص 27-38-55-56-138، أبو بكر، أمين، لواء، ص 76-77، بارود، نعيم، صالحة، رائد، جغرافية، ص 165.

(3) صبري، بهجت، لواء، ص 180-203، المدني، زياد، مدينة، ص 209-214، عقابنة، مرام، الأوضاع، ص 29

المحلة* التي عرفت باسمهم (محلة النصارى)، بالإضافة إلى سكنهم في بعض الأماكن على شكل جماعات قليلة داخل الحارات⁽¹⁾، وقد استفاد النصارى من القوانين العثمانية، التي سمحت لهم بحرية العبادة والصلاة، وعاشوا حياتهم كباقي السكان، ومن تنافس الدول الأوروبية في تقديم يد العون والحماية لهم، مما دفع بهجرة أعداد من المسيحيين الأوروبيين إلى فلسطين، منتمين إلى عدة طوائف وهي: طائفة الروم الأرثوذكس*، وطائفة الروم الكاثوليك**، وطائفة الأرمن***، وطائفة اللاتين****، وطائفة البروتستانت*****، وطائفة الموارنة*****.

* المحلة: هي مجموعة من البيوت في منطقة واحدة، يتخللها عدد من الساحات، تشكل محلة أو مجموعة من المحلات تفصل بينها الخطوط، وقد تكون لطائفة أو مجموعة من الطوائف، بحيث عرفت بعضها بأسماء العائلات أو الطوائف التي سكنتها. غوشة، محمد، حارة، ص 71.

(1) ربابعة، ابراهيم، تاريخ، ص 174.

* الأرثوذكس: شكلت أغلبية نصارى القدس في القرن التاسع عشر الميلادي، وكانت الأكثر نفوذاً، إذ تولت روسيا حمايتهم، وتألفت هذه الطائفة إلى حد كبير من العرب ومن الرهبان اليونانيين، الذين سيطروا عليها، وهؤلاء كانوا قريبين من الدولة العثمانية، وتقدموا على الطوائف الأخرى في إجراء المراسيم الدينية وأوقات الحج والأعياد. القضاة، أحمد، نصارى، ص 86-94، عقابنة، مرام، الأوضاع، ص 34.

** الروم الكاثوليك: طائفة انشقت عن الروم الأرثوذكس عام 1133-1724م، ووقفت هذه الطائفة في مواجهة مع الدولة العثمانية؛ لأن الأخيرة كانت لا تعترف بالطوائف التي انشقت عن أصولها، ومن ثم نظرت الدولة إليهم كونهم وطنيين " رعايا السلطان " وحصلت هذه الطائفة على دعم من أوروبا، القضاة، أحمد، نصارى، ص 95-98، عقابنة، مرام، الأوضاع، ص 35.

*** الأرمن: قدموا من كردستان، ومن ولاية حلب، ودمشق، وبيروت، في أواخر القرن التاسع عشر الميلادي، أقاموا في الجانب الغربي من القدس حيث يقع جبل صهيون، وسميت المنطقة التي سكنوها بمحلة الأرمن، وبمحلة التبانة وعرفت فيما بعد بمحلة الجواعنة، وسكنوا في بيت لحم، وتعد الطائفة الأكثر اعتدالاً وغي. القضاة، أحمد، نصارى، ص 99-106، عقابنة، مرام، الأوضاع، ص 36.

**** اللاتين: وهم بقايا أتباع الكنيسة اللاتينية الذين بقوا في البلاد المقدسة، وذلك بعد طرد الصليبيين عام 690هـ-1291م، أشرقت بداية على إدارة شؤونهم الأخوية الفرنسية كاتبة إلى أن حصلوا على كامل حقوقهم بعد التسامح الديني، الذي فرضه إبراهيم باشا، وتأسيس الكنيسة الأنجليكانية في القدس، توزع انتشارهم في القدس وبيت لحم والناصرية ويافا، لهم كنائسهم الخاصة بهم، وكان أغلب أتباعها من الفلاحين الملتزمين دينياً. القضاة، أحمد، نصارى، ص 107-112.

***** البروتستانت: مذهب مسيحي نشأ إثر حركة الإصلاح الديني، التي قادها مارتن لوتر (888هـ-953هـ/1483-1546م) وتدعو إلى تحرير الفرد من سلطان الكنيسة، وجعله مسؤولاً فقط أمام الله وحده، ترجع بداية ظهور الطائفة في القدس إلى عام 1236هـ-1820م، عندما بدأوا بعمليات التبشير بالقدس، وفي عام 1850م تم الاعتراف بهم كملة رسمية داخل الدولة العثمانية. الخطيب، مصطفى، معجم، ص 75-76، القضاة، أحمد، نصارى، ص 124-130.

***** الموارنة: ينسبون إلى مار مارون، وهو قديس ولد عام 410م، وعاش في منطقة باللاذقية بسوريا، وأسس أتباعه رهبانية وديراً لذكراه على ضفاف العاصي وكانت نواة الكنيسة المارونية، لم يكن لهم أي وزن طائفي بالقدس؛ إذ أن موطنهم بالأساس هو لبنان، وسكنوا بالقدس بمحلة عرفت باسمهم، وبعد أحداث لبنان عام 1860 شهدت القدس قدوم كثير منهم. القضاة، أحمد، نصارى، ص 130-132، عقابنة، مرام، الأوضاع، ص 38.

وطائفة الأقباط*، وطائفة الأحباش**، وطائفة السريان*** الأرثوذكس.⁽¹⁾

ثالثاً: اليهود: جاء اليهود في المرتبة الثالثة، وبنسبة قليلة من عدد السكان، فقد استفادوا من التنظيمات العثمانية، التي سمحت لهم بحرية العمل والتملك وحرية العبادة، إضافة إلى دعم بعض الدول لهم، وقد مارس اليهود حياتهم في القدس في جو من التسامح والتعاون، في إطار الحقوق والواجبات التي حددتها العهود والمواثيق، التي قطعها المسلمون لأهل الذمة منذ العصر الإسلامي الأول⁽²⁾، وقد توزّعوا على عدد من الطوائف: طائفة السفارديم****، وطائفة الأشكنازيم*****،⁽³⁾ واليهود المغاربة: وهم المهاجرون من شمال إفريقيا إلى فلسطين، وكانوا

* الأقباط: وصلوا القدس في القرن الرابع الميلادي من مصر والحبشة، لحضور تدشين كنيسة القيامة، التي بنتها الملكة هيلانة عام 335م، وكانوا تحت نظارة الأرمن وحمائيتهم، عاشوا في حارة النصارى بالقدس، وامتلكوا كثيرهم من الطوائف مكانا في كنيسة القيامة ودير السلطان، ومثلوا طبقة فقيرة بالقدس، ولكن أحوالهم تحسنت بعد الحكم المصري لبلاد الشام 1831-1840م. القضاة، أحمد، نصارى، ص 114-116، عقابنة، مرام، الأوضاع، ص 37.

** الأحباش: وصلوا إلى القدس في منتصف القرن الرابع الميلادي؛ لحضور تدشين كنيسة القيامة، وينتمون إلى الكنيسة الأرثوذكسية الشرقية، وكانوا يتبعون البطريركية القبطية، وكانت تحت إشراف طائفة الأرمن في القدس وحمائيتهم، وملكوا عدداً من الأماكن الدينية فيها، إلا أنهم فقدوها في القرن السابع عشر؛ بسبب الضرائب الباهظة التي فرضت عليهم من الدولة، وشكلوا طبقة فقيرة، وفي أواخر القرن التاسع عشر تحسنت أحوالهم، واشتروا أراضي وبنوا عليها كنيسة لهم خارج أسوار القدس. القضاة، أحمد، نصارى، ص 116-119، عقابنة، مرام، الأوضاع، ص 37.

*** السريان: قدموا مع الحملات الصليبية، واستقروا بالقدس بأعداد قليلة، انقسمت هذه الطائفة فيما بينها عام 1073هـ— 1662م إلى أرثوذكس وكاثوليك، جزء منهم كان يتبع الكنيسة الكاثوليكية، وجزء آخر الكنيسة الأرثوذكسية، إلى أن تم الاعتراف بهم كطائفة براءة من السلطان، عاش أفراد هذه الطائفة بمحلة خاصة بهم عُرفت بمحلة السريان، بين باب الخليل وحارة الشرف، وامتازت تلك الطائفة بعلاقتها الحسنة مع الطوائف الأخرى. القضاة، أحمد، نصارى، ص 119-122، عقابنة، مرام، الأوضاع، ص 38.

⁽¹⁾ صبري، بهجت، لواء، ص 224-240، المدني، زياد، مدينة، ص 218-226، اوزدمير، حسين، فلسطين، ص 35-38.

⁽²⁾ ربابعة، إبراهيم، طائفة، ص 103.

**** السفارديم: هم اليهود الذين توطنوا في القدس، وقد جاؤوا إليها من إسبانيا والبرتغال إثر سقوط الأندلس، وقد شكلوا غالبية اليهود فيها، وهم يتكلمون لغة وهي مزيج من الإسبانية والعبرية. المسيري، موسوعة، ج2، ص 122، الخطيب، مصطفى، معجم، ص 248، عقابنة، مرام، الأوضاع، ص 39.

***** الأشكنازيم: اليهود الذين قدموا من شرق أوروبا ووسطها، تقريباً في عام 1700 م، ويعودون إلى أصول مختلفة كيهود ألمانيا وروسيا ورومانيا، وهؤلاء لم يكن مرغوباً فيهم من اليهود السفارديم، فلم ينسجموا معهم بأداء الصلاة في كنسهم، أو دفن موتاهم في مقابرهم، ما دفع بعضهم إلى الهجرة باتجاه صفد والجليل من القدس. المسيري، موسوعة، ج2، ص 125، عقابنة، مرام، الأوضاع، ص 39.

⁽³⁾ صبري، بهجت، لواء، ص 258-260، المدني، زياد، مدينة، ص 227-229، اوزدمير، حسين، فلسطين، ص 34-35.

بدايةً تحت مظلة اليهود السفارديم، إلى أن سُمح لهم بإقامة معابد خاصة بهم، ومن ثمّ اليهود القراؤون*، وهم الذين قدموا من العراق وإيران، منذ القرن التاسع عشر الميلادي، واستقروا في القدس،⁽¹⁾ وكان لكل طائفةٍ منها متحدثٌ باسمها، وكان السواد الأعظم من اليهود عامّة يسكن في محلة واحدة عرفت باسم محلة اليهود**، كما كان لهم وجود قليلٌ في محلاتٍ أخرى قريبة من محلة اليهود: منها محلة الشرف***. ⁽²⁾ ونستعرض في هذا الجدول بعض المدن والقرى المأهولة بالسكان، وعدد الأسر في متصرفيّة القدس لعام (1288هـ/1871م)⁽³⁾:

اسم القضاء	عدد المدن والقرى	الخانات والأسر			المجموع
		مسلمون	نصارى	يهود	
القدس / القدس	1	1025	738	630	2393
بيت لحم	1	—	—	—	520
الريّف	115	6118	2021+بيت لحم	—	6800
الخليل / الخليل	1	2800	—	200	3000
الريّف	52	2820	—	—	2820
غزة / غزّة	1	2690	65	—	2755
الريّف	55	6417	—	—	6417
يافا / يافا	1	865	266	—	1131
اللدّ	1	700	207	—	9007
الرملة	1	675	250	—	925
الريّف	61	3439	—	—	3439
المجموع	290	23.549	3.547	830	39.207

* القراؤون: طائفة وجدت في بلاد الشام ومصر، كانوا يتكلمون العربية، يعتقد أنهم من بقايا دولة الخزر أو أنهم قدموا من العراق وإيران، تقوم عقيدتهم على الاعتراف بالعهد القديم، مع رفض ما جاء بالتلمود. المسيري، موسوعة، ج4، ص 251، المدني، زياد، مدينة، ص 229.

⁽¹⁾ صبري، بهجت، لواء، ص 258-260، المدني، زياد، مدينة، ص 227-229.

** محلة اليهود: تقع بالقرب من محلة المغاربة، غربي حارة الشرف وحارة الصلّتين، قرب محلة الريشة. المدني، زياد، مدينة، ص 302، العربيات، غالب، تاريخ، ص 30.

*** محلة الشرف: تقع غرب محلة المغاربة، عرفت قديماً بحارة الأكراد، وبها زقاق يعرف بزقاق المهتار. ربابعة، إبراهيم، تاريخ، ص 37، العربيات، غالب، تاريخ، ص 30.

⁽²⁾ العلمي، الأنس، ج2، ص 52 انظر أيضاً: ربابعة، إبراهيم، طائفة، ص 103-104، عقابنة، مرام، الأوضاع، ص 41-40.

⁽³⁾ شولش، ألكزاندر، تحولات، ص 35، أبو بكر، أمين، لواء، ص 142.

ويذكر صالحية نقلاً عن شولش إحصائية أخرى لعدد سكان قضاء القدس، اعتماداً على البحث في الدفاتر العثمانية، جاء فيها⁽¹⁾:

السنة	مسلمون	مسيحيون	يهود	المجموع
1884 م	54.364	19.590	7.105	81.059
1914م	70.270	32.641	18.190	121.101

التقسيم الإداري للواء القدس العثمانية

مرت القدس إدارياً في عدة مراحل حتى وصلت إلى متصرفية مستقلة عن ولاية سوريا، من حيث حدودها وإطارها الجغرافي، والإداري،⁽²⁾ فمنذ دخول العثمانيين إلى بلاد الشام، بعد معركة مرج دابق* (922هـ/1516 م)، انصب اهتمامهم على التقسيم الإداري لبلاد الشام؛ لإحكام السيطرة عليها، وخلال عهد السلطان سليمان القانوني (927-974هـ/1520-1566م) أعيد تنظيم ولايات الشام إلى ثلاث باشويات** أو (الإليات)، هي: إيالة*** حلب، وإيالة دمشق، وإيالة طرابلس، وعلى أثر التقسيمات الجديدة استحدثت في فلسطين خمس وحدات إدارية جديدة عُرفت بالسناجق****، أو الألوية، وهي: نابلس، وغزة، والقدس،

(1) صالحية، محمد، مدينة، ص46.

(2) صالحية، محمد، مدينة، ص17.

* مرج دابق: قرية تقع شمال سوريا، قرب مدينة حلب. الحموي، معجم البلدان، ج2، ص 513.

** باشا: أصله باللغة التركية باش بمعنى: الرأس، وشاع استعماله كلقب من ألقاب التشريف في العهد العثماني، وهي رتبة عسكرية، ثم لقب مدني، وكان يمنح في بادئ الأمر لكبار ضباط الجيش والبحرية، ممن يحملون رتبة لواء أو فريق، ثم أطلق على الوزراء والولاة ومع توسع أعمال الدولة أصبح السلطان العثماني يمنح هذا اللقب لكبار الأعيان ورجال الدولة من غير الوزراء، ولم يقتصر منح اللقب على المسلمين، بل أطلق على كثير من المسيحيين واليهود من رعايا الدولة.

الخطيب، مصطفى، معجم، ص 65

*** إيالة: مشتقة من الفعل آل، اصطلاح إداري استخدم في الدولة العثمانية بصورة رسمية بعد (1000هـ/1591م)، واستمر حتى عام (1281هـ/1864م)، والإيالة كلمة عربية، تعني التنظيم، والإدارة، وممارسة السلطة، أما في المفهوم العثماني، فتعني أكبر وحدة إدارية في الدولة العثمانية، ولم تكن مساحة الإيالة ثابتة، بل تتباين في كثير من الأحيان، ويكون على رأسها حاكم يحمل لقب بكربكي، برتبة ميرميران، أي أمير الأمراء، بما يوازي (3) أطواخ، ويحمل لقب باشا، وله سلطات واسعة على حكام السناجق التابعة لولايته، الخطيب، مصطفى، معجم، ص 57-58

**** السناجق: مفرد سنجق، وهي كلمة عثمانية، أطلقت بداية على الرمح، ثم تحول معناها إلى حامل العلم والراية واللواء، الذي يرفع أمام الحاكم الإداري، ثم أصبح مدلوله في العصر العثماني يحمل معنى إدارياً، يدل على منطقة بعينها، وأصبحت تطلق على حاكم القسم الإداري، ويحمل درجة بيك، وهي مرتبة عسكرية، حاملها من فئة المماليك السلطانية، مهمته حمل الراية المتخذة من رمح إلى جانب الملك أثناء السفر. الخطيب، مصطفى، معجم، ص 259.

واللجون*، وصفد، وكان لواء القدس من بين أحد عشر لواءً، كانت تتبع دمشق الشام، ووضعت كل إيالة تحت سلطة "بكلربك"***، أي زعيم، ووضعت الوحدات الإدارية الملحقة بالإيالة تحت سلطة البكوات، وكان هذا التقسيم بخطوطه العامة استمراراً للتقسيم الإداري في عهد السلطنة المملوكية⁽¹⁾.

وفي عام (1281هـ/ 1864م) أصدرت الدولة العثمانية قانون الولايات الذي يعدّ المحاولة الجدية والعملية من الدولة لإصلاح حال الولايات من النواحي السياسية والاقتصادية والاجتماعية، وإحكام السيطرة على الولايات، وبموجبه تمّ تنظيم الهيكلية الداخلية للولايات، أمّا التطور الأهمّ بالنسبة إلى فلسطين، فكان فصلُ سنجد القدس عن ولاية سوريا، وجعله متصرفية مستقلة مرتبطة مباشرة بإستانبول (قدس شريف)⁽²⁾ وتمّ تقسيم متصرفية القدس إلى ثمانية أقضية، وهي: قضاء القدس، والخليل، ونابلس، وجنين، وبني صعب، واللدّ، والرملة، ويافا، وغزة⁽³⁾ إلّا أنّه في عام (1285هـ/ 1868م) تمّ فصل قضاء نابلس وجنين عن القدس، ودمج كل من قضاء يافا واللدّ والرملة لتصبح تحت قضاء يافا، ووردت أول إشارة لتشكيل متصرفية القدس في الوثائق العثمانية بقرار من الصدر الأعظم محمود نديم باشا (1234-1301هـ/ 1818-1883م) سنة (1289هـ/ 1872م) بكونها متصرفية مستقلة، ولكنّ القرار لم يطبق إلا شهراً واحداً، ثمّ أعادته الدولة سنة (1291هـ/ 1874م)، وأصبحت مدينة القدس تتبع وزارة الداخلية في إستانبول، وتمّ تشكيل المتصرفية من أربعة أقضية تتمثّل في: القدس، ويافا، والخليل، وغزة، وتسع عشرة ناحيةً، وفي عام (1317هـ/ 1899م)، أضيف إليها قضاء بئر

* اللجون: قرية تبعد (18) كم شمال غربي جنين، تكثر فيها العيون، قدر عدد سكّانها عام 1945م (1103) نسمة، أصلهم من أمّ الفحم، وكانت ذات منزلة عظيمة في التاريخ، نزلها عددٌ من ملوك المسلمين، دمرها اليهود عام 1948م، وأقاموا عليها مستوطنة (مجدو). شراب، محمد، معجم، ص 637.

** بكلربك: أحياناً بكلربكي، و بركبي، و بيلربي، لفظ تركي بمعنى الأمير، واستخدم في العهد العثماني كلقب لرؤساء السناجق أو الألوية، التي تنظم الإقطاعات العسكرية. الخطيب، مصطفى، معجم، ص 84.

(1) الدباغ، بلادنا، ج10، ق2، ص 9، رافق، عبد الكريم، فلسطين، ج1، ص 701-699، محاسنة، محمد، الطراونة، محمد، تاريخ، ص202، أبو عوّاد، ميرفت، الحياة، ص 4-5، ربيعة، إبراهيم، القدس، ص 48-49.

(2) صبري، بهجت، لواء، ص 35، شولش، الكزاندر، تحولات، ص 27-28، أبو بكر، أمين، ملكية، ص 49، عادل، مناع، تاريخ، ص 197-198، المدني، زياد، مدينة، ص 23، الجبوري، نايف، موقف، ص 99، شوكة، خليل، بيت لحم، ص 15، رافق، عبد الكريم، فلسطين، ج 2، ص 862.

(3) نعمة الله، إبراهيم، الرملة، ص 14.

السبع، الذي كان جزءاً من قضاء غزّة، وفي مرحلة لاحقة أُضيف قضاء الناصرة إليها ما بين عامي (1324-1327هـ / 1906-1909م)، ومن الناحية الإدارية أوجدت الدولة العثمانية في مدينة القدس جميع الدوائر الرسمية والمؤسسات الحكومية، وأصبحت هي العاصمة الفعلية للبلاد، وارتبطت بوزارة الخارجية في إستانبول مباشرة، وكانت تلك الأفضية تابعة لها، مما أسهم في إحداث تحول في مكانة القدس إدارياً وسياسياً.⁽¹⁾ وشملت المتصرفية معظم أجزاء فلسطين، وأكثر من ثلاثة أرباع سكّانها، ويذكر أنّ هذا السنجق يشمل 328 قرية، وقدّر عدد سكّانه بأكثر من 340 ألف نسمة.⁽²⁾

واستخدم العثمانيون منذ صدور قانون الأراضي عام(1274هـ / 1858م) في متصرفية القدس عدّة مصطلحات إدارية للدلالة على التنظيم الإداري في المتصرفية، وهي "إيالة القدس الشريف"، التي توازي بالمعنى ولاية القدس الشريف، ومتصرفية "ألوية القدس الشريف"، وظلت هذه التسمية متداولة في سجلّات المحاكم الشرعية إلى أن صدر قانون الولايات في عام(1281هـ / 1864م)، ليحلّ محلّها تعبير "لواء القدس الشريف"، الذي يوزاي في ذلك تعبير "متصرفية القدس الشريف"⁽³⁾، وبذلك يكون المصطلح ذات الدلالة طول فترة الدراسة من عام 1867-1918 م.

ونصّ الدستور العثماني الصادر عام (1293هـ / 1876م) على ضرورة وجود مجالس إدارية منتخبة ومعينة على مستوى الولاية والسنجق والقضاء⁽⁴⁾، ونصّ قانون الولايات كذلك على تقسيم أراضي الدولة العثمانية إلى مناطق إدارية، أطلق عليها اسم ولاية يرأسها وال، وتقسّم الولاية إلى ألوية أو سناجق، ويرأس كلّاً منها متصرف، وتقسّم الألوية إلى أقضية، يرأس

⁽¹⁾ الدباغ، بلادنا، ج10، ق2، ص 42، عوض، عبد العزيز، مقدمة، ص 20-21، شولش، الكزاندر، تحولات، ص 19-31، أبو بكر، أمين، ملكية، ص 167-175، عادل، مناع، تاريخ، ص 197-198، صالحية، محمد، مدينة، ص 17، شوكة، خليل، بيت لحم، ص 15، أبو شمالة، مروان، الاستراتيجية، ص 107، نعمة الله، إبراهيم، الرملة، ص 14، Jankowski, James and Gershoni, Israel, Rethinking, p174

⁽²⁾ الكيالي، عبد الوهاب، تاريخ، ص 43.

⁽³⁾ صبري، بهجت، لواء، ص 35، شولش، الكزاندر، تحولات، ص 27-28، أبو بكر، أمين، ملكية، ص 49، عادل، مناع، تاريخ، ص 197-198، المدني، زياد، مدينة، ص 23، شوكة، خليل، بيت لحم، ص 15، رافق، عبدالكريم، فلسطين، ج 2، ص 862.

⁽⁴⁾ الكيالي، عبد الوهاب، تاريخ، ص 44.

كلًا منها قائمقام، والأقضية إلى نواح، تضم عدداً من القرى والمزارع، ويرأس الناحية موظفٌ عرف بمدير الناحية، أمّا القرية، فعُيِّن فيها مختارٌ واحدٌ أو أكثر بحسب الحاجة، وقد جاء تعيين المختارين في القرى بدلاً من المشايخ لخدمة مركزية نظام الإدارة، وإحكام سيطرة الدولة على الأهالي، بعد فترةٍ طويلةٍ تمتّع بها سكّان الريف بالحكم الذاتي⁽¹⁾، أمّا بالنسبة إلى النظام القضائي، فكانت هناك محاكم شرعيةٌ مسؤولة عن تطبيق الشريعة الإسلامية، تتبع شيخ الإسلام في إستانبول، وأخرى نظاميةٌ تابعة لوزارة العدل، وقد تمتعت الطوائف المسيحية واليهودية في فلسطين بحقّ الحكم الذاتي فيما يتعلّق بقضايا الزواج والطلاق والإرث، وبحريّة ممارسة الشعائر الدينية بموجب نظام الملة*.⁽²⁾

حدود اللواء

منذ أواسط القرن التاسع عشر الميلاديّ، بدأ العثمانيّون بالإصلاح الإداري، انطلاقاً من شرقيّ الأردن، متقدّمين من الشمال إلى الجنوب، فأنشأوا مناطق إدارية وعملوا على ترسيم خطوطها الجغرافية، وتعرّضت حدود لواء القدس لعددٍ من التغيّرات، وفقاً لقوّة الحاكم العامّ لمدينة القدس، وللتغيّرات التي تجريها إستانبول بين الحين والآخر⁽³⁾، إلّا أنّ التقسيم الإداري كانت حدوده من الشمال لواء نابلس وعكا، عبر خطٍّ وهميٍّ يصل البحر الأبيض المتوسط بنهر الأردن* والبحر

(1) عادل، مناع، تاريخ، ص 197-198، غنایم، زهير، لواء، ص 40، شوكة، خليل، بيت لحم، ص 15-22.
* الملة: نظام حدّدت فيه أوضاع أهل الذمة في دولة الإسلام، كان السلطان محمد الفاتح العثمانيّ قد أصدره عند تنصيب البطريرك جيناديوس عام (858هـ/1454م)، حيث منح هذا النظام أهل الذمة حقوقاً مدنية ودينية لم يتمتعوا بها من قبل. القضاة، أحمد، نصارى، ص 63-70.

(2) الكيالي، عبد الوهاب، تاريخ، ص 44.

(3) أبو بكر، أمين، لواء، ص 49-57، رافق، عبد الكريم، فلسطين، ج2، ص 861-862.
* نهر الأردن: بعد أن يخرج نهر الأردن من بحيرة طبريا يتراوح عرضه ما بين 28-31 متراً وعمقه ما بين 1-4 أمتار، ويجري لمسافة 194 كم قبل أن يصبّ في البحر الميت، يبلغ طوله من منابعه العليا إلى مصبه 252 كم، وتبلغ المساحة الإجمالية لحوض نهر الأردن 173000 كم، وبعد خروجه من بحيرة طبريا، وبعد مسافة 8 كم، وعند جسر المجامع، يلتقي مع أهمّ روافده على الإطلاق نهر اليرموك، الذي يحمل إليه كميات كبيرة جداً من الماء، يقدر متوسط تصريفها اليومي بحوالي 460م. مكعب. الدباغ، بلادنا، ج1، ق1، ص 63، بارود، نعيم، صالحه، رائد، جغرافية، ص 122-123.

الميت*، ومن الجنوب بخط يتوسط غزّة مروراً بالعريش حتى العقبة**، ومن الشرق كانت تسير وفق المظاهر الطبيعية من جنوب جسر المجامع*** جنوب بحيرة طبرية عند نقطة جسر على نهر الأردن بالقرب من اريحا وينحدر إلى الجنوب عبر مجرى نهر الأردن والبحر الميت ووادي عربة، إلى أن يصل إلى خليج العقبة، وأمّا الحدّ الغربيّ، فكان يمتد على طول شاطئ البحر الأبيض المتوسط.(1)

* البحر الميت: يقع البحر ضمن منخفض يبدأ من طرف البحر الشماليّ حتى السهل المنبسط، الذي يقع جنوب البحر الميت، ويدعى جرف خنيزيرة، الذي يشكل حداً طبيعياً بين وادي عربة في الجنوب، ومنخفض البحر الميت في الشمال، يبلغ طوله من الشمال إلى الجنوب حوالي 80 كم أمّا أقصى عرض له فهو 17 كم، وأقلّ عرض له عند شبه جزيرة اللسان 2-3 كم، تبلغ مساحته الإجمالية 1000 كم، وتقع أعمق نقطة في قاع البحر الميت على 400- بارود، يتميز البحر الميت بارتفاع نسبة الملوحة فيه. نعيم، صالحة، رائد، جغرافية، ص 125.

** العقبة: تقع جنوب الأردنّ حالياً، في الطرف الشماليّ للبحر الأحمر بين شبه جزيرة سيناء غرباً وشبه الجزيرة العربية شرقاً، وتمتدّ من شمال البحر الأحمر منحرفة صوب الجهة الشمالية الشرقية نحو (164) كم، وفلسطين ساحل قصير على رأس الخليج من الجهة الشمالية، طوله (11) كم، وعليه ميناء إيلات في موقع أمّ رشرش، وفيها تلتقى قافلة الحجّ الشاميّ وقافلة الحجّ المصريّ. شراب، محمد، معجم، ص 537، ربابعة، إبراهيم، تاريخ، ص 59.

*** جسر المجامع: يقع على مسيرة (21) كم جنوب مدينة طبرية، وعلى بضعة أميال من الشمال من (طبقة فحل). الدباغ، بلادنا، ج 1، ق 1، ص 76.

(1) شولش، ألكزندر، تحولات، ص 19-28، أبو بكر، أمين، لواء، ص 49-57، شوكة، خليل، بيت لحم، ص 15-16،

Bussow, Johann, Hamidian, p77. انظر الملاحق شكل رقم (1)

الفصل الثاني

استقرار الجالية الألمانية
ونموها في لواء القدس

الجذور الألمانية الأولى

كانت بروسيا* (Preußen) حتى حدوث الأزمة المصرية** في الثلاثينيات من القرن التاسع عشر الميلادي، المملكة الألمانية الكبرى، التي لا تعبر المسألة الشرقية*** اهتماماً بالغاً، ونظراً للنزاع الدائم بين روسيا والدولة العثمانية، أستعانت الدولة العثمانية (1251هـ/ 1835م) ببروسيا الدولة القوية والصاعدة اقتصادياً وعسكرياً، من خلال بعثة عسكرية، برئاسة هلموت فون مولتكه (Helmuth von Moltke)، كابتن في الحرس الملكي البروسي لإعادة تنظيم وهيكلية وتدريب الجيش العثماني؛ مما أتاح للألمان موطئ قدم في الدولة العثمانية، ومع حلول عام (1256هـ/ 1840م) كانت مفاوضات لندن هي الفرصة المناسبة لأخذ بروسيا دورها المناسب في الشرق، بعد تحطيم قوة محمد علي باشا، للحفاظ على الكيان العثماني الضعيف، حماية لمصالحها السياسية والدينية والاقتصادية، خاصة في فلسطين.⁽¹⁾

* بروسيا بالألمانية Preußen : دولة تقع شمال ألمانيا على ساحل بحر البلطيق، تعرف باسم مقاطعة بروسيا الشرقية، كانت تشكل مملكة مستقلة ثم اتحدت مع ألمانيا، وكان ملك بروسيا إمبراطوراً على الرايخ كله، ومن أشهر ملوكها غيليوم الأول الذي حقق الوحدة لألمانيا بالتعاون مع وزيره بسمارك، إذ كان ضرورياً اتحاد ألمانيا تحت زعامة بروسيا، وظل يطلق مصطلح بروسيا على ألمانيا حتى اتحادهما عام (1288هـ/ 1871م)، ولذا سوف يرافقنا هذا المصطلح من بداية تأسيس القنصلية عام 1842م وحتى وحدتها عام 1871 ليصبح بعد ذلك إمبراطورية ألمانيا. الكيالي، عبد الوهاب، موسوعة، ج1، ص 529.

** الأزمة المصرية: تطلق على الحملة التي قام بها إبراهيم باشا على بلاد الشام عام 1831-1840م، وخلال تلك الفترة قام بعدد من الإصلاحات الإدارية التي مكنته من السيطرة على فلسطين، والتقارب من الطوائف المسيحية. عامر، محمود، دخان، مروان، تاريخ، ص 315-318.

*** المسألة الشرقية (Eastern Question): مصطلح يطلق على العلاقات السياسية بين الدول الأوروبية وبين الإمبراطورية العثمانية إبان القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين. وقد اتخذ هذا المصطلح مفهومين: الأول: عندما كانت الدولة العثمانية قوية بحيث تساءلت دول أوروبا كيف تستطيع الوقوف في وجه الزحف العثماني، الذي يهدد القارة الأوروبية. أما المفهوم الثاني للمصطلح: عندما أصبحت الدولة العثمانية ضعيفة، ولم تعد الخصم الذي كان يهدد الدول الأوروبية فأخذت دول أوروبا تتساعل حول كيفية تقسيم أملاك الدولة العثمانية؛ لأن اختلاف المواقف وتضارب المصالح بين دول أوروبا سيؤدي إلى حدوث مشكلات وصدامات بين الدول الأوروبية. كامل، مصطفى، المسألة، ص 9-20، عامر، محمود، دخان، مروان، تاريخ، ص 311-314.

⁽¹⁾ محافظة، علي، العلاقات، ص 11، كلداني، حنا، المسيحية، ص 295-297، رفيق، فرح، تاريخ، ج1، ص 41، سنو، عبد الرؤوف، ألمانيا، ص 279.

بدأت معالم الوجود الرسمي الألمانيّ في فلسطين تتّضح بعد عام (1258هـ/—) عندما تمّ الإعلان عن إقامة القنصلية الألمانية في مدينة القدس، باعتبارها مركز الحياة والحركة في فلسطين،⁽¹⁾ فمن خلالها بدأ النفوذ الألمانيّ بالظهور إلى العلن كقوة عالمية مهيمنة لها نفوذها، ومن الملاحظ أنّهم أنشأوا فرعين للقنصلية في اللواء، كان الأول في القدس، والآخر في يافا، وشملت القنصلية البروسية بحمايتها عدداً أكبر من رعايا نظيراتها قنصليات الدول الأخرى، ففي عام (1289هـ/ 1872م) كان تحت الحماية البروسية 987 شخصاً، أمّا القنصلية النمساوية، فشملت حمايتها 950 شخصاً، والقنصلية البريطانية 720 شخصاً.⁽²⁾ وفي هذه الأثناء بدأت الدولة العثمانية بإقامة علاقات مع القناصل الأوروبيين الموجودين داخل القدس، ومن ضمنهم القنصل الألمانيّ، ويدلّل على ذلك أحد تعاميم متصرف القدس إلى قنصل دولة ألمانيا الفخيمة، إلى أنّه تمّ توكيل مفتي القدس للقيام بأعمال المتصرفيّة أثناء غيابه في غزة، حيث كلّف بمعالجة أحداث وقعت قبل سنتين بين العربان، والنظر في أمور غزة، يدلّل ذلك على طبيعة النظام الإداري المتبع في الدولة العثمانية، وهو إبلاغ قناصل الدول الأجنبية بكافة الإجراءات الإدارية التي تتخذ ولو كانت محلياً.⁽³⁾

ويمكن اعتبار القرن التاسع عشر الميلاديّ عصر ازدهار الإرساليات الأجنبية، وإن كانت قد بدأت قبل ذلك، وكانت المحطة الأولى في التنافس بين الدول الأوروبية الكبرى على لواء القدس، ونجحت هذه الإرساليات بفضل مساندة الجمعيات البروتستانتية في تأسيس عدداً من الأسقفيات،⁽⁴⁾ ومنذ سنة (1257هـ/ 1841م) بدأت بروسيا عملياً بالتدخل المباشر، وإثبات حضورها الدينيّ والسياسيّ في الأرض المقدّسة، إلى جانب كلّ من إنجلترا وفرنسا والنمسا وروسيا.⁽⁵⁾ فقد شهدت الفترة ما بين عام (1257- 1304هـ/ 1841م- 1886م) وضوح معالم

(1) صبري، بهجت، لواء، ص 312، رفيق، فرح، تاريخ، ج 1، ص 169، الوعري، نائلة، دور، ص 162، أبو شمالة، مروان، الاستراتيجية، ص 78.

(2) صبري، بهجت، لواء، ص 313.

(3) الشناق، محمود، العلاقات، ص 41.

(4) صبري، بهجت، لواء، ص 278، أبو شمالة، مروان، الاستراتيجية، ص 80، الدجاني، أحمد، التعليم، ص 203.

(5) الراهب، متري، ميلاد، ص 17.

الوجود الألماني، من خلال تأسيس الأسقفية، التي عُرِفَت بـ " الأنجليكانية " في القدس التي تعدّ أحد أهمّ معالم السياسة الكنسية الأوروبية، خلال القرن التاسع عشر الميلادي، في منطقة الشرق الأدنى عموماً وفلسطين خصوصاً، والتي تأسست بمبادرة من ملك بروسيا فريدريك فيلهلم الرابع * (Frederick Wilhelm IV) (1256-1278هـ / 1840-1861م)، الذي دعا من خلالها إلى تأسيس حاضنة للطائفة الإنجيلية للإنجليز والألمان تحت رعاية مطران واحد، فانطلق الألمان من خلالها لتثبيت أقدامهم، تحت ذريعة حماية الطائفة البروتستانتية، التي اعترفت بها الدولة العثمانية كطائفة داخل الدولة عام (1266-1267هـ / 1850-1851م)، وقد سمحت للألمان والإنجليز بمزاحمة المؤسسات الدينية للأرثوذكس والكاثوليك، وسهّلت فيما بعد لتدشين كاتدرائية بروتستانتية (Christ Church) عام (1265هـ / 1849م)،⁽¹⁾ وأراد فريدريك فيلهلم الرابع من تأسيسه الأسقفية تكوين جماعة إنجيلية من الألمان أو اليهود الألمان المتصرّين، ولقد تنبأ بأن بروسيا تحتاج إلى سبع سنوات، كي تصل إلى مرحلة تكون فيها قادرة على الاستقلال بسياساتها الكنسية في فلسطين عن بريطانيا، وبدأت أحلامه تتحقّق عام (1262هـ / 1846م) باستقرار رهبان "إرسالية حجّاج كلية كريشونا في مدينة بازل -سويسرا- في القدس، وكذلك الشّماسات ** جمعية (الكيزرزفرت) عام (1267هـ / 1851م) ⁽²⁾ اللواتي قدمن إلى

* فريدريك فيلهلم الرابع (1840-1861م): ملك بروسيا ابن فريدريك فيلهلم الثالث، وخليفته، عمّت البلاد في عهده فترة من القلق الاجتماعي والمطالبة بتحقيق الوحدة، عُرِف بكرهه للأنظمة الدستورية، ولكن ثورة عام 1848 أكرهته على منح البلاد دستوراً، أصيب باضطراب عقلي عام 1857 فتولّى الوصاية على العرش فيلهلم الأول (1858-1861). البعلبكي، منير، معجم، ص 324.

(1) العارف، عارف، المسيحية، ص 174-175، أبو جابر، رؤوف، الوجود، ص 70-71، مناع، عادل، تاريخ، ص 187، كلداني، حنا، المسيحية، ص 296-302-347، مناع، عادل، تاريخ، ص 187، الكزاندر شولش، تحولات، ص 63، رفيق، فرح، تاريخ، ج 1، ص 75-91، سنو، عبد الرؤوف، ألمانيا، ص 282-295، سنو، عبد الرؤوف، المصالح، ص 23-37، صبري، بهجت، لواء، ص 289-293، الشريف، ماهر، فلسطين، ص 323، غنايم، زهير، لواء، ص 247، المهدي، عبلة، القدس، ص 378، الدجاني، احمد، التعليم، ص 203-204، الراهب، متري، ميلاد، ص 13-15.

** الشّماسات: الكلمة مشتقة من السريانية، وتعني (خادم) وعمل في الأمور ذات الطابع الإداري والاجتماعي، كإعلان البشارة، وحمل القربان المقدس وتوزيعه، وتعليم الكتاب المقدس، ويحق له منح العمّاد، ومباركة الزواج كشاهد كنسي، وينوب عن الكاهن بتقويض من السلطة الكنسية، ولا يحقّ له ممارسة سرّ التوبة وسرّ الكهنوت. القضاة، أحمد، نصارى، ص 376.

(2) سنو، عبد الرؤوف، المصالح، ص 33-34، الراهب، متري، ميلاد، ص 17-18.

فلسطين بعد تعرّض القدس لوباء عام (1266هـ / 1850 م)، وجئن بطلبٍ من المطران غوبات، وبدأن العمل في القدس بافتتاح مستشفى بروتستانتى، ومدرسة للبنات تدعى " طاليثا قومي"، وكانت فكرتهما قائمة على نهضة المرأة العربية⁽¹⁾، واعتمد تمويل الأسقفية في البداية على بروسيا وإنجلترا؛ إذ لم يكن بمقدور الرعايا أو الأوقاف الخاصة بهذه الأسقفية تغطية النفقات المطلوبة، وكان الأسقف* يعين بالتناوب بين التاج البروسي والتاج البريطاني، وشدد وزير الأديان البروسي على أنه يجب استغلال فترة السلام التي تنعم بها تركيا، والعلاقة الحسنة القائمة بينها وبين الدول الأوروبية لدعم الوجود الإنجليي الألماني في الشرق وإقامة مستعمرات ألمانية في الشرق يوماً ما، ودعا إلى التبرّع لصالح الكنيسة، وتوقع الوزير افتتاح المستشفى الألماني، وإنشاء المدرسة الألمانية في القدس مستقبلاً،⁽²⁾ وفي عام (1261-1262هـ / 1845-1846 م) أصبح لبروسيا الحق في تعيين خليفة للأسقف الإنجليزي ميشيل سولومن ألكسندر (Michael Solomon Alexander) (1214_1261هـ / 1799_1845م)**، فاختارت بروسيا المرسل السويسري الأصل المطران صموئيل غوبات (Samuel Gobat)***

(1) الراهب، متري، ميلاد، ص 17-18.

* الأسقف أو المطران: يأتي بعد البطريرك، ويشرف على شؤون الكنيسة داخل المدينة التي يعيش بها، وهو وحده الذي يمنح سرّ الكهنوت للشماس فيصير كاهناً، وينظم المنطقة التي يقيم فيها والتي تسمى الأبرشية، ووضعت الدولة العثمانية شروطاً خاصة لمن يتولّى هذا المنصب منها أن يكون من رعايا الدولة العثمانية، وعارفاً بعلوم الكنيسة. القضاة، أحمد، نصارى، ص 374-375.

(2) كلداني، حنا، المسيحية، ص 309-310، المهدي، عيلة، القدس، ص 379، الدجاني، أحمد، التعليم، ص 205، الراهب، متري، ميلاد، ص 16.

** ميشيل سولومن ألكسندر: ولد عام 1799م من والدين يهوديين في مدينة شينكلاكة (Schonlake) في دوقية بوزن (Bosen) الألمانية، وفيها تربى على مبادئ التلمود، ولدى بلوغه السادسة عشرة أصبح معلماً للتلمود وللغة الألمانية في المدارس اليهودية هناك، عام 1820م سافر إلى إنجلترا وهو في الحادية والعشرين من عمره لتعليم التلمود واللغة العربية، ثم عين حاكماً في بلاتموت (Phymouth)، وتصرّر عام 1825، وعمل في جمعية لندن مبشراً، ثم عاد إلى لندن وبقي فيها حتى تمّ اختياره لأسقفية القدس. محافظة، علي، العلاقات، ص 41، القضاة، أحمد، نصارى، ص 127.

*** صموئيل غوبات: ولد في 26 كانون الثاني عام 1799م في قرية صغيرة في منطقة جورا (Jura) الفرنسية ودرس في مدارسها، وتربى في أحضان الكنيسة الإصلاحية في سويسرا، وتدرّب على التبشير في معهد بازل (Bsel) وتعلّم اللغة العربية في باريس، عمل مبشراً في الحبشة ثم مالطا، وفي عام 1846 تمّ تعيينه من ملك بروسيا كمطران للقدس، قضى خلالها مدة 33 سنة كأسقف إلى حين وفاته في 11 أيار 1879م ودفن في المقبرة الإنجيلية على جبل صهيون في المدينة المقدسة. محافظة، علي، العلاقات، ص 44-50، رفيق، فرح، تاريخ، ص 107-108، القضاة، أحمد، نصارى، ص 109-110.

(1214-1296هـ / 1799-1879م) عضو جمعية المرسلين للكنيسة الأنجليكانية*، فزاد نفوذ القساوسة الألمان على حساب الإنجليز، خاصةً بعد عام (1287هـ / 1870 م)⁽¹⁾، ويعدّ غوبات أحد أبرز صانعي البروتستانتية في فلسطين، فعمل على إبراز أهمية البلاد المقدسة للعالم المسيحي، خاصةً البروتستانت، ومن خلال منصبه عمل على تأسيس 25 مدرسة بروتستانتية، و12 كنيسة بروتستانتية، إضافةً إلى ذلك، طلب من جمعيات تبشيرية ألمانية مختلفة أن تأتي وتبدأ العمل في فلسطين، وصاغ لها اتفاقية (Gentlemen Agreement) بموجبها أعلن أنّ شمال فلسطين سيكون منطقة العمل التبشيري الإنجليزي، وجنوب فلسطين يكون للألمان، وبناءً على هذا التقسيم توجد الكنائس اللوثرية اليوم في جنوب القدس، في حين أنّ الكنائس الأنجليكانية تقع في الشمال، ويبدو أنّ جهود المطران غوبات كان مهماً لتأسيس الكنيسة اللوثرية.⁽²⁾

وفي الثمانينيات من القرن التاسع عشر الميلادي، لم تعد مصالح ألمانيا تحتمّ عليها الإبقاء على الاتفاقية البريطانية - البروسية الموقعة (1257هـ / 1841م)، خصوصاً أنّ ألمانيا أخذت تشعر بنفوذها وقوتها في الشرق، بعد توحيدها سنة (1288هـ / 1871م)، فحازت على مكانة كبيرة في أوروبا، ونظراً إلى زيادة عدد الألمان في فلسطين، وتفوّقهم على عدد الإنجليز، وازدياد عدد مؤسساتهم الدينية والخيرية⁽³⁾ وبسبب تنامي قوّة النفوذ الألماني والأصوات التي تعالت بضرورة إلغائها انهارت الاتفاقية عام (1304هـ / 1886م)، في المقابل، صار القسم الألماني من الأسقفية يدار من معهد القدس الإنجيلي، أو مؤسسة القدس الإنجيلية، واستطاعت أن تكون ندّاً للمطرانبة، وبعد ذلك أسّس المعهد اللوثرية الألماني العربي.⁽⁴⁾

* الكنيسة الإنجليكانية أو " الإنكليكانية ": وهي مطرانية مشتركة أسستها إنجلترا وبروسيا في القدس عام 1841 وعلى إثرها جاء الاعتراف الرسمي من الدولة العثمانية عام 1850 بالطائفة البروتستانتية كملّة رسمية في البلاد، وفي عام 1886م انسحبت منها ألمانيا إثر مشكلات حدثت بين البلدين حول الصلاحيات، وتعيين الأسقف داخل الكنيسة، وبفضل تنامي دور ألمانيا كقوة عالمية. سنو، عبد الرؤوف، المصالح، 23-47.

(1) كلداني، حنا، المسيحية، ص 333، رقيق، فرح، تاريخ، ج1، ص 107-112، مناع، عادل، تاريخ، ص187، الراهب، متري، ميلاد، ص14-17.

(2) بنورة، توما، تاريخ، ص 135، الراهب، متري، ميلاد، ص 17.

(3) كلداني، حنا، المسيحية، ص 362-364، الراهب، متري، ميلاد، ص 20، قائمة، مناج، العلاقات، ص10-18.

(4) العارف، عارف، المسيحية، ص 174-175،، كلداني، حنا، المسيحية، ص 309-363، أبو جابر، رؤوف، الوجود، ص 70-71، سنو، عبد الرؤوف، المصالح، ص 49، الراهب، متري، ميلاد، ص20.

وحتى أواخر القرن التاسع عشر الميلاديّ، اقتصرّت جهود ألمانيا على تنمية العلاقات التجارية مع الدولة العثمانية، ودعم الوجود الألمانيّ، واتّباع سياسة الترويج للمسيحية، وإظهار وجهها السلميّ، وحتى أنّ المستعمرات الألمانية في الأراضي المقدّسة لم تخرج عن هذه السياسة، ولم تشكّل عملاً عدوانياً لأهل فلسطين؛ لأنّ مثل هذه المشروعات لم يكن يسمح لها أن تهدّد العلاقات مع القسطنطينية، بل إنّ دولة الرايخ* (Deutsches Reich) الألمانيّ أخذت دور إنجلترا بوصفها المدافع الأوّل عن وحدة أراضي الدولة العثمانية، وهذا الوضع لم يتخلل إلا بفعل الحركة الصهيونية، وبحثها عن شريك بين الدول الكبرى، وما آلت إليه الحرب العالمية الأولى من انهزام ألمانيا وحلفائها.⁽¹⁾

وبسبب التقارب الإيجابيّ والعلاقات الدبلوماسية مع السلطان عبد الحميد الثاني*، الذي يرى أنّ ألمانيا بقيادة القيصر ولهام الثاني (1306-1337هـ/1888-1918م) لا تريد السيطرة والاحتلال بهدف الاستعمار، مثل بريطانيا وفرنسا، فإنّ ألمانيا راحت تبحث عن مجالها الحيويّ، فوجدته في الدولة العثمانية، واعتقد القيصر بضرورة تقوية العلاقات مع الدولة العثمانية لحلّ مشكلات ألمانيا الاقتصادية، لا سيّما أنّ القوة الإنتاجية الصناعية في ألمانيا في تزايد مستمرّ، وتجارة ألمانيا في توسّع، وقد أضحت مستقبلها الاقتصاديّ مرتبطاً بمقدرات إستانبول.⁽²⁾

ونظراً لازدياد النفوذ الأجنبيّ في فلسطين، وزيادة حدّة التغلغل فيها، فيما يطلق عليه الاستعمار الحديث، الذي أثار حدّة الخلافات بين الدول العظمى، وأثار حفيظة الدولة العثمانية، التي انتهجت خطوات مهمة للحفاظ على ممتلكاتها، ولا سيّما في متصرفيّة القدس، التي أولتها اهتماماً خاصّاً، برزت عملية السيطرة والتغلغل الأجنبيّ بشكل عامّ، والألمانيّ بشكل خاصّ في مرحلتين هما:

* الرايخ: (Reich) كلمة ألمانية معناها: الدولة، تحوّر مدلولها مع بداية العصر الحديث ليصبح بمعنى: الإمبراطورية الرومانية المقدسة (1563-1806م) من باب الدلالة على سعتها، وبعد اختفاء هذه الإمبراطورية وتفتتها إلى أجزاء انحسر استعمال هذه التسمية لتظهر من جديد حينما قام بسمارك بتوحيد الإمارات الألمانية عام 1871م، وقد استمرت حتى نهاية الحرب العالمية الأولى (1918م) وأطلقت في فترة الحكم النازي مرة أخرى. الخطيب، مصطفى، معجم، ص 203-204.

(1) الكزاندر، شولش، تحولات، ص 75-76.

(2) العبدالله، عيسى، السياسة، ص 91.

المرحلة الأولى: امتدت ما بين عامي (1275-1284هـ/1858-1867م)، تميّزت هذه المرحلة بالتنافس بين الدول الأجنبية من أجل تملك العقارات والأراضي بشتى الطرق والوسائل، مستغلة فترة الهدوء التي رافقت انتصار الدولة العثمانية على روسيا في حرب القرم* (1271هـ/1854م)، وإزاء ذلك تشدّدت الدولة العثمانية بالفرمانات والأذونات والإجراءات، التي تحدّ من تملك الأجانب للعقارات، خصوصاً في حال عدم الحصول على إذن مسبق من الدولة العثمانية، وفي عام (1283هـ/1866م) صدر تعميمٌ مشدّد من متصرف ولاية سوريا إلى متصرفية القدس، دعا فيه إلى الالتزام بالفرمانات والأوامر القاضية، بمنع الأجانب من تملك الأراضي،⁽¹⁾ لكنّ هذا التشدّد في موقف الدولة لم يمنع قيام تجاوزات على القوانين والأنظمة بطرق التحايل والرشوة والتجنّس بالجنسية العثمانية، وتسجيل الأراضي في الدوائر الرسمية بأسماء لا قيد لها في سجلات النفوس أو بأسماء مستعارة من حملة الجنسية العثمانية في حجج وعقود خارجية، واستخدام أبناء الطوائف المسيحية واليهودية المحلية لشراء الأراضي بحكم جنسياتهم العثمانية.⁽²⁾ وزودتنا سجلات محكمة القدس الشرعية بعددٍ من الشواهد الحية على أساليب التحايل منها: أنّ جورجى الرومى التتكيّ (Georgi Al – Roumi Tinggi) من رعايا دولة ألمانيا اشترى جميع قطعة الأرض الواقعة خارج القدس الشريف، ومن أراضيها الكائنة جهة باب الخليل**، وأنّه نظراً لعدم وجود الرخصة بالتملك لتبعية الدول الأجنبية تحرّرت بالبيع المذكور

* حرب القرم: سميت بهذا الاسم لوقوعها في شبه جزيرة القرم شمال البحر الأسود. نشبت هذه الحرب بين الدولة العثمانية بمساعدة فرنسا وبريطانيا ضد روسيا، تعدّ حرب القرم من أهمّ أزمات المسألة الشرقية، بحيث بلغت المسألة الشرقية ذروتها في حرب القرم، فقد تحوّل الصراع في هذه الحرب إلى صراع أوروبى أوروبى، ووصل هذا الصراع إلى حدّ المواجهة العسكرية بين الدول الأوروبية، خاصة بين روسيا وبريطانيا. عامر، محمود، دخان، مروان، تاريخ، ص322-326، شراب، محمد، موسوعة، ج1، ص 348-349.

⁽¹⁾ العارف، عارف، المفصل، ص 393، أبو بكر، أمين، ملكية، ص583، غنايم، زهير، لواء، ص 42-43، نعمة الله، إبراهيم، الرملة، ص95.

* الفرمان: مصطلح عثماني، فارسيّ الأصل معناه: أمر أو حكم أو دستور موقع من الملك، استعمله الأتراك ليدلّ على المرسوم الصادر عن الديوان السلطانيّ، والسرّ عسكر، أي القائد العام، وقد أنيط هذا المنصب (1256هـ-1841م) بالصدر الأعظم، محمد سليم باشا، الذي يعدّ شخصية عسكرية قوية، شاركت في إصلاح الجيش وتنظيمه (1241هـ-1826م)، ولها باع طويل في إدارة شؤون ولاية الشام. الخطيب، مصطفى، معجم، ص338، أبو بكر، أمين، متصرفية، ص 52

⁽²⁾ أبو بكر، أمين، ملكية، ص583، الشناق، محمود، العلاقات، ص 40-212، نعمة الله، إبراهيم، الرملة، ص95-96. ** باب الخليل: يقع في وسط السور الغربى للمدينة، وقد عرف قديماً باسم باب يافا، وعرف كذلك باسم باب محراب داود. القدس، شراب، محمد، موسوعة، ج1، ص 154.

حجة شرعية مؤرخة في نصف سنة سبع وسبعين ومايتين وألف باسم يعقوب بن متري البروتستانتية الرومي من رعايا الدولة العلية، نيابة عن اسم جورجي المذكور، ووضع جورجي يده على الأرض المذكورة، وعمر بها داراً مشتملة على بيوت ومساكن⁽¹⁾، تدل هذه الوثيقة على أحد أساليب التحايل الذي كان متبعاً من الأجانب، رغم التعميمات التي أصدرها والي سورية إلى متصرف القدس سنة (1283هـ / 1866م).⁽²⁾

ومن الجدير ذكره أنه قبل إعلان قانون تملك الأراضي، وفي هذه الفترة بالذات، كانت البيوعات تتم بعد صدور إرادة سلطانية، وذلك بإعطاء الإذن بالشراء لبعض الدور والأراضي داخل القدس وخارجها، فعلى سبيل المثال: أنه بموجب الإرادة السلطانية الصادرة يرخص إلى دولة بروسيا شراء عن طريق الاستحكار الشرعي جميع الدار الكبيرة القائمة برأس عقبة، بثمن وقدره (35) ألف قرش، المعروفة بدار المرحوم (محيي الدين أفندي) سكناً لجانب القنصل المشار إليه، وشراء أرض وقفية خارج السور، جهة القبلة بجوار زاوية (النبي داود)، مساحتها (2850) ذراعاً - بذراع العمل المعتاد - وأنّ بدل كلّ ذراعٍ ليرة واحدة فرنساوية* إلى القنصلية الألمانية، بعد أن وجهت إرادة سنّية بذلك إلى حضرة الصدر الأعظم لتبليغها إلى المعنيين.⁽³⁾

المرحلة الثانية: (1284-1332هـ / 1867-1914م)، وتمتد هذه المرحلة من تاريخ إصدار الدولة العثمانية قانون السماح للأجانب بالتملك عام (1284هـ / 1867م) إلى اشتعال فتيل الحرب العالمية الأولى، وتتميز بتنافس الدول الأجنبية ورعاياها على تملك العقارات في المتصرفية، شريطة أن تصادق حكوماتها على ما جاء في القانون من شروط؛ لذا قامت ألمانيا بالإسراع في التوقيع على القانون عام (1286هـ / 1869م)،⁽⁴⁾ ومنذ ذلك الوقت أصبح يرد في سجلات محاكم

(1) القدس، سجل 361، (1290هـ / 1873م)، ص 257، أبو بكر، أمين، ملكية، ص 586.

(2) أبو بكر، أمين، ملكية، ص 586.

* ليرة فرنساوية: إحدى العملات الأجنبية الذهبية التي راج استخدامها في عمليات البيع والشراء، واختلفت قيمتها خلال القرن التاسع عشر الميلادي، فكانت تساوي عام 1873م 95 قرشاً، وعام 1898م 100 قرش. وتعدّ الليرة الفرنسية أكثر العملات الأجنبية تداولاً في القدس، ويعود ذلك للعلاقات السياسية والاقتصادية بين فرنسا والدولة العثمانية. المبيض، سليم، النقود، 258، القضاة، أحمد، نصارى، ص 142، الحزماوي، محمد، التاريخ، 94.

(3) الشناق، محمود، العلاقات، ص 328.

(4) أبو بكر، أمين، ملكية، ص 587، أبو شمالة، مروان، الاستراتيجية، ص 104.

القدس الشرعية عبارات مثل: "بناءً على الرخصة الصادرة من قبل حضرة مولانا السلطان، نصره العزيز الرحمن، لتبعية دولة ألمانيا بتملكها في أراضي الدولة العثمانية المحروسة حسب النظام المعمول به"،⁽¹⁾ وبهذا الإجراء استفاد الرعايا الألمان في تحقيق أكبر قدر من شراء العقارات، فقد ذكر الملاك الألماني بركم (Bergheim) في رسالة إلى القنصل الألماني يشير فيها إلى "أن الامتيازات التي صدرت من الدولة العثمانية تجاه ألمانيا، والتي قبلتها الإمبراطورية الألمانية العظمى بخصوص تملكها الأملاك في البلاد المحروسة، خصت هذه المعاهدة الألمان بالتملك، وأعطتنا إمكانية تحقيق المنافع من خلال إعمار المحلات التي نرغب المداخلة فيها"،⁽²⁾ وتظهر الوثائق المختلفة التي يطلب من خلالها الألمان الحصول على رخص بناء في اللواء مدى حرصهم الشديد على شراء العقارات، ما يدل على اهتمامهم بالمنطقة، ويطلعنا الأرشفة الألمان على وثائق حيّة تدخلت بها القنصلية الألمانية في القدس من أجل الحصول على رخص بناء منها: طلب الخواجة كوتليب كبارتر (Kotlib Gebarter) رخصة بناء من جهة الاختصاص لأجل بناء أربعة بيوت على أرضه الخاصة الكائنة خارج القدس (1274هـ / 1857م)، ويطلب الألماني كارن كيرشنر (Karen Kirchner) عام (1275هـ / 1858م) رخصة لبناء مخزن وستة بيوت بالأرضين الواقعة بالبقعة* ويقدم كذلك الخواجة فريدريك إيبركر الألماني (Frederick Iberker) للحصول على رخصة من أجل إنشاء عشرة بيوت وأربعة مخازن بأرضه الواقعة بالبقعة عام (1275هـ / 1858م)،⁽³⁾ وهذا يدل على زيادة اهتمام الألمان بالبناء، من خلال توسعهم خارج أسوار مدينة القدس، حيث أقاموا الحي الألماني (الكولونية الألمانية).

وهكذا تهيأت الأسباب لتسارع السيطرة على الأراضي في المتصرفية، التي شهدت حملة كبيرة من الأجانب والألمان للشراء والبناء، والتي تركّزت على بناء الأديرة والكنائس والمدارس

(1) القدس، سجل 360، (1288هـ / 1871م)، ص 52-53، أبو بكر، أمين، ملكية، ص 588

(2) AGCJ, File 459, 4, (1858AD/1273AH), p8. أنظر ملاحق شكل رقم (2).

* البقعة: تقع في ظاهر مدينة القدس من جهة الغرب إلى جهة القبلة، بها كروم وبساتين وأنواع من الفواكه والعنب وغيره، وتعدّ من أحسن الأماكن في القدس، وفيها قصور مبنية بالبناء المحكم، شراب، محمد، موسوعة، ج 1، ص 169، صالحية، محمد، مدينة، ص 41.

(3) AGCJ, File 442, 3, (1858AD/1275AH), p23-54.

والمشافي والنزل والفنادق والبنوك والوكالات والشركات الصناعية والشحن والملاحة والسفر، كما امتدّ التوسّع ليشمل شراء الأراضي الزراعية لغرض الاستثمار، وطالت عمليّات التغلغل الألمانيّ في المتصرفيّة المدن والقرى والأرياف، وتمثّل ذلك بإقامة مستوطناتٍ في حيفا ويافا والقدس، وبذلك نجحت جماعة الهيكل، وهم المستعمرون الألمان الوحيدون الذين حصلوا "لأسباب إنسانيّة" على دعمٍ دبلوماسيّ من اتّحاد شمال ألمانيا لمشاريعهم الاستيطانية في الدولة العثمانيّة.⁽¹⁾

ولا شكّ في أنّ التطوّرات السياسيّة العالميّة، التي شهدتها الساحة الأوروبيّة المتزمنة مع إعلان قانون التملّك قد ألقت بظلالها على مسيرة التغلغل، الذي استهدف أراضي المتصرفيّة، ومن تلك التطوّرات: ظهور ألمانيا الاتّحاديّة، كدولةٍ موحّدةٍ في مطلع سبعينيّات القرن التاسع عشر (1288هـ/ 1871م) كقوةٍ لها وزنها السياسيّ والعسكريّ على الصعيدين العالميّ والأوروبيّ؛ ولذلك تلاشى اسم بروسيا، الذي تردّد باستمرار في يوميّات المحاكم الشرعيّة، وحلّ محله اسم "إمبراطوريّة ألمانيا"⁽²⁾، وبالتالي فإنّ الوفاق الودّيّ بين برلين ولندن، قبل ظهور ألمانيا الفدرالية عام (1257هـ/ 1841م)، والقائم على التعاون في حماية البروتستانت في الأراضي المقدّسة، قد انفرط عقده إثر تنامي نزعة التوسّع الألمانيّ على حساب الدول المجاورة، إضافةً إلى الانتصارات الكبيرة التي حققتها الجيوش الألمانيّة في ميادين القتال على الأراضي الفرنسيّة وغيرها، واحتلال باريس، وتتويج ملك بروسيا (1288هـ/ 1871م) إمبراطوراً على عرش الإمبراطوريّة في قصر فرساي* تحت اسم "إمبراطور ألمانيا وملك بروسيا"⁽³⁾؛ لذلك وانسجاماً مع السياسة الألمانيّة العامّة، بعد عام (1288هـ/ 1871م) كان لا

(1) سنو، عبد الرؤوف، ألمانيا، ص 36.

(2) القدس، سجلّ 378، (1306هـ/ 1889م)، ص 79، سجلّ 383، (1311هـ/ 1894م)، ص 207، سجلّ 391، (1316هـ/ 1898م)، ص 88-89، سجلّ 392، (1317هـ/ 1899م)، ص 17، ص 173، ص 231، سجلّ 398، (1323هـ/ 1905م)، ص 65، أبو بكر، أمين، ملكيّة، ص 589، عبد الرؤوف، سنو، ألمانيا، ص 35، خليفة، ماطي، بوخيزة، علي، ألمانيا، ص 11.

* قصر فرساي: يقع القصر في الجزء الغربيّ من مدينة فرساي، الواقعة شمال فرنسا، بناه لويس الرابع عشر في القرن السابع الميلاديّ، وكان المقرّ الرسميّ للأسرة المالكة لأكثر من 100 عام، وفي الوقت الحالي، تمّ تحويل القصر إلى متحف وطنيّ، يبلغ طوله نحو نصف كيلو متر. الموسوعة العربيّة، ج 17، ص 299.

(3) القدس، سجلّ 391، (1316هـ/ 1898م)، ص 88-91، أبو بكر، أمين، ملكيّة، ص 589، خليفة، ماطي، بوخيزة، علي، ألمانيا، ص 11-12.

بدّ أن تسجّل ممتلكات جميع المؤسسات الألمانية في أراضي السلطنة العثمانية على اسم الرايخ الألماني⁽¹⁾، وفي عام (1303هـ/1885م) بدأ قنصل ألمانيا العمل في القدس، بصفته مندوباً عن إمبراطور ألمانيا وملك بروسيا.⁽²⁾

وتتّضح أبعاد التغلغل الألماني في لواء القدس، من خلال زيارة كبار المسؤولين الألمان، ونشاط القنصلية الألمانية في القدس ويافا، والعلاقات الوثيقة المتطورة التي تربط بين إستانبول وبرلين، ففي عام (1286هـ/1869م) زار فريدريك فيلهلم الثالث (Frederick Wilhelm III) * (1247-1306هـ/ 1831-1888م) ولي عهد بروسيا (ألمانيا) مدينة القدس بعد مشاركته في الاحتفال بتدشين قناة السويس عام (1285هـ/ 1869م)، وحظي خلال الزيارة بقطعة من الأرض في محلة الدباغة** (جزء من أرض المارستان الصلاحي) كهدية رمزية قدّما له السلطان العثماني عبد العزيز (1278-1293هـ/ 1861-1876م)***، وقد دشنت فيها فيما بعد الكنيسة الأنجليكانية الألمانية، التي عرفت بكنيسة الدباغة، أو كنيسة المخلص.⁽³⁾

وتظهر أبعاد هذه التغلغل داخل الدولة ما ترتّب على الحرب بين روسيا والدولة العثمانية عام (1294هـ/ 1877م)، أن طرد القنصل الروسي من القدس، وطلبت الدولة العثمانية من الرعايا الروس مغادرة الأراضي، فبادر القنصل الألماني إلى التعميم على قنصليات

(1) سنو، عبد الرؤوف، المصالح، ص 140.

(2) المهدي، عبله، القدس، ص 392.

* فريدريك فيلهلم الثالث (Frederick Wilhelm III) (1831-1888م): ملك بروسيا وإمبراطور ألمانيا من 9 مارس إلى 15 يونيو 1888م الابن الأكبر للإمبراطور فيلهلم الأول (Wilhelm I) وخليفته، شارك وهو ولي للعهد في حرب الأسابيع السبعة عام (1866) والحرب الفرنسية الروسية (1870-1871)، أصيب بسرطان الحنجرة عام (1887م) ومات به، فخلفه ابنه الإمبراطور فيلهلم الثاني (Wilhelmm II). البعلبكي، منير، معجم، ص 323.

** محلة الدباغة: هي أرض من الوقف الإسلامي، كانت تؤلف قسماً من المستشفى (المارستان) الصلاحي، الذي أقامه صلاح الدين الأيوبي بعد فتح القدس. شراب، محمد، موسوعة، ج1، ص 410.

*** عبد العزيز: ولد سنة (1245هـ/1829م)، تولى العرش وله من العمر 32 سنة، في عهده شهدت الدولة العثمانية عدداً من الإصلاحات التي عرفت بالفرمانات الهمايونية، ومنها حق انتقال الأراضي الأميرية إلى وراثتها، ووضع مجلة الأحكام العدلية للمحاكم النظامية. عامر، محمود، دخان، مروان، تاريخ 274.

(3) المعلوف، دواني، ص 425، السركيس، خليل، جلالة، ص 13، الأسود، إبراهيم، رحلة، ص 130، الدباغ، بلادنا، ج10، ق2، ص 42، محافظة، علي، العلاقات، ص 64، أبو بكر، أمين، ملكية، ص 589-590، شراب، محمد، موسوعة، ج1، ص 410، المهدي، عبله، القدس، ص 386.

الدول العظمى بما يفيد بأنّ بلاده قد وضعت تحت حمايتها الرعايا والممتلكات الروسية، ورفعت العلم الألمانيّ على مبنى المسكوبية* فور مغادرة القنصل الروسي، وبعد نحو شهر رست أربع قطع حربيّة من الأسطول الألمانيّ في ميناء يافا للتأكيد على الحضور الألمانيّ السياسيّ والعسكريّ في المتصرفيّة، واستعدادها لمواجهة القوى الأخرى،⁽¹⁾ كما قام المستعمرون الألمان بتحسين مستعمراتهم في فلسطين، وعمدوا إلى التدريب العسكريّ، كما فعل اليهود خشية ردّة فعل المسلمين وعدائهم للأوروبيين.⁽²⁾

زيارة الإمبراطور الألمانيّ إلى مدينة القدس: كان للتطور الإيجابيّ في العلاقات الألمانيّة – العثمانيّة، التي أكدها الزيارات الرسميّة المتعدّدة، وفي طليعتها زيارة القيصر فيلهلم الثاني (Wilhelm II) * والإمبراطورة أوغستا فكتوريا (Aurste Viktoria) للقدس عام (1316هـ / 1898 م)، باعتبارها أرفع وفد ألمانيّ يزور المنطقة، أثناء حكم السلطان عبد الحميد الثاني، و رست باخرة القيصر في ميناء حيفا، حيث نزل القيصر وبصحبه أكثر من مائتين من الموظفين والأتباع والحرس،⁽³⁾ في حين اتخذت الدولة العثمانيّة عدداً من الاجراءات لاستقبال الزائر الكبير منها هدمها عدداً من المنازل القديمة في حيفا، وأعدّت رصيفاً طوله سبعين متراً لرسو الباخرة، وعند رسوّها في ميناء حيفا أطلقت قلعة عكا واحداً وعشرين قذيفة

* المسكوبية: وهي الكنيسة الروسية التي بنيت عام (1275هـ/1858م) خارج سور القدس على بعد ألف متر من باب الخليل الغربيّ، ويحيط بها سور، وتقع فيه دار للأسقفية الروسية وأخرى للقنصلية وكنيستان، ويحتوي على منازل للحجاج من الروس. العارف، عارف، المفصل، ج1، ص 536-537، القضاة، أحمد، نصارى، ص 386.

(1) أبو بكر، أمين، ملكية، ص590، أبو جابر، رؤوف، الوجود، ص 99، الهنداوي، سهام، التطور، ص 177.

(2) هنداوي، سهام، التطور، ص 177.

** فيلهلم الثاني (Wilhelm II): ولد في برلين عام 1859م، ومات في دورن في هولندا عام 1941م، يذكر في المصادر العربيّة غيلوم الثاني، كان قيصرًا للرايخ الثاني الألماني من عام 1888 حتى عام 1918، إلى جانب كونه ملكاً لبروسيا، وهو ابن فريدريك الثالث، وحفيد ولهم الأول، كان نزاعاً إلى التفرد في الحكم مؤمناً، مثل جده، وقد دفعه ذلك إلى إقالة المستشار بسمارك من منصبه، وعمل على تعزيز الأسطول الألمانيّ، وفي عهده خاضت ألمانيا غمار الحرب العالميّة الأولى، وبعد الهزيمة أكره على التخلي عن العرش، وعاش بقية حياته في هولندا. البعلبكي، منير، معجم، ص 497، عبد الفتاح، عصام، أطلس، ص 26.

(3) سركيس، خليل، جلاله، ص 9، العارف، عارف، المفصل، ص298، الدباغ، بلادنا، ج10، ق2، ص49-94، أبو جابر، رؤوف، الوجود، ص 97، سنو، عبدالرؤوف، رحلة، 1-7، شراب، محمد، موسوعة، ج1، ص 410، شتاينغر، ولف، ألمانيا، ص 21-25، يزيك، محمود، النظم، ص 332، المهدي، عبلة، القدس، ص 386،، العبدالله، عيسى، السياسة، ص 91-92، قائمة، مجناح، العلاقات، ص22، خلف، تيسير، وصف، ص15-16. Glenk, Helmut, From

Desert, p33-34

مدفعية ترحيباً بهذه الزيارة،⁽¹⁾ وبنزوله في حيفا خالف التقاليد السائدة بنزول الزوار في مدينة يافا، وكان سبب ذلك شدّ أزر الهيكلين الألمان (Deutsche Templgesellschaft)* الموجودين في المستوطنة الألمانية على سفح جبل الكرمل في حيفا،⁽²⁾ حيث التقى هناك بجماعة الهيكلين (Templars)، وتفقد مؤسساتهم كما زار القنصلية والمؤسسات الألمانية فيها،⁽³⁾ ومنذ ذلك الحين شعر فرسان الهيكل بأنهم الأقوى بين جميع الأجانب القاطنين في حيفا،⁽⁴⁾ وزار القيصر بعد ذلك يافا،⁽⁵⁾ وكان في استقباله عددٌ من الجنرالات الألمان والقادة العثمانيين⁽⁶⁾، إضافةً إلى عددٍ كبيرٍ من أفراد الجالية الألمانية، البالغ عددهم نحو أربعة آلاف، فتحدثت نيابةً عنهم الخواجة هنري ويبر (Henry Weber) رئيس الجالية الألمانية في يافا، وزار أيضاً المستعمرة الألمانية سارونا* (Sarona)، المستعمرة الألمانية الثانية في يافا، وخرج لاستقباله تلاميذ المدرسة الرشيدية حاملين الأعلام والرايات العثمانية والألمانية.⁽⁷⁾

(1) سركيس، خليل، جلاله، ص 14، الأسود، إبراهيم، الرحلة، ص 99، رفيق، فرح، تاريخ، ج 1، ص 178-179، عبد الرؤوف، سنو، رحلة، ص 4-5، الدومان، مراد، ذكريات، ص 122، خلف، تيسير، وصف، ص 19.

* جمعية الهيكل الألمانية: تعود في أصولها إلى حركة الأتقياء "Pietismuss" التي ظهرت في ألمانيا في القرن التاسع عشر الميلادي في مدينة فورتمبرغ بعد أن انفصلت عن الكنيسة الإنجيلية عام 1861م، كحركة دينية إصلاحية أكدت على دراسة الكتاب المقدس، وعلى الخبرة الدينية الشخصية، وتركزت حول تيوزوفن بينجل (Theosophen Bengel)، الذي بشر بقيام مملكة الرب وعودة المسيح إلى الأرض في أعقاب الكوارث المريعة التي تنجم عن الابتعاد عن الروح المسيحية، ودعا كل رجل تقي أن يبحث له عن مكان في الشرق لقرب قيام مملكة الرب هناك. محافظة، علي، العلاقات، ص 100، نعمة الله، إبراهيم، الرملة، ص 94، أبو شمالة، مروان، الاستراتيجية، ص 90، Aaronsoh, Ran, Rothschild, p38, Glenk, Helmut, From Desert, p1

(2) أبو بكر، أمين، ملكية، ص 590.

(3) سنو، عبد الرؤوف، رحلة، ص 6.

(4) يزبك، محمود، النظم، ص 332.

(5) سركيس، خليل، جلاله، ص 9، الدباغ، بلاندا، ج 10، ق 2، ص 87، سنو، عبد الرؤوف، رحلة، ص 7، أبو جابر، رؤوف، الوجود، ص 97، خلف، تيسير، وصف، ص 15-16.

(6) سركيس، خليل، جلاله، ص 10-11.

** سارونا: تحريف كلمة " صارون " الكنعانية، بمعنى سهل، قرية تقع شمال شرقي مدينة يافا، على الطريق المؤدي إلى يافا، أقيمت على أرضها مستعمرة ألمانية عام 1871م، كان يوجد بها 150 ألماناً مساحتها 1516 دونماً، وجدت بها مزارع الحمضيات شمال غربي القرية، وفي عام 1948م شرد أهلها من اليهود وضمت إلى بلدية تل أبيب. الدباغ، بلاندا، ج 4، ق 2، ص 358، شراب، محمد، معجم، ص 438.

(7) الاسود، إبراهيم، الرحلة، ص 108-110، الدباغ، بلاندا، ج 10، ق 2، ص 86-87، سنو، عبد الرؤوف، رحلة، ص 7، خلف، تيسير، وصف، ص 22.

بعد ذلك تحرّك الإمبراطور الألمانيّ في عربة من يافا إلى القدس، تعود ملكيّتها إلى أحد أغنياء القدس، وهو يعقوب أبو شاكّر، الذي كان يملك العربات والخيول في القدس، وهي عربة تتسع إلى 12 شخصاً، ويربط عليها ثلاثة رؤوس من الخيل، وكانت مغلقة، وتلقّى أبو شاكّر من الإمبراطور نيشاناً، ثمّ منحتة الحكومة التركيّة لقب أغا،⁽¹⁾ وسار الموكب إلى القدس عن طريق الرملة*، فاللطورون**، فقرية أبو غوش***،⁽²⁾ ولما وصلوا إلى مكان رأوا منه القدس، ترجّل الإمبراطور والإمبراطورة، وصليا لله صلاة الشكر، ودخلا المدينة، وكان في استقبالهما والي المدينة وأشرافها وأهلها وقومندان العساكر الشاهانية**** وعدد كبير من الوجوه والأعيان، وكانت المدينة قد ازدانت بالأعلام والرايات، وزينت المحلات التجارية، وأقامت البلدية على الطريق من مدخل المدينة إلى كنيسة القيامة قوسين، وضعت على كلّ منهما صورة الإمبراطور والإمبراطورة، والشعار الألمانيّ، والهلال العثمانيّ،⁽³⁾

وكدليل على الحفاوة والتكريم للذين حظي بهما، فتحت ثغرة في الزاوية الشماليّة الغربيّة لسور القدس؛ كي يتمكنّا من دخول المدينة راكبين إلى الأحياء القديمة، وهما على ظهر

(1) جوهريّة، القدس، ج1، ص 156.

* الرملة: تقع إلى الشمال الغربيّ من مدينة القدس على الطريق الواصل بين القدس ويافا، وتمثل نقطة اتصال بين شمال فلسطين وجنوبها على السهل الساحليّ، وتبعد عنه 44كم، وتعدّ الممر والجسر الذي يصل يافا الساحل بالقدس الجبل وبالغور وشرق الأردن، وتحتل الرملة موقعاً مهماً ذا أهمية اقتصادية وحربية، لوقوعها على الطريق الواصل بين الشام والعراق والقدس وأريحا وشرق الأردن. شراب، محمد، معجم، ص417-420، نعمة الله، إبراهيم، قضاء، ص 2.

** اللطورون: قرية تقع على بعد 16 كم من الرملة، وفي الجهة الجنوبيّة الغربيّة من عمواس، على بعد نحو ميل منها، ترتفع (200) متر، زرعت أراضيها بالزيتون، بلغ سكانها عام 1945م (190) نسمة، يعودون إلى قرى متعددة نزلوها في القرن التاسع عشر. شراب، محمد، معجم، 639.

*** أبو غوش: وعرفت أيضاً بقرية العنب، تقع إلى الشمال الغربيّ من القدس، وعلى مسيرة نحو (13كم) قرب بيت نقوبا، مساحتها 21 دونماً، ومساحة أراضيها 7590 دونماً. الدباغ، بلادنا، ج8، ق2، ص 112-115، شراب، محمد، معجم، ص 97.

(2) الأسود، إبراهيم، الرحلة ص 111-112، الدباغ، بلادنا، ج10، ق2، ص 88، أبو جابر، رؤوف، الوجود، ص 97. **** الشاهانية: مصطلح مأخوذ من شاهنشاه، وتعني الجالس على العرش، وملك الملوك، واتخذها العثمانيون للدلالة على حرس السلطان. عامر، محمود، المصطلحات، ص 375.

(3) العارف، عارف، المسيحية، ص 181-182، الدباغ، بلادنا، ج10، ق2، ص 88.

جوادهما، وقد عرف الباب بباب عبد الحميد (باب الجديد)،⁽¹⁾ وهو ما لم نألفه من قبل عند زيارة المسؤولين المدنيين والعسكريين،⁽²⁾ ومن مظاهر الاهتمام كذلك تعبيد الطرق ما بين يافا والقدس وصولاً إلى أريحا، كما فتحت طريق جديدة من القدس إلى جبل الزيتون لمرور عربية الإمبراطور، ودهنت أبواب الحوانيت في القدس القديمة، ووضعت لأول مرة قناديل للإضاءة خارج السور، ووسّعت الطريق المؤدية إلى حيّ النبيّ داود، وطرّدت الدولة المتسولين من الشوارع، وسمّمت الكلاب الهائمة بالشوارع، وأصلحت قناة جرّ المياه من برك سليمان (قناة ماء السبيل)، بالقرب من بيت لحم بمناسبة اقتراب زيارة القيصر.⁽³⁾

كما نصبت الخيام للإمبراطور الألمانيّ، وتذكر المصادر أنّ السلطان عبد الحميد أرسل من الأستانة خيمتين للإمبراطور والإمبراطورة مع أثاثهما للقدس، وبلغ عدد الخيام خمساً وسبعين خيمة، أقيمت لهم في مضارب فوق بقعة فسيحة من الأرض تدعى الطالبية*، بالقرب من بيوت الجالية الألمانية، وأقامت الحكومة حول هذه المضارب خمسة وعشرين مخفراً، في كلّ مخفر منها حارسان، عهد إليهما بمهمة الحراسة، وحفظ الأمن، وقدمت بلدية القدس للإمبراطور والإمبراطورة صوراً تذكاريةً للقدس،⁽⁴⁾ وبعد مكوثه أسبوعاً في مدينة القدس، زار بيت لحم، وتزيّنت المدينة احتفاءً بالضيف الكبير ومرافقيه، وشجّعت مثل هذه الزيارات على ازدياد أعداد الحجّاج والزوّار، إذ ارتفع عددهم إلى عشرين ألفاً في نهاية القرن التاسع عشر الميلاديّ، وإلى أربعين ألفاً في عام (1328هـ/1910م)، ورافق ذلك تحسّن في الخدمات المختلفة، وارتفاع دخل الذين لهم علاقة مع هذه الحركة السياحية،⁽⁵⁾ وتحدّث صاحب النفائس

(1) جوهريّة، القدس، ج1، ص 59-60، العارف، عارف، المفصل، ص298، و، المسيحية، ص 181-182، الدباغ، بلادنا، ج10، ق2، ص93، 67، أبو بكر، أمين، ملكية، ص590، رفيق، فرح، تاريخ، ج1، ص 179، شراب، محمد، موسوعة، ج1، ص 410، شتاينغر، رولف، ألمانيا، ص 37.

(2) أبو بكر، أمين، ملكية، ص590.

(3) رفيق، فرح، تاريخ، ج1، ص 179-178، سنو، عبد الرؤوف، رحلة، ص 4-7.

* الطالبية: حيّ من أحياء مدينة القدس، يقع في الجهة الغربية منها وهو خارج السور. والمنازل فيه أشبه بالقصور، وفيه عدد من الأديرة، شراب، محمد، موسوعة، ج2، ص 593، صالحية، محمد، مدينة، ص 42.

(4) الأسود، إبراهيم، الرحلة، ص119، سركيس، خليل، جلالة، ص 39، العارف، عارف، المسيحية، ص 181-182،

الدباغ، بلادنا، ج10، ق2، ص89، سنو، عبد الرؤوف، رحلة، ص 4-5، خلف، تيسير، وصف، ص 27-28.

(5) أبو جابر، رؤوف، الوجود، ص 97.

العصريّة واصفاً الزيارة: " كان لها أعظم أثر في تاريخ العلاقات الودّية بين العثمانيين والألمان، بل أعظم أثر في تاريخ ما استفادته ألمانيا من تركيا من الامتيازات"⁽¹⁾، ويبرّر الإمبراطور مجيئه إلى القدس أنّها لم تكن مبنية على غايات سياسيّة، بل زيارة المدينة المقدّسة، التي مات فيها السيد المسيح،⁽²⁾ ومن أجل وضع حجر الأساس في بناء الصداقة الألمانيّة العثمانيّة والنفوذ الألمانيّ، وقد أراد الإمبراطور أن يؤكّد للسلطان العثمانيّ وخليفة المسلمين عطفه على الدولة، وشعوره الطيب نحو العالم الإسلاميّ، ففي خطبة ألقاها في دمشق قال: "أريد أن يطمئن السلطان والثلاثمائة مليون مسلم أنّهم سيجدون في إمبراطور ألمانيا صديقاً لهم على الدوام".⁽³⁾

وبلغت زيارة القيصر ذروتها بتدشينه كنيسة المخلّص الإنجيلية الألمانيّة برفقة رئيس المذاهب في برلين مع أربعين شخصاً نابوا عن الكنائس الكبرى، إضافةً إلى رجال الدولة والحاشية، وجرى اختيار يوم الاثنين 31 تشرين الأول موعداً لهذه الزيارة لمصادفته حركة الإصلاح الدينيّ في ألمانيا في 31 تشرين الأول (923هـ/1517م)،⁽⁴⁾ خلال ذلك قدّم السلطان عبد الحميد قطعةً من الأرض هديةً له، تقع بجوار مقام النبيّ داود*، بلغت مساحتها دونمين تقريباً، وكانت هذه الأرض مملوكةً للشيخ سعيد الداوديّ، وجرى تسليم هذه الأرض في احتفال مهيب، بحضور سفير الدولة العثمانيّة ببرلين، نيابةً عن السلطان، ثمّ قام متصرّف القدس، وسلّمه سندات التملك، الصادرة عن نظارة الدفتر الخاقانيّ*، وبدوره سلّمها إلى وزير خارجيته، الذي

(1) بيدس، خليل، النفائس العصرية، ج1، ص43.

(2) أبو بكر، أمين، ملكية، ص590.

(3) الدباغ، بلاندا، ج2، ص67.

(4) سركيس، خليل، جلالة، ص16، الدباغ، بلاندا، ج10، ق2، ص89، سنو، عبد الرؤوف، رحلة، ص7، خلف، تيسير، وصف، ص30-33.

* مقام النبيّ داود: من الأمكنة الإسلامية في مدينة القدس، ويشتمل على ضريح النبيّ داود، وهو اسم لا حقيقة له، حيث إنّ الناس وجدوا قبراً فبنوا عليه مقاماً، فأطلق عليه اسم النبيّ داود، وربما يكون داود رجلاً من عامة الناس، وبه مسجد، وهما متلاصقان ويقع على تلة جبل صهيون خارج السور، وتحيط به أبنية كثيرة، يقيم فيها أفراد من عائلة السدنة عائلة الدجانيّ، ويطلق على الحيّ الذي يوجد به حيّ النبيّ داود. العارف، عارف، الفصل، ص502-503، الدباغ، بلاندا، ج10، ق2، ص326، شراب، محمد، موسوعة، ج1، ص382-383، صالحية، محمد، مدينة، ص42.

** الدفتر الخاقانيّ: هي مجموعة من الأوراق والمستندات والوثائق الصادرة عن دائرة الأراضي في الدولة العثمانية، وما كان مختصاً بمعاملات تصرف الأملاك وتملكها، والإشراف على معاملات المأمورين الموجودين في الأفضية، وإبلاغ المتصرف عن كلّ موظف يتصرّف بخلاف النظام. عوض، عبد العزيز، الإدارة، ص13، غنايم، زهير، لواء، ص55.

رافقه طوال الزيارة،⁽¹⁾ واختتم الإمبراطور وعده بإقامة كنيسة كاثوليكية، ورفع العلم الألماني على هذه الأرض، وأخذ يخفق في سماء القدس، تحت سمع وبصر بريطانيا وفرنسا وروسيا أعداء ألمانيا التقليديين، وبمباركة الحبر الأعظم.⁽²⁾

وقبل أن يغادر الإمبراطور فيلهلم الثاني (غليوم الثاني) القدس، قام بتوكيل القنصل الألماني بالقدس وكالة عامة من أجل شراء نصف الحاكورة*** التي تعود ملكيتها لآل الداودي، الواقعة على مقربة من زاوية النبي داود؛ لإلحاقها بهدية السلطان عبد الحميد، وتقدير مساحتها بحساب التربيع ألفين وثمانية وخمسين ذراعاً، أي (1603.125م) بمبلغ 3000 ليرة فرنساوية، وبعد ذلك صدرت الإرادة السلطانية بالموافقة على ذلك، وسجلت الأرض باسم الإمبراطور، ووضعت 3000 ليرة في خزانة القدس، على سبيل الأمانة إلى أن يجد متولي الوقف عقاراً أو مجموعة من العقارات بما يعادل قيمة الأرض لضمان حقوق الوقف، وهو ما قام به آل الداودي فيما بعد.⁽³⁾

عملت الدولة الألمانية من خلال قنصليتها على تشجيع امتلاك الأراضي في حدود اللواء، فقاموا بامتلاك عدد من العقارات فيه، وهذا ما أكدته قنصلها في القدس الجنرال إدموند أشميدت (Edmond Shmidt) (1320-1332هـ / 1902-1914م) باعتباره بشراء الأراضي وتسجيلها باسمه، فعلى سبيل المثال: اشترى القنصل ست قطع (مساحة دونم واحد) من أراضي قرية الطور**، القريبة من أسوار القدس الشرقية من أفراد عائلة أبو غنام،⁽⁴⁾ وفي

(1) الدباغ، بلادنا، ج10، ق2، ص90-91، أبو بكر، أمين، ملكية، ص590-591، رفيق، فرح، تاريخ، ج1، ص179، سنو، عبد الرؤوف، رحلة، ص7، شراب، محمد، موسوعة، ج1، ص410.

(2) أبو بكر، أمين، ملكية، ص591.

* الحاكورة: قطعة من الأرض تحكر لزراعة الأشجار المثمرة، وتكون بالقرب من البيوت والدور، وفي ظاهر المدينة والقرية، وكانت منتشرة في مدينة القدس وخارجها، وزرعت بأنواع مختلفة من الأشجار المثمرة كالزيتون والتين والعنب والرمان والتفاح والسفرجل. العربيات، غالب، تاريخ، ص46، عقابنة، مرام، الأوضاع، 159.

(3) القدس، سجل 391 (1316هـ / 1898م)، ص89-91، 134، سجل 392 (1317هـ / 1899م)، ص17-24-25، أبو بكر، أمين، ملكية، ص591.

** قرية الطور: تقوم على جبل الطور، الواقع ظاهر القدس الشرقي، أخذت اسمها من اسم الجبل الذي تقوم عليه، وهي على موقع قرية "بيت فاجي" بمعنى بيت التين، ويقال إن السيد المسيح استراح عندها يوم قدومه من أريحا إلى القدس، وفيها أحضر المسيح جحشاً ركبه وتبعته الجموع يوم دخوله إلى القدس على أصوات التهليل، وفي القرن الرابع الميلادي أقيمت كنيسة على هذا المكان. شراب، محمد، موسوعة، ج2، ص600-601، ومعجم، ص506-507.

(4) الوعري، نانلة، دور، ص166، الشناق، محمود، العلاقات، ص331.

موقع آخر يدعى (الجورة) من أرض القرية المذكورة، اشترى أربعة دونمات، من عائلة (أبو سبيتان)، وسجلت في كوشان، وجاء في وثيقة البيع أن القنصل تعهد للحكومة السنية بعدم إحداث أي شيء من الأبنية عليها وخلافه من الأشياء الممنوعة، بدون الرخصة اللازمة من طرف الحكومة السنية⁽¹⁾، ووكل فضل الله أفندي اللاتيني العثماني من أهالي القدس، صاحب الرتبة إدموند أشميدت (Edmund Schmidt) قنصل ألمانيا بالقدس بوضع يده على كافة أملاكه وأراضيه الكائنة داخل القدس وخارجها، وفي أي محل كان، وأن يتصرف بها كيفما شاء، من الرهن والبيع والاستئجار كفك الرهن والصلح والإبراء والإقرار والتصديق، وأن يوكل عنه من يشاء، ويعزل من يشاء وكالة مطلقة عامة صحيحة شرعاً⁽²⁾. وكذلك الأمر امتلك الإمبراطور الألماني فيلهلم الثاني (غليوم الثاني) قطعة أرض قرب سور القدس،⁽³⁾ وأرض أخرى أقيمت عليها كنيسة فيما بعد للطائفة الكاثوليكية،⁽⁴⁾ ومما امتلكوه أرض بلغت مساحتها 5600 ذراع في قرية المالحه*، التي أقيمت عليها لاحقاً داراً للمسنين، كانت تحت تصرف رئيس القنصلية الألمانية في القدس المسيو ماكس بن كارل (Max Karl)،⁽⁵⁾

وأسهم قناصل ألمانيا ونوابهم في كل من القدس وحيفا ويافا في إقامة المستعمرات الألمانية، التي خصّصت في معظمها للمزروعات المختلفة كالكرمة بوجه خاص، وساعدوا المستوطنين الألمان في شراء مزيد من الأراضي لزراعتها، وعملوا على متابعة أنشطة بلادهم الاقتصادية والسياسية والتبشيرية في بلاد الشام عموماً وفلسطين خصوصاً،⁽⁶⁾ وكانت القنصلية دوماً على اطلاع دائم ومتابعة حثيثة لأمالك رعاياها في المتصرفية، إذ كانوا يحرصون على امتلاك إثباتات لملكياتهم في يافا، من خلال مخاطبة قائم مقام يافا، كما حصل في 13 حزيران لعام (1313هـ/

(1) الشناق، محمود، العلاقات، ص 331.

(2) القدس سجل 396، (1322هـ/1904م)، ص 47، سجل 397، (1322هـ/1904م)، ص 27. انظر الملاحق شكل رقم (3).

(3) القدس، سجل 395، (1318هـ/1900م)، ص 115-185، المدني، زياد، مدينة، ص 121.

(4) أبو حسين، عبد الرحيم، سعداوي، صالح، الكنائس، ص 286.

* قرية المالحه: تقع جنوب غربي القدس، وتبعد عن القدس حوالي 5 كم. تبلغ مساحتها 86 دونماً، وتحيط بهذه القرية أراضي مستعمرات يهودية. الدباغ، بلادنا، ج 8، ق 2، ص 166-167، شراب، محمد، معجم، 642-643.

(5) أبو حسين، عبد الرحيم، سعداوي، صالح، الكنائس، ص 310.

(6) الوعري، نائلة، دور، ص 167.

1895م⁽¹⁾، وجعلت جمعية بيت المقدس (Der Jerusalem Verein) * جزءاً كبيراً من ممتلكاتها في بيت لحم وبيت جالا، البالغة 5843 متراً مربعاً باسم القنصل الألماني في القدس؛ ليكون المالك لها، والممثل الشرعي لدى السلطات العثمانية، وكانت جميع الإرساليات الأوروبية تقوم بمثل هذه الخطوة؛ لضمان عدم تعرض ممتلكاتها لخطر المصادرة من السلطات العثمانية، وتكون في الوقت نفسه تحت حماية القنصلية الألمانية، وبذلك الإجراء حمت القنصلية ممتلكات الألمان،⁽²⁾ وفي سبيل تثبيت المؤسسات الألمانية وتدعيمها جرى عام (1328هـ / 1910م) إنشاء أبنية مؤسسة الإمبراطورة أوغستا فكتوريا على جبل صهيون** في القدس، التي بلغت كلفتها نحو مئة ألف جنيه إسترليني، وأصبحت مركزاً لكافة المؤسسات الخيرية الألمانية في فلسطين.⁽³⁾

ولتسليط الضوء على النفوذ الألماني وممتلكاتهم في لواء القدس، يستعرض هذا الجدول أهم المؤسسات التي عمل الألمان على تدشينها في القدس حتى عام (1329 هـ / 1911م)، والتي كانت بداية تغلغل الألمان وامتداد نفوذهم في المتصرفية:

العدد	الممتلكات	العدد	الموقع	تاريخ التأسيس	المصدر
1-	مسافر خانة لدولة ألمانيا: تقدم ثلاث وجبات طعام باليوم للفقراء	1	داخل سور القدس	1266هـ / 1850م	AGCJ File,435,8, (1913- 1916AD/1331 -1334AH),p 16

⁽¹⁾ AGCJ,File544,7,(1895AD/1313AH),p127

* جمعية بيت المقدس: هي جمعية تبشيرية أسسها البروسيون - الألمان في برلين عام 1852م، بهدف خلق الحماس التبشيري، ودعم المؤسسات البروتستانتية والجماعات الألمانية في الشرق الأدنى، ويعود الفضل في إنشائها إلى الدكتور شتراوس F.A.Strauss مساعد الواعظ في كاتدرائية برلين، وغيره من رجال الفكر والدين، وحظيت هذه الجمعية بدعم الكنيسة الوطنية البروسية ومساندتها. محافظة، عليّ، العلاقات، ص 57-59، هنداي، سهام، التطور، ص 157، أبو شمالة، مروان، الاستراتيجية، ص 91-92.

⁽²⁾ سنو، عبد الرؤوف، المصالح، ص 111.

** جبل صهيون: يقع في الجنوب الغربي من القدس، أقام البيوسيون عليه حصنهم الذي بقي في أيديهم حتى استولى عليه (داود)، وكثيراً ما كان يطلق قديماً (صهيون) على المدينة المقدسة ومعناه: الجبل المشمس أو الجاف ومن معانيه (الحصن) وهو بكسر الصاد وسكون الهاء وفتح الباء. شراب، محمد، معجم، ص 491.

⁽³⁾ محافظة، عليّ، العلاقات، ص 70.

2-	مسافر خانة تابع لدار العجزة: قدّمت خدماتها لـ 50 شخصاً باليوم	1	خارج سور القدس	1309هـ- 1892م	نفس المصدر p16
3-	مسافر خانة: قدّمت خدماتها لـ 12 شخصاً باليوم	1	خارج سور القدس على جبل الطور	1323هـ-/ 1905م	نفس المصدر p16
4-	صيدلية تابعة للراهبة ديوكنيس: تقدّم العلاج لـ 60 شخصاً	1	خارج سور القدس	1267هـ- 1851م	نفس المصدر p16
5-	صيدلية تابعة لمستشفى بكور حوليم للموسويين الألمان، استفاد منها 140 مريضاً	1	داخل سور القدس	1276هـ-/ 1860م	نفس المصدر p16
6-	صيدلية تابعة لدار العجزة، قدّمت خدماتها لـ 15 شخصاً	1	خارج سور القدس	1309هـ-/ 1892م	نفس المصدر p16
7-	صيدلية	1	خارج سور القدس على جبل الطور	1323هـ-/ 1905م	نفس المصدر p16
8-	المستشفى الألمانيّ: يحتوي على 87 سريراً	1	خارج سور القدس	1267هـ- 1851م	نفس المصدر p16
9-	مستشفى بكور حوليم للموسويين الألمان، احتوى على 88 سريراً	1	داخل سور القدس	1276هـ-/ 1860م	نفس المصدر p16
10-	مستشفى للبروتستانت الألمان، يحتوي على 77 سريراً	1	خارج سور القدس	1289هـ-/ 1872م	نفس المصدر p16
11-	مستشفى احتوى على 58 سريراً	1	خارج سور القدس على جبل الطور	1323هـ-/ 1905م	نفس المصدر p16

12-1	دار أيتام استفاد منها 130 يتيمًا	1	خارج سور القدس	1267 هـ / 1851 م	نفس المصدر p16
13-1	دار للأيتام بها 240 يتيمًا	1	خارج سور القدس	1276 هـ / 1860 م	نفس المصدر p16
14-1	دار للأيتام بها 31 يتيمًا	1	خارج سور القدس	1298 هـ / 1881 م	نفس المصدر p16
15-1	دار للأيتام بها 52 يتيمًا	1	بيت لحم	1314 هـ / 1897 م	نفس المصدر p16
16-1	مدرسة طاليفة قومي إناث، عدد الطالبات فيها 222 طالبة	1	خارج سور القدس	1267 هـ / 1851 م	نفس المصدر p16
17-1	مدرسة تتبع للبروتستانت الألمان، استفاد منها 230 طالب/ة	1	بيت لحم	1284 هـ / 1868 م	نفس المصدر p16
18-1	دار للعجزة تتبع لدولة ألمانيا: قدّمت خدماتها في ذات العام لحوالي 50 فرداً	1	قرية المالحه من أعمال القدس	1282 هـ / 1866 م	نفس المصدر p16
19-1	كنيسة بها ثلاثة رهبان وراهبة واحدة	1	خارج سور القدس	1276 هـ / 1860 م	نفس المصدر p16
20-1	كنيسة تتبع للهيكلين الألمان، بها راهبان	1	خارج سور القدس	1301 هـ / 1884 م	نفس المصدر p16
21-1	كنيسة كاثوليكية بها 6 رهبان، و 12 راهبة	1	خارج سور القدس	1303 هـ / 1886 م	نفس المصدر p16
22-1	كنيسة لجماعة البروتستانت الألمان، فيها راهبان وراهبتان	1	بيت لحم	1306 هـ / 1889 م	نفس المصدر p16
23-1	الكنيسة الإنجيلية الألمانية، كان بها ثلاثة رهبان	1	داخل سور القدس	1314 هـ / 1897 م	نفس المصدر p16
24-1	مدرسة احتوت على 271 طالب/ة	1	خارج سور القدس	1276 هـ / 1860 م	نفس المصدر p16

25-	مدرسة تابعة لجماعة الهيكليين، بها 66 طالب/ة	1	خارج سور القدس	1294هـ/ 1877م	نفس المصدر p16
26-	مدرسة لجماعة البروتستانت الألمان، بها 265 طالب/ة	1	بيت جالا	1285هـ/ 1868م	نفس المصدر p16
27-	مدرسة لجماعة البروتستانت الألمان بها 60 طالب/ة	1	بيت ساحور	1317هـ/ 1900م	نفس المصدر p16
28-	مدرسة لجماعة البروتستانت الألمان بها 25 طالب/ة	1	الخليل	1317هـ/ 1900م	نفس المصدر p16

من خلال الجدول السابق نلاحظ أنّ بداية اهتمام الألمان في السيطرة على القدس، قد بدأ من داخل السور، ثمّ امتدّ إلى خارجها، ويعود سبب التوسّع خارج السور إلى كثافة السكّان في الداخل، إضافةً إلى البحث عن أماكن هادئة، بعيداً عن الضوضاء؛ لإقامة منشآتهم الصناعية، ويعدّ الألمان الرواد الأوائل الذين أقاموا منشآتهم خارج سور القدس، وكان اهتمامهم ينصبّ على الناحية الجنوبيّة الغربيّة، التي دشّنوا فيها الكولونيّة الألمانيّة عام (1291هـ/ 1874م)، ومن ثمّ انتشر الألمان إلى جهات أخرى في محيط القدس، كجبل الطور وبيت لحم وبيت ساحور وبيت جالا، والأهمّ من ذلك أنّهم أقاموا مؤسّسات متطوّرة، ففي الوقت الذي كان فيه للألمان دار للعجزة في قرية المالحة، لم يذكر لغيرهم من الجاليات مثل ذلك، ومن ثمّ دشّنوا المستشفيات والصيديات، والمدارس، ودور الأيتام.

نجح الألمان في إقامة المؤسّسات التي تعدّ الدعائم الأساسيّة لنتشيت وجودهم في المنطقة بأسرها، والتي بقيت ولا يزال بعضها قائماً حتى الآن، وتشهد على الوجود الألمانيّ في القدس وغيرها، ومع مرور الوقت أثبتوا أنفسهم في مجالاتٍ متعدّدة، انطلاقاً من يافا التي دشّنوا فيها عدداً من المستوطنات، التي غدت فيما بعد مستوطناتٍ عريقة، حيث أقامت مؤسّسة "التامبل" (الهيكلين الألمان) وغيرها من المذاهب البروتستانتية والكاثوليكية عدداً من المؤسّسات الحيويّة،

التي ذكرنا بعضها سابقاً، ويمكننا القول إنّ النشاط الألمانيّ الرسميّ في اللواء تمحور في منطقتين، هما: يافا والقدس، والمناطق التابعة لها (جبل الطور، بيت لحم، بيت ساحور، بيت جالا)، حيث عمد الألمان إلى إقامة مشاريع ضاهت بقدرتها مؤسسات الدول الأجنبية الأخرى ونافسها، فغدت محطّ أنظار الجميع، وتمثّل ذلك في المستشفيات، والمراكز الصحيّة، والصياليات، إضافةً إلى مراكز لعلاج كبار السنّ وإيوائهم، عُرفت بدار العجزة، ومراكز عبادة كالكنائس، وأماكن لاستقبال الحجّاج والمسافرين، التي عرفت بمسافر خانة*، ومقابر خصّصت لدفن أفراد الطائفة الألمانيّة، واهتمّوا كذلك ببناء دور للأيتام، التي كان من أشهرها دار الأيتام السورية، التي أسّسها الراهب البروتستانتيّ الألمانيّ يوهان لودفيك شنلر (Johann Ludwig Schneller).

كانت المدارس أهمّ المشاريع التي أقامها الألمان؛ كونها أداة التبشير الأولى، وغدت في المقدّمة مقارنةً مع المدارس الأجنبية وحتى العثمانيّة، وقد استقبلت في صفوفها طلبةً من جميع الطوائف،⁽¹⁾ ومن خلالهم أيضاً ربطت المدينة بخطوط التلغراف مع مصر وبيروت وأوروبا، كما أنشأوا مكاتب بريدية، حيث عملت هذه المكاتب باستقلالية دون إشراف الدولة العثمانيّة عليها،⁽²⁾ وتواصلت العلاقات الألمانيّة العثمانيّة حتى الحرب العالميّة الأولى (1332-1337هـ/1914-1918)، في حين أغلقت المؤسسات الأجنبية التابعة لأعداء الدولة وحلفائها، وهم: الإنجليز والفرنسيّون والروس، وبموجب القرار العسكريّ العثمانيّ أخرج سفراء هذه الدول من البلاد، وأغلقت البنوك، ثمّ تمّت السيطرة عليها.⁽³⁾

وعملت الدولة خلال ذلك على إثارة مشاعر أبناء البلاد؛ ليقفوا إلى جانبها عن طريق الاجتماعات، وإلقاء الخطب، فقد شهدت القدس اجتماعاً عامّاً في ساحة الحرم في 18 تشرين

* خانة: مصطلح فارسيّ، معناه منزل، أو مأوى، دخل العربية منذ العصر الأيوبيّ، وفي العصر العثمانيّ أضيف هذا اللفظ إلى غيره من الأسماء الأخرى للدلالة على مكان معين فقيل: سلخانة للدلالة على المسلخ وهكذا. الخطيب، مصطفى، معجم، ص 158.

(1) AGCJ,File 536,13, (1903AD/1320AH),p232-234

(2) صالحية، محمد، مدينة، ص18.

(3) جوهريّة، القدس، ج1، ص 164، برو، توفيق، القضية، ص 119، جمال باشا، مذكرات، ص 147.

الثاني (1332هـ / 1914م)، حضره أبناء المدينة بمختلف مذاهبهم، وطاف المتظاهرون بعد ذلك شوارع المدينة حتى وصلوا القنصلية الألمانية، حيث خطب فيهم القنصل معرباً عن علاقة المودة التي تربط تركيا بألمانيا، متمنياً لهم النصر،⁽¹⁾ وحاربت ألمانيا على عدة جبهات في غزة وبئر السبع وقناة السويس، وخاضت عدداً من المعارك إلى جانب الفيلق الثامن بقيادة جمال باشا (الصغير)، وعين العقيد الألماني كريس فون كرسنشتاين (Kress Von Kressenstein) في رئاسة أركان الفيلق، على رأس قوة تقدر بـ 25000 مقاتل.⁽²⁾

وفي بداية الحرب تم استدعاء عدد كبير من الشباب الألمان من عمر (18-48) سنة، الموجودين في المستوطنات إلى الخدمة العسكرية، وغادروا إلى ألمانيا للمشاركة في الحرب، ولم يبق في المستوطنات غير الأطفال والنساء والمسنين، وخلال ذلك قدمت المستوطنات الدعم اللازم للقوات الألمانية كالمواد الغذائية، التي قدمها التجار المحليون، إضافة إلى العربات التي تجرها الخيول، وفي أغسطس عام (1333هـ / 1915م) قصفت سفينة حربية فرنسية يافا بقذيفة موجّهة نحو مصنع فاجنر بروس (wagner Bros) وتجدد ذلك عام (1334-1335هـ / 1916-1917م)⁽³⁾ وخلال الحرب تعرضت المستوطنات كذلك إلى موجة الجراد التي ضربت فلسطين عام (1333هـ / 1915م) إذ هاجمت كل شيء من كروم العنب والبساتين والمزروعات، ومن أجل التغلب على معضلة قلة الطعام، قامت جمعية الهيكل بشراء القمح من الأردن.⁽⁴⁾

وكان للحرب تأثير سلبي على المؤسسات الألمانية في فلسطين، ما جعل بعضها يغلق أبوابه، حيث تعرض عمل المؤسسات لاضطراب شديد بسبب التحاق عدد من موظفيها ومسؤوليها بالقوات الألمانية على مختلف جبهات القتال، في المقابل، نجد أن بعضها ظل مفتوحاً

(1) السكاكيني، كذا، ص 83، صبري، بهجت، فلسطين، ص 65، مناع، عادل، تاريخ فلسطين، ص 261.

(2) نديم، شكري، حرب، ص 25-26، باشا، جمال، مذكرات، ص 183-200-210، العارف، عارف، المفصل، ص 377، وغزة، ص 236-239، السعدون، صالح، الاتحاد، ص 339-341.

(3) Glenk, Helmut, From Desert, p61-62

(4) Glenk, Helmut, From Desert, p61

* نزل القديس بولس: يقع بالقرب من باب العامود في القدس، بني عام (1908م)، احتلته بريطانيا عام (1917م)، وأخذته مقرأ لحاكم القدس، وفي داخله كنيسة. العارف، عارف، المفصل، ص 538.

كنزل القديس بولس*، الذي تمّ اتّخاذه مقرّاً للقيادة العسكريّة لجهة السويس، ومقرّاً لكبار الضباط الألمان المشاركين في القيادة العامّة، وبناءً على أوامر قيادة الجيش الرابع العثمانيّ، وبالاتفاق مع القنصل الألمانيّ، تمّ اتّخاذه عام (1334هـ/1916م) مستشفى للضباط والجنود الألمان والنمساويين، وبقي كذلك حتى سقوط القدس بيد الإنجليز مطلع كانون الأول (1335هـ/1917م)، وفي أثناء الحرب قامت راهبات القديس بورميوس بالعناية بالجرحى والمرضى أثناء القتال على الجبهة الفلسطينية، فقد عملت ستّ منهنّ في جبهة عوجا الحفير*، وأربع في الهلال الأحمر العثمانيّ في القدس، وتذكر المصادر أنّ عدداً منهنّ قد قتلن أثناء الحرب، كما أغلقت بعض المؤسسات التعليميّة في القدس، ومنها المعهد الذي كان في نزل القديس بولس، ومدرسة البنين الكاثوليكيّة الألمانيّة،⁽¹⁾ وخلال المعارك الحربيّة عملت بريطانيا على تهجير ما يقارب 850 مستوطناً ألمانياً من يافا، وسارونا، وويلهلم، والقدس إلى مصر بحجّة تقديمهم معلومات لصالح ألمانيا وتركيا، وهناك تمّ سجنهم، وخلال فترة الاعتقال مات كثيرٌ منهم، وفي عام (1339هـ/1920م) بدأ البريطانيون في التخطيط لعودة الهيكليين إلى فلسطين؛ لتبدأ مرحلة جديدة من حياتهم، فجزء منهم عاد إلى ألمانيا، وجزء منهم عاد إلى فلسطين⁽²⁾، وفي 10 تشرين الثاني (1335هـ/1917م) غادر الجنود الألمان القدس، كما غادرها مأمور الملكيّة، وأعضاء الديوان العرفيّ، وإدارة المستشفيات، فانفرط عقد الحكومة، وفي 15 تشرين الثاني سافر قنصلاً دولتي ألمانيا والنمسا من القدس إلى بلديهما.⁽³⁾

ورغم محدوديّة حجم جمعيّة الهيكليين في فلسطين وصغرهما، فإنّ مساهماتهم في تنمية البلد كانت مثمرة من نواحٍ كثيرة، ولكن بسبب الحرب العالميّة الأولى بدأت المستوطنات الألمانيّة بالتفكّك بفعل احتلال بريطانيا لفلسطين عام (1335هـ/1917م) وطرد سكّان

* عوجا الحفير: أو عوجاء الحفير، قرية في الجنوب الغربيّ من بئر السبع تبعد ثلاثة كم عن الحدود المصريّة - الفلسطينيّة، بها سبع أبار قديمة، دعيّت "العوجاء" نسبة إلى واديها، الذي يقال له الأعوج لكثرة تعرجه، وقيل لها الحفير "نسبة إلى موقع "الحفير" الذي يبعد عشرة كم إلى الشرق منها. شراب، محمد، معجم، ص 550.

⁽¹⁾ محافظة، علي، العلاقات، ص 88.

⁽²⁾ Glenk, Helmut, From Desert, p67-79

⁽³⁾ الدباغ، بلادنا، ج 10، ق 2، ص 166.

المستوطنات إلى مصر كما ذكرنا، ولم يكن رجوعهم إلى مزارعهم ومستوطناتهم المتهالكة بفعل الحرب، إلا بعد تدخل وسطاء، ومع حلول الحرب العالمية الثانية اتجه الوجود الألماني في فلسطين إلى الانحدار.⁽¹⁾

رواد الهيكليين الألمان

ارتكز الوجود الألماني في اللواء بشكل خاص على أفراد الطائفة الألمانية من سياسيين واقتصاديين ورجال دين، جاءوا إلى البلاد بعد ظهور حركة الهيكليين (Der Deutsche Tempelgesellschaft) في ألمانيا وبالتحديد من مدينة فورتمبرغ، مدفوعين بمعتقداتهم الدينية بضرورة التوجه إلى الأراضي المقدسة والاستقرار فيها، وكان أتباعها جزءاً من كنيسة البروتستانت الألمانية،⁽²⁾ متسلحين بالوعد والنبوءة القائلة: إن "مملكة الله" حسب أعتقادهم ستبدأ انتشارها من القدس، وإن عليهم السعي لتحقيقها في الأرض المقدسة، وتشكيل مجتمعات خاصة بهم هناك، وهكذا باع كثير منهم ما لديهم، وهاجروا من مدينة فورتمبيرغ، ومن ساكسونيا في ألمانيا، ومن الولايات المتحدة الأمريكية، ومن القوقاز، وقدموا إلى الأرض المقدسة، رأوا برحيلهم واجباً دينياً مقدساً، انطلاقاً من فكرهم الديني بوجوب العودة إلى أرض السيد المسيح، وانتظاره في بلاده،⁽³⁾ وقد نجح كبار منظري هذه الحركة في استقطاب رجال الدين ورجال الأعمال للترويج لفكرهم دينياً، وللحصول على استثمارات، فشكّل هؤلاء الموجات الأولى والرواد الأوائل في الهجرة الألمانية نحو فلسطين، أو بالأحرى إلى جنوب سوريا، وكان جورج ديفيد هارديج وكريستوف هوفمان أحد صانعي المعجزة، ومهندسي الهجرة الألمانية إلى فلسطين، ومن واضعي البصمة التي خلفت أثراً وإرثاً ألمانياً عظيماً في البلاد.⁽⁴⁾

وخلال ذلك نشطت المؤسسات التبشيرية البروتستانتية والكاثوليكية الألمانية في وضع النواة الأولى لها في اللواء، ومن أجل ذلك عمدوا إلى تأسيس مستوطنات تبشيرية، ورأوا أن

⁽¹⁾ Footprints Of the templers, p 9

⁽²⁾ الشناق، محمود، العلاقات، ص 37، Aaronsoh, Ran, Rothschild, p 2-4

⁽³⁾ Footprints of the templers, p 2-4، ص 94، الرملة، إبراهيم،

⁽⁴⁾ Aaronsoh, Ran, Rothschild, p 38

يسير التبشير على أسس صناعية واستعمارية؛ لذا قدم إلى فلسطين عددٌ من هؤلاء ممّن يحملون الفكر الدينيّ المتعلّق بضرورة سيطرتهم على الأرض المقدّسة، ولمعت بينهم شخصيّات ومؤسسات وجمعيات في هذا المجال، أشهرها إرسالية الحجاج (إخوة سان كريشونا) عام (1261هـ / 1845م)، وبعدّ شبتلر من الشخصيات البارزة في عالم التبشير، ورائد البروتستانتية في الشرق الأدنى، الذي يعمل على إرسال المبشرين وتجهيزهم، وكانت الخطوة الأولى تتمّ بإرسال أفراد مهرة، لهم باع في المجالات التجارية والصناعية والحرفية؛ كي يستطيعوا إعالة أنفسهم بأنفسهم، ومن أجل جذب الناس، وبعدّ (بالمر) و(كنراد شيك) أبرز من قدموا إلى فلسطين عام (1262هـ / 1846م)، فالأول عمل في صناعة الصابون والكيمياء، والثاني حدّاد وميكانيكيّ، وتبعهما في عام (1263هـ / 1847م) الساعاتيّ (صموئيل مولر) و(هاينريش بالدنشيرغر)، وكان خراطاً ونساجاً، وكان هؤلاء يخطّطون لإنشاء نواة مستوطنة على سفح جبل الكرمل، وتبع ذلك جمعيات تبشيرية متعدّدة مثل: جمعية الكيزرفرت مع أربع شماسات، التي تلقت دعماً من ملك بروسيا، إلا أنّ قدوم المبشر والراهب يوحنا لودفيك شنلر (Johanne Ashneller) عام (1271هـ / 1854م) وزوجته مع ستة رهبان، يعدّ بداية حقبة جديدة من الاستعمار، وازدهار النشاط التبشيريّ في فلسطين، حيث عملوا على تأسيس المحال التجارية، والمدارس، والمستشفيات، وشراء العقارات والأراضي⁽¹⁾

أما الجمعيات الاستعمارية الألمانية التي لها باعٌ طويل في العمل بفلسطين منها: جمعية بيت المقدس، التي اهتمّت بالتبشير، ورعاية الأيتام الأرمن، في منطقة بيت لحم وبيت جالا والخليل والقدس وحيفا ويافا،⁽²⁾ ويذكر أنّها قدمت إلى فلسطين عام (1277هـ / 1860م) بطلب من المطران غوبات من أجل رعاية شؤون الطائفة البروتستانتية في جنوب فلسطين، في الوقت الذي كانت فيه جمعية كنيسة إنجلترا التبشيرية تعنى بمن هم في شمال فلسطين، وتولّت هذه المؤسسة العناية بالمدارس في كلّ من بيت جالا سنة (1296هـ / 1879م)، والخليل سنة (1301هـ / 1884م)، وبيت ساحور سنة (1318هـ / 1900م)، وفي القدس سنة (1321هـ /

(1) سنو، عبد الرؤوف، المصالح، ص 51-112، p7-18, AL-jubeh, Nazmi, Conrad Schick

(2) سنو، عبد الرؤوف، المصالح، ص 51-112، p7-18, AL-jubeh, Nazmi, Conrad Schick

1903م).⁽¹⁾ والجمعية الألمانية لاكتشاف فلسطين، والمعهد الإنجيلي الألماني للآثار في الأرض المقدسة، وقد كان لهذه الجمعيات أثر في إثارة الرأي العام لدى سكان ألمانيا، خاصةً المسيحيين و اليهود للقدوم إلى فلسطين.⁽²⁾

ويلحظ أن المهاجرين الألمان قدموا إلى فلسطين لأسباب مختلفة منها: الدينية، والثقافية، والاجتماعية، والسياسية، والاقتصادية، بالإضافة إلى عامل الاستعمار، الذي يقف على رأس أولوياتهم، ومن أجل تحقيق أهدافهم في استقطاب المستوطنين لجأوا إلى تحسين الرفاه، والحالة الاقتصادية، والبنية العامة للمكان، من خلال تأسيس مجتمع مثالي،⁽³⁾ فقد جاءت مجموعات ألمانية من روسيا إلى فلسطين، عند اندلاع الحرب الروسية العثمانية (1295هـ / 1878 م)، بسبب طلب الحكومة الروسية تجنيد المقيمين الألمان على أراضيها في الخدمة العسكرية، بعد أن كانوا مُعْفَيْنَ منها منذ أيام بطرس الأكبر * (Peter I also Peter the Great) (1083-1138هـ / 1672-1725م)؛ لذا لم يكن أمام هؤلاء الألمان إلا الهجرة من روسيا، والانتقال إلى فلسطين.⁽⁴⁾

وأشارت الوثائق والسجلات إلى ما يقرب من ألفين ممن يحملون الجنسية الألمانية أقاموا في بداية هجرتهم في الأحياء العربية، ثم انتقلوا إلى السكن في أحياء خاصة بهم، بعد أن شيدوا سبع مستوطنات في اللواء، أبرزها مستوطنتا: يافا، وسارونا، فكان منهم التجار والملاكون والسيارات وأصحاب البنوك، لكن الصفة الغالبة كانت امتنانهم الزراعة، إذ امتلكوا البيارات والكروم والبساتين، واقتنوا الحيوانات، رغبةً منهم في الانتفاع من لحومها وألبانها، وفي عمليات

(1) الراهب، متري، ميلاد، ص 18.

(2) هنداي، سهام، التطور، ص 175-176.

(3) Kark.Ruth.Technological. p 3

* بطرس الأكبر: (Peter I also Peter the Great) (1672-1725م): قيصر روسيا (1682-1725م) عدّه بعض المؤرخين أعظم قياصرة روسيا بلا استثناء، أعاد تنظيم الجيش، وأنشأ أسطولاً بحرياً، وأقام مئات المصانع، وجعل روسيا دولة قوية، وعزز سلطته على حساب سلطة النبلاء ورجال الكنيسة، وبسط نفوذه حتى سواحل بحر البلطيق والبحر الأسود. البعلبكي، منير، معجم، ص 106.

(4) التميمي، ولاية بيروت، ج1، ص238، هنداي، سهام، التطور، ص 178-179، أبو شمالة، مروان، الاستراتيجية، ص 90-108.

التنقل، واعتمد المستوطنون الألمان بشكل رئيس على الزراعة، فهي أهم الأنشطة الاقتصادية، التي ارتكز عليها توطنهم واستقرارهم، وقد حرص هؤلاء على اختيار الأراضي الخصبة الصالحة للزراعة، والقريبة من سواحل البحر؛ لتسهيل عليهم عملية التصدير والاستيراد، كما اختاروا الأراضي القريبة من الطرقات الرئيسية؛ لتسهيل عملية التنقل التجاري الداخلي، أما في نطاق الصناعة، فقد امتنعت المستوطنون الألمان بعض الحرف اليدوية، وصناعة الخمور، والعطور.⁽¹⁾

وقد شكّل المستوطنون النواة الصلبة للوجود الألماني في المنطقة، وأصبحت مراكزهم ذات ثقل بشري واضح ومهم، وهذا ما أكدته الدولة العثمانية، التي خشيت من تمردهم وخروجهم عن سيطرتها الفعلية؛ لذا اتخذت أساليب إجرائية ووقائية صارمة للحد من نموهم وتمددهم، ففرضت عليهم الضرائب الباهظة، ومنعتهم من البناء دون الحصول على الأذونات الخاصة، ورغم ذلك، فقد أكثروا من شراء الأراضي، وإقامة المشاريع المختلفة عليها، ويتّضح ذلك من خلال بعض ما امتلكوه من الأراضي في منطقة يافا، بالقرب من مستعمرة سارونا (1316هـ/1898م):⁽²⁾

الرقم	المالك	الاملاك	رقم	المالك	الاملاك
1.	بول بنس (Paul Pence)	13 دونماً	2.	جورج ولر (George Waller)	6 دونمات
3.	بنوس فرنك (Benos Franc)	13 دونماً	4.	بورخي (Borkhe)	13 دونماً
5.	ثيودور ولفر (Theodore Wolver)	13 دونماً	6.	كرستيا بن برلي (Christia Burley)	13 دونماً
7.	فرنك سبكلر (Frank Speckler)	13 دونماً	8.	كارل لورخ (Carl Lurch)	13 دونماً
9.	كوتلوب كرتل (Cottleb Cartel)	13 دونماً	10.	كوتلف هورتك (Kutlph Hortek)	4 دونمات

(1) نعمة الله، إبراهيم، الرملة، ص 94-95.

(2) AGCJ,File 544,1,(1899AD/1317AH),p46-47

11.	فريدريخ (Friedrich)	95 دونماً	12.	فريدريخ (Friedrich)	61 دونماً
13.	يوحنا (Johannena)	6 دونمات	14.	كترينا يالنج (Kantrina Jalng)	6 دونمات
المجموع الكلي			282 دونماً		

كان لبعض المستوطنين أمثال بيتر منيتسلر (Peter Mounitsler) الفضل في تثبيت أقدام الاستيطان الألماني، إذ يعود له الفضل في إنشاء مدرسة وكنيسة ومستشفى، إضافة إلى حلبة طاحونة نارية في يافا، وتذكر المصادر أن ذلك كان دون ترخيص من الدولة العثمانية، التي عدتها غير قانونية، لكنه علل إقامة هذه المنشآت بأنها أقيمت بمساعدة أحد اصدقائه لخدمة أهل يافا والسياح والحكومة السنية على حد سواء، وأضاف إنه لم يتقاضَ أجراً من أحد لقاء الخدمات التي كان يقدمها المستشفى.⁽¹⁾

وقد أخذ الرأسماليون الألمان على عاتقهم دعم المشاريع الاستيطانية، نظراً لما تمتّعوا به من امتلاك السيولة النقدية، التي وظّفوها في تطوير الأنشطة التجارية، التي تعود بالنفع على المستوطنين؛ لذا عملوا على الاستثمار في الأرض كونها اللبنة الأولى لتثبيت أقدام المستوطنين على أرض فلسطين، وقد ساعدهم ذلك على الاستقرار، من خلال ربطهم بزراعة الأرض؛ لما تدرّه من دخل مادي مناسب.⁽²⁾

وقد امتدّ دور الرأسماليين الألمان إلى شراء العقارات، وبناء الفنادق والخانات والإسطبلات والمؤسسات التعليمية والدينية والصحية المختلفة، كل ذلك كان بعيداً عن التدخل المباشر من الحكومة الألمانية، رغم أنها وفّرت لهم الحماية من خلال العلاقات الرسمية مع الدولة العثمانية، التي بدورها استفادت من عوائد الضرائب التي كانت تفرضها على هذه المنشآت والمؤسسات الألمانية، ومن الجدير ذكره أن الرأسماليين استفادوا من الدور الذي لعبوه في تيسير الحصول على الأراضي والعقارات عبر صفقات تجارية مختلفة، وقد أبرزت لنا

⁽¹⁾ AGCJ, File 458, 15, (1867AD/1284AH), p27-29

⁽²⁾ القدس سـجل 378، (1306هـ / 1889م)، ص 79، سـجل 380، (1890/1307م)، ص 48، سـجل 395، (1319هـ / 1901م)، ص 110.

الوثائق أسماء عددٍ من العائلات الرأسمالية الألمانية الألمان، الذين كان لهم أكبر الأثر في دعم المستوطنين، وتمكينهم في المنطقة ومن أهم هؤلاء:

أولاً: عائلة بركم (Family Bergheim)

يعدّ المصرفيّ اليهوديّ ملفيل بيتير بيرجهايم (Melville Peter Bergheim)* أو بركم، كما أشارت إليه سجلّات المحكمة الشرعيّة من أبرز الرأسماليّين، الذين امتلكوا الأراضي والعقارات في فلسطين،⁽¹⁾ فهو سليل عائلةٍ برجوازيّةٍ امتلكت كمّاً كبيراً من الأراضي والعقارات، وأسهمت بدورٍ كبيرٍ في الحركة الاقتصاديّة في فلسطين،⁽²⁾ إذ إنّها مثّلت البنك العثمانيّ وبعض البنوك اللندنيّة، إضافةً إلى استثمارها في قطاع العقارات، وإنشاء المصانع المختلفة، التي كان من أبرزها مصنع صابون في مدينة الرملة، ومطاحن للحبوب تعمل بطاقة البخار والرياح في مدينة القدس، وقد قدرّت القيمة الرأسمالية للاستثمارات بـ200.000 فرنك، كما امتن بركم تجارة النبيذ، خصوصاً النبيذ الإنجليزي، وفتح عدداً من المحلّات الخاصّة بذلك في مدينة القدس، التي زوّدت بالتجهيزات الحديثة، وقد انتشرت استثماراته في عددٍ من من المناطق كيافا والرملة والقدس، ومنذ التسعينيّات من القرن التاسع عشر الميلاديّ امتلك مساحاتٍ شاسعةً من الأراضي؛ إذ وصفه سكرتير القنصليّة الألمانيّة في القدس بأنّه أحد الرجال الأثرياء، فبالإضافة إلى بيته الكبير في القدس، فقد أنفق نصف ثروته البالغة 400.000 فرنك في ضيعة (أبو شوشة)، جنوب شرقيّ مدينة الرملة، التي قدرّت مساحتها 1275 هكتاراً، وقيل 2100

* ملفيل بيتير بيرجهايم: ولد عام 1815 م في قرية صغيرة في قضاء بوسنان (posnan)، وبعض المصادر أشار إلى أنّه يهوديّ وابن حاخام، وفي عام 1833 انتقل إلى إنجلترا، وعاش هناك مدة ثماني سنوات، وفي عام 1840م قدم إلى القدس بجواز سفر بريطانيّ، إلّا أنّه اعتبر نفسه مواطناً بروسياً، عمل بدايةً كصيدليّ، ثم أطلق عدداً من المؤسسات في فلسطين أشهرها البنك الذي أسّسه، واعتبر أحد أبرز المالكين الألمان في فلسطين، توفي عام 1896 م في القدس بعد نصف قرن من وصوله، ودفن في مقبرة على جبل صهيون بالقدس مع 13 شخصاً من عائلته. kark.Ruth.The Bergheim family and farm in Abo Shusha.p332-337,Sindaha,Mousa,Banking in Palestine during British Mandate and before,p1-15

(1) شولش، الكزاندر، تحولات، ص 141-142، الحزماوي، محمد، ملكية، ص 72، أبو بكر، أمين، ملكية، ص 604،

نعمة الله، إبراهيم، الرملة، ص 94-97، هندواوي، سهام، التطور، ص 193، أبو شمالة، مروان، الاستراتيجية، ص 103

(2) الحزماوي، محمد، ملكية، ص 71.

هكتار،⁽¹⁾ بما يعادل 40.000 دونم اشتراها بركم، مقابل 46 ألف قرش*، بعد أن عرضتها الدولة في المزاد العلني؛ بسبب تأخر أهاليها عن دفع الضرائب لخزينتها، وتضيف المصادر أن 51 فلاحاً تنازلوا لبركم عن حقوق أراضيهم في قريتهم، الموصوفة بالملساء المعدة للزراعة دون الأراضي المشجرة كالكروم والحواكير والبيوت، مقابل أن يدفع عنهم سنوياً مبلغ (14482) غرشاً من مال الميري، المطلوب منهم سنوياً لصالح خزينة الدولة، وعلى ذلك تعهد للدولة، وسطر أهل القرية الإقرار الآتي: (لم يبق لنا حق نستحقه بها، ونحن نعمل لديه كمزارعين لا أكثر، كما نتعهد بأن نزرع الأرض المذكورة، مقابل خمس ناتج المحاصيل الصيفية والشتوية)، وبهذا الإقرار آلت إليه (153) سند طابو من أرض القرية المذكورة، مع بقاء أصحابها الأصليين يعملون كمستأجرين، حسب المعادلة السابقة (خمس الناتج)، علاوة على ذلك شيد آل بركم الإسطبلات والمخازن قرب القرية، إضافة إلى إنشائه بابوراً لسحب المياه وضخها، فساعد كل ذلك في زيادة إنتاجية الأراضي.⁽²⁾

ورغم ذلك، كان آل بركم يستجدون بقنصل ألمانيا في القدس؛ بسبب اعتداء بعض أهالي (أبو شوشة) على أملاكهم، وحرّاس أراضيهم، ويبدو أن سبب ذلك هو عدم قبول الأهالي بالاتفاقية الموقعة بينهم وبين آل بركم، وعلى إثر ذلك تدخل متصرف لواء القدس رؤوف

(1) القدس سجل 370، (1300هـ/1883م)، ص 69، شولش، الكزاندر، تحولات، ص 141-142، مناع، عادل، تاريخ، ص 194، نعمة الله، إبراهيم، الرملة، ص 94، Kark, Ruthe, The Bergheim, p332-337، اوين، روجر، تاريخ، الموسوعة، القسم الثاني، المجلد الأول، ص 569.

* القرش: وهو تحريف للكلمة اللاتينية كروشيس (Grossus)، أطلق على عدد من الدينار التي كان يسكها بعض الحكام الأوروبيين في القرن الثالث عشر الميلادي، وكانت معظم القروش المتداولة في الدولة العثمانية خلال مراحل تأسيسها من التالير (Thaler) الألماني حيث كانت تزن 9 دراهم، أو ما يعادل 27.64 غراماً وبقي مستعملاً إلى أن سك سليمان القانوني القرش العثماني عام 1688م قروشاً عثمانية وبلغ وزنها ستة دراهم أو 18.432 غراماً، وفي أحيان أخرى ستة دراهم و 4 قراريط أي 19.432 غراماً ومنها أنواع القرش الأسدي والقرش الشرك (الجرك). الحزماوي، محمد، التاريخ، ص 53-54.

(2) AGCJ,File459,4,(1871AD/1288AH),p65-70، نعمة الله، إبراهيم، الرملة، ص 97-94-98 شولش، الكزاندر، تحولات، ص 141-142، أبو بكر، أمين، ملكية، ص 604، الحزماوي، محمد، ملكية، ص 72، غنايم، زهير، لواء، ص 364-372، هندواوي، سهام، التطور، ص 193، Kark, Ruthe, Kushner,David, Palestine.p 225، أنظر الملاحق شكل رقم (4).

باشا* (1294-1307هـ/1877-1889م) لتسوية النزاع بينهم مجدداً، إذ تمّ الاتفاق من جديد على ما يأتي:

السماح لأهالي القرية بزراعة نصف الأراضي التي يملكها بركم مقدار ما يلزمه، شريطة أن لا يأخذ من كل شخص سوى 10/1 محصول مزروعاته، يدفعها لهم مقابل أجره أراضيهم، و 10/1 آخر تدفع للميري ما دام المزارعون مقيمين في القرية، وينسحب ذلك على أولاده إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، ومن يغادر من السكان (قرية أبو شوشة)، ويرغب في الإقامة في قرية أخرى، فقد تعهد بركم أن يدفع عنه ما كانت تستوفيه منه الحكومة السنية على ما كان يزرعه من الأراضي في نصف قرية (أبو شوشة) فقط، وبعد ذلك لا يحق له الرجوع إلى الزراعة في (أبو شوشة) هو ولا نسله.⁽¹⁾

أما النصف الثاني من ممتلكات بركم في القرية، فلا يجوز للفلاحين الزراعة فيها، وهذا الشرط يجري العمل به سنة كاملة، من تاريخ تسليم القواشين السلطانية الطغرائية، وأن هذه الشروط والتعهدات لا يجري العمل بها إلا بعد أن يتسلم بركم من الحكومة السنية القواشين المذكورة، بدل القواشين المؤقتة، التي بيد بركم، وأن تجري الحكومة تعديلاً على قيمة الويركو** التي تطلب منهم.⁽²⁾

وقد كان آل بركم في بعض الأحيان يضطرون للاستجابة للضغوط المحلية من الفئات الاجتماعية العليا في المجتمع أو لفلاحي القرية، نظراً لغياب المظلة السياسية والقانونية الحامية لهم، إضافة إلى تبدل الظروف في بعض الأحيان لغير صالحهم، أضف إلى ذلك أن السكان

* رؤوف باشا: عين والياً على متصرفية القدس ما بين (1294_1307هـ/1877_1889م) من أشهر المعارضين لهجرة اليهود إلى فلسطين، كان عفيفاً، مستقيماً، صارماً في تطبيق القوانين التي تنص على منع دخول اليهود والأجانب إلى فلسطين. العارف، عارف، المفصل، ص 326، الدباغ، بلاندا، ج 10، ق 2، ص 46، الشناق، محمود، العلاقات، ص 47-48.

⁽¹⁾ AGCJ,File 459,5,(1878AD/1295AH), p22-67.

* الويركو: كلمة تركية تعني جزية أو خراج أو مال ميري أو رسم ومصدرها (وير مك) وتعني الوهب أو العطاء والمنح. عوض، عبد العزيز، الإدارة، ص 169.

⁽²⁾ AGCJ,File 459,5,(1878AD/1295AH),p22-67.

والفلاحين كانوا ينظرون إليهم كغرباء سيطروا على أراضيهم، فعلى سبيل المثال، عندما مرّت هذه العائلة بظروف اقتصادية صعبة تمثّلت بإفلاس مصرفهم، ما نتج عنه عدم التزام ماليّ تجاه الفلاحين المحليين، وهو ما أثار غضبهم، وتوجّ ذلك بقيام بعض السكّان بقتل بيتر بيرجهام ابن ملفيل برقم عام (1301هـ/1884م) وقد أوردت المصادر تعليلاً لهذه الحادثة بأنّها انتقام من برقم، بعد ما قام به من أعمال نهبٍ وسلبٍ لأراضي القرية.⁽¹⁾

ونتيجةً لهذه الحادثة قام أبناء ملفيل برقم بإعادة النظر ببعض اتفاقيات الأراضي، ومصالحة أهالي القرية على ذلك، فقد تخلّى آل برقم عن قطعتي الأرض المعروفتين بالديانة والسمانية عام (1329هـ/1911م)، مقابل أن يقدّم الفلاحون 3/1 الإنتاج، إضافةً إلى ما يترتّب عليها من ضرائب إلى خزانة الدولة، وعمل آل برقم على توكيل سراييون أفندي في بيع أملاكهم، وتحصيل ديونهم؛ لذا تمّ بيع جزءٍ من أراضي القرية إلى أهاليها، في حين كان الجزء الأكبر من هذه الأراضي محطّ أنظار الحركة الصهيونية واهتمامها، فمنذ عام (1329-1330هـ/1911-1912م) تمّ رصد المبالغ الخاصة من قبلها للاستيلاء على هذه الأراضي، وبالفعل تمّ نقل ملكيّة ما يقارب (3600) دونم إلى اليهود، وبعد ثماني سنواتٍ تمّ شراء كامل أراضي قرية (أبو شوشة)، فقد استولى عليها اليهود، إضافةً إلى أراضي قرية كفورية من خلال صفقاتٍ منفردة.⁽²⁾

وتفيدنا المصادر بأنّ أملاك برقم كانت متعدّدة في أكثر من مكان في اللواء، كان منها: بيتٌ مقابل باب الخليل في مدينة القدس، وعددٌ من قطع الأراضي في القدس وقريتي

⁽¹⁾ AGCJ,File464,2,(1884AD/1301AH),p42-43، شولش، ألكزاندر، تحولات، ص 141-142، أبو بكر، أمين، ملكية، ص604، أوين، روجر، تاريخ، الموسوعة، القسم الثاني، المجلد الأول، ص 569، Kark, Ruthe, The Bergheim,p332-337

⁽²⁾ القدس سجلّ 370، (1301هـ/1883م)، ص 85، سجلّ 373، (1301هـ/1883م)، ص 65، سجلّ 379، (1307هـ/1890م)، ص 71-126، سجلّ 382، (1309هـ/1892م)، ص 219، سجلّ 383، (1309هـ/1892م)، ص 47-48، سجلّ 384، (1309هـ/1892م)، ص 37-40، سجلّ 398، (1324هـ/1906م)، ص 130-139، شولش، ألكزاندر، تحولات، ص 141-142، أبو بكر، أمين، ملكية، ص 604، الحزماوي، محمد، ملكيات، ص 72، نعمة الله، إبراهيم، الرملة، ص

Kark, Ruthe, The Bergheim,p332-337 98-94

لفتاً* والمالحة،⁽¹⁾ وأراضٍ في منطقة الطالبية في القدس و10000 دونم في صور باهر** جنوب المدينة، لكنّ الكمّ الأكبر من ممتلكاته كان في منطقتي أريحا والرملة،⁽²⁾ وتورد سجلّات محكمة القدس الشرعية العثمانية عدداً من حجج البيع والشراء الخاصة بذلك، فتذكر أنّ ملفيل بركم اشترى من حسن بن أحمد بن محمد بن عبده الطحّان جميع قطعة الأرض الواقعة خارج سور القدس، قرب باب الخليل من الناحية الغربية، مقابل 40 ليرة ذهباً إنجليزياً**،⁽³⁾ واشترى كذلك سامي بركم قيراطاً ونصف قيراطٍ من أصل 24 قيراطاً من جميع أشجار الزيتون القائمة أصولها في جبل الطور في الجهة القبلية من القدس، مقابل 4 ليرت وربع ونصف ربع ليرة عثماني.⁽⁴⁾

وكما أوكل بركم ملحم أفندي البروتستانتية ترجمان قونسلاتو دولة أمريكا الفخيمة بالقدس الشريف في عمليّات البيع والشراء الخاصة به منها: بيع جميع الأربع قطع من أرض

* لفتا: بكسر اللام - قرية تقع شمال غربيّ القدس، على مسافة كيل واحد، ترتفع (700) متر عن سطح البحر، يرجح أنّها تقوم على قرية "فتوح" الكنعانية، أقيمت منذ العهد الكنعانيّ على السفح الغربيّ لجبل "خلة الطرحة" مشرفة على وادي الشامي، أكثر أشجارها الزيتون (1044) دونماً، بلغ عدد سكانها سنة 1945م (2550) نسمة، دمرها الإسرائيليون سنة 1948م، وأقاموا مكانها مستعمرة "مي تفوح". الدباغ، بلادنا، ج8، ق2، ص 102-103، شراب، محمد، معجم، ص 639. (1) القدس سجلّ 370، (1301هـ/1883م)، ص 85، سجلّ 373، (1301هـ/1883م)، ص 65، سجلّ 379، (1307هـ/1890م) ص 71-126، سجلّ 382، (1309هـ/1892م)، ص 219، سجلّ 383، (1309هـ/1892م) ص 47-48، سجلّ 384، (1309هـ/1892م)، ص 37-40، سجلّ 398، (1324هـ/1906م)، ص 130-139، شولش، الكزاندر، تحولات، ص 141-142، أبو بكر، أمين، ملكية، ص 604، الحزماوي، محمد، ملكيات، ص 72، هندواوي، سهام، التطور، ص 184، نعمة الله، إبراهيم، الرملة، ص 94-98.

** صور باهر: قرية تقع جنوب القدس، تعدّ حياً من أحيائها، وأقرب قرية لها بيت صفافا، محاطة بالمستعمرات اليهودية من جهاتها الثلاث (تل بيوت)، و (رامات راحيل) و (ميكور حايم)، بلغ عدد سكّانها سنة 1961م (2335) نسمة، هاجمها اليهود في حرب 1948 وحرّقوا مطحنة القرية. الدباغ، بلادنا، ج8، ق2، ص 169-170، شراب، محمد، معجم، ص 492.

(2) Kark, Ruth, The Bergheim, p332

*** ليرة إنجليزية: أدّى انتشار الليرة الإنجليزية وتداولها بسبب العلاقات الانجليزية العثمانية التجارية والسياسية منها، وكان سعرها مرتفعاً مقارنةً مع باقي العملات ممّا حدّ من القدرة على تداولها واستخدامها بشكل كبير، وترواح سعرها مقارنةً مع القرش ما بين عامي 1861م-1886م ما بين 115-136 قرشاً. الحزماوي، محمد، التاريخ، ص 107.

(3) القدس سجلّ 370، (1301هـ/1883م)، ص 85، سجلّ 379، (1307هـ/1890م)، ص 71، نعمة الله، إبراهيم، الرملة، ص 242.

(4) القدس سجلّ 370، (1299هـ/1882م)، ص 12.

كرم الخراب المشجرة، الكائنة خارج قرية الطور من الأراضي الأميرية* بالجهة الغربية منها، ومن ذلك بيع جميع الأرض الكائنة خارج القدس الشريف جهة باب الخليل من الغرب، وبيع جميع الحصة وقدرها 12 سهماً من أصل 24 سهماً من جميع الأراضي الأميرية، الكائنة عند القلعة الثالثة، وكذلك بيع 12 سهماً من أصل 24 سهماً من جميع الأراضي الأميرية الكائنة بالجهة ذاتها، كما تذكر السجلات أن بركم فرغ إلى وليم بن شال الإنجليزي، مقابل 1000 ليرة إنجليزية، وذلك عام (1301هـ / 1883م).⁽¹⁾

وقد تمّ عرض عدد كبير من أملاك آل بركم، خاصة في القدس ويافا وقرية (أبو شوشة) للبيع، بسبب إفلاس بنكه كما ذكرنا سابقاً، فعرض أبناء بركم ما ورثوه عن أبيهم للبيع، فقد أوكل إخريستو ابن الخواجا ملفيل بركم الخواجا تيموتي في بيع حصته البالغة 16 سهماً من أصل 48 سهماً من جميع الدور والبوايك، الملاصقة والمقابلة لقرية (أبو شوشة) من الجهة الشمالية، الواقعة على التلّ المعروف بتلّ الأجزاء المحددة من الجهات الأربع، وبوضع يده على الدار مع الأرض والبناء، والتصرف بها كيفما يشاء من الفراغ القطعيّ والبيع، لمن يرغب في البدل والتمن كيفما يجب، وبإعطاء المفروغ له والمشتري بالسندات النظامية، وذلك حسب النظام.⁽²⁾

ثانياً: عائلة فروتغر (Family Frutiger)

تعدّ إحدى العائلات الألمانية المتنفذة، التي قدمت إلى فلسطين واستوطنتها، شاركت عام (1315هـ / 1897م) في تأسيس "بنك فلسطين الألماني"⁽³⁾. وأبرز أفراد هذه العائلة حنا أفروتكر (Johannes Frutiger) الذي تولّى إدارة شعبة البنك العثماني بالقدس، وهو من مؤسسي البنك الألماني، الذي يعدّ من أبرز الداعمين للوجود الألماني، إذ تشير سجلات محكمة

* الأراضي الأميرية أو (الميري): وهي الأراضي التي تعود ملكيتها إلى الدولة، والتي جاءت إثر قانون الأراضي (الطابو) عام 1858 م الذي نظم وقسم الأراضي إلى خمسة أنواع منها الأراضي الأميرية. أبو شمالة، مروان، الاستراتيجية، ص 101.

(1) القدس سجلّ 370، (1301هـ / 1884م)، ص 84.

(2) القدس سجلّ 370، (1301هـ / 1883م)، ص 85، سجلّ 379، (1308هـ / 1891م)، ص 126، ص 71، سجلّ 383، (1309هـ / 1892م)، ص 67، سجلّ 384، (1309هـ / 1892م)، ص 37-39، 40.

(3) سنو، عبد الرؤوف، المصالح، ص 61.

القدس العثمانية إلى عددٍ من أملاكه، فقد امتلك أرضاً في البقعة،⁽¹⁾ وأرضاً قرب باب الخليل،⁽²⁾ وقطعة أرضٍ في قرية لفتا،⁽³⁾ وداراً قرب باب العامود،⁽⁴⁾ ومنها ما فصلته سجلات محكمة القدس الشرعية، أنه اشترى من الراهب أنتيموس، ترجمان دير الروم جميع خلوة قطعة الأرض، التي تقع خارج سور القدس، بالقرب من باب الخليل، المشتملة على أشجارٍ وأربعة بيوتٍ ودارٍ معدة قهوة وثلاث أوض بمبلغ 1600 ليرة عثمانية*،⁽⁵⁾ كما اشترى من فوزي ومحمد سليمان قطينة حاكورة بمبلغ 100 ليرة ذهب فرنسي،⁽⁶⁾ وقام بالاشتراك مع أحد أفراد الجالية الأمريكية في بناء سبعة خانات في قرية المالحه (1308هـ / 1890م)،⁽⁷⁾ واشترى حنا أفروتكر (Johannes Frutiger) من استريادي جميع الحصه، وقدرها 12 قيراطاً من أصل 24 قيراطاً في جميع أرض الجيزية بالقدس، مقابل 4000 غرش،⁽⁸⁾ ويشير الجدول الآتي إلى مجموعة من ممتلكاته المختلفة:

المالك	الممتلكات	الموقع	المصدر
حنا أفروتكر (Johannes Frutiger) (مدير شعبة البنك العثماني)	• دار	داخل قومية محني يهودا خارج سور القدس بجهة باب الخليل طريق يافا	القدس سجل 384، ص 123
	• 32 سهماً في جميع أرض كرم النائب،	يافا	القدس سجل 379، ص 168

(1) القدس سجل 380، (1307هـ / 1890م)، ص 11، المدني، زياد، مدينة، ص 120-121، Sindaha, Mousa, Banking, p1-15

(2) القدس سجل 361، (1290هـ / 1873م)، ص 133، المدني، زياد، مدينة، ص 120-121.

(3) القدس سجل 374، (1303هـ / 1883م)، ص 26، المدني، زياد، مدينة، ص 120-121.

(4) القدس سجل 395، (1318هـ / 1900م)، ص 93-94، المدني، زياد، مدينة، ص 120-121.

* الليرة العثمانية: هي عملة ذهبية ضربت في عهد السلطان عبد المجيد الأول عام 1843م وأصبحت في عام 1844 م وحدة النقد الرئيسة، وأشارت إليها السجلات بالليرة المجيدية نسبة للسلطان عبد المجيد، وعرفت عند العامة باسم العصلية، واختلف سعرها وقيمتها ما بين عامي 1860-1891 م ما بين 108-124 قرشاً. المبيض، سليم، النقود، ص 242، القضاة، أحمد، نصارى، ص 142، الحزماوي، محمد، التاريخ، ص 75-76.

(5) القدس سجل 361، (1290هـ / 1873م)، ص 133، المدني، زياد، مدينة، ص 120-121.

(6) القدس سجل 364، (1291هـ / 1874م)، ص 205، المدني، زياد، مدينة، ص 120-121.

(7) طابو القدس 226/5/83 لعام (1309-1310هـ / 1892-1893)، ص 103. أنظر الملاحق شكل رقم (5).

(8) القدس، سجل 381، (1308هـ / 1891م)، ص 29.

		وهو شريك بالأرض أيضاً • 16 سهماً من 320 سهماً من كرم النائب	
القدس سجلّ 379، ص 175، سجلّ 381، ص 29	شمال غربيّ طريق يافا القدس	• أبنية مختلفة	
القدس سجلّ 379، ص 169	القدس إلى الغرب من باب العامود	• دار بداخلها عريشة وبستان	
القدس سجلّ 382، ص 136	خارج القدس من جهة باب الخليل، بداخل قومبانيّة محني يهودا	• أرض ودار	

وبعدّ حنا أفروتكر (Johannes Frutiger) من الشخصيات الأرستقراطية المعروفة؛ لذا كان محطّ أنظار المقترضين من مختلف الطوائف، فحسبما ورد في سجلّات محكمة القدس الشرعية، فقد لجأت إليه هيلانة بنت الخواجا باني أزار الروميّ لاستقراض ما يقارب من (300) ليرة ذهب فرنساويّ لمدة ثلاث سنوات، وأعطته مقابل ذلك وكالة دورية في بيع جميع أملاكها عند الحلول، والتي كانت عبارة عن جميع الحصّة الشائعة، وقدرها 7 قراريط من أصل 24 قيراطاً، من جميع الدار الكائنة خارج القدس الشريف، ومن أراضيها بالجهة الشماليّة من باب العامود، المشتملة على أشجار متنوّعة، وبئر ماء، وعلى دار مشتملة على بيتين سفليّين، وبيت علويّ، وعلّيّة، وجدران من جهاتها الأربع، ويضيف السجلّ أنّ كلّ ذلك كان مرهوناً، مقابل الحصول على المبلغ.⁽¹⁾

ونظراً لحجم الممتلكات التي كان يمتلكها أفروتكر في اللواء قام بتوكيل عددٍ من الشخصيات المحليّة، وغالبيتهم من النصارى، إذ أوكل فابر الألمانيّ اللاتينيّ (Faber of latin)

(1) القدس سجلّ 370، (1301هـ/1884م)، ص 79-80.

العثمانيّ من أهالي القدس في بيع ما هو لموكله حنا أفروتكر (Johannes Frutiger) بموجب أربعة سنداتٍ ملكيّة نظاميّة موسومين بعدد 132 و 133 و 233 و 234 عن دفتر شباط سنة (1301هـ / 1884م) بيعاً باتّاً لمن يشاء ويرغب به الوكيل المذكور، بثمنٍ قدره مائة وألف قرشٍ صاغ، وفي تسليم البيع المذكور لمن يشاء، والأملك هي: ⁽¹⁾

الموقع	الأملك
خارج مدينة يافا على طريق الطاحونة	جميع الدار مع مشتملاتها
غربيّ الطريق الجديدة الموصلة للبحر بيافا	جميع قطعة الأرض غربيّ الدار المذكورة
غربيّ المنشية	جميع قطعة الأرض شرقيّ الدار المذكورة
طريق المنشية	جميع قطعة الأرض
غربيّ المنشية	جميع ثلاثة المخازن الكائنة في إحدى قطع الأراضي المذكورة متلاصقة مع بعضها
حرّر ذلك في 1312هـ / 1894 الميلاديّ	

وكما وكلّه في بيع ما يشاء من أملكٍ وأراضٍ وأشجارٍ الموكلة له، وفي فاك رهنها، واسترهانها حسب رأيه ومعرفته، ⁽²⁾ في المقابل أوكل فابر الألمانيّ (Faber of Latin) يوسف أفندي ابن مناويل أفندي ابن بطرس اللاتينيّ العثمانيّ من أهالي القدس، والمتوطن بيافا ببيع ما هو جارٍ بملك موكله الخواجة حنا أفروتكر (Johannes Frutiger) بموجب عدد رقم 28 لسنة (1311هـ / 1894م)، وذلك في بيع جميع قطعة الأرض المشتركة فيما بين باقي الشركاء نظير سهمين من أربعة أسهم في جميع الكرم المعروف سابقاً بكرم بشارو الصغير، الكائن خارج يافا، بالقرب من مركز سكة الحديد، مع أرضٍ مشجرةً بيعاً باتّاً لمن يشاء. حرّر في (1313هـ / 1895م). ⁽³⁾ بالإضافة إلى بيع جميع قطعة الأرض المشجرة الكائنة خارج يافا بطريق الطواحين، التي مساحتها 4738 ذراعاً، بذراع العمل بيعاً باتّاً، وفراغاً قطعياً لمن يشاء. ⁽⁴⁾

⁽¹⁾ القدس سجلّ 383، (1312هـ / 1894م)، ص 213-214.

⁽²⁾ القدس سجلّ 380، (1309هـ / 1892م)، ص 48.

⁽³⁾ القدس سجلّ 383، (1313هـ / 1895م)، ص 321.

⁽⁴⁾ القدس سجلّ 383، (1313هـ / 1895م)، ص 364.

وتذكر المصادر أنَّ أفروتكر كان واحداً من أغنى الأشخاص في فلسطين، فقد بلغت قيمة عقاراته مليوني فرنك (80.000 جنيه إسترليني)، ومن خلال البنك الذي قام بتأسيسه عام (1290هـ/ 1873 م) عمل على تمويل عددٍ من المشاريع المختلفة، من بينها مبانٍ في (ميا شعاريم، ماهان يهودا، وخط سكة حديد يافا - القدس)،⁽¹⁾ وتعكس الحجّة الآتية الثراء الذي تمتع به، إذ تقول: "حضر الكاتب الشرعيّ إلى دار حنا أفروتكر (Johannes Frutiger)، الكائنة بباب العامود، وعقد داخلها، وتحت عريشة بستانها عقداً يوكل فيه الأوّل صاحب الرفعة ميخائيل أفندي ابن الخواجة حنا فرنسيس بطاظة اللاتينيّ العثمانيّ، بقبض ديونه التي له بدم أربابها المعلومة، بموجب السندات النظاميّة والعاديّة والأوراق والدفاتر الموجودة بيده، وبفكّ الرهن عمّا هو مرهونٌ تحت يده إلى المدينين بعد قبض رهنه...".⁽²⁾

ثالثاً: عائلة هوفمان (Family Hoffmann)

يعدّ كريستوف هوفمان (Christoph Hoffmann * 1303_1230هـ—/ 1815_1885م) أبرز شخصيات هذه العائلة، ومن أبرز الشخصيات الرأسمالية، التي لعبت دوراً محورياً في تثبيت الوجود الألمانيّ في لواء القدس، وتنصفه المصادر بأنّه العراب الروحيّ للطائفة الألمانية في فلسطين بشكلٍ عامّ، ورئيس الكولونيات الألمانية،⁽³⁾ وتذكر المصادر أنّه قدم إلى فلسطين برفقة اليهوديّ (هاردج) من ألمانيا، وقد كرّسا جهدهما لاستيطان في الأراضي

⁽¹⁾ Sindaha, Mousa, Banking, p1-15

⁽²⁾ القدس سجلّ 379، (1308هـ/ 1891م)، ص 169.

* كريستوف هوفمان: ولد عام 1815م في مدينة مدينة ليونبرغ، في مقاطعة فورتمبرغ في ألمانيا، درس علم اللاهوت، وتبع بالتعاليم المسيحية، انضمّ إلى عددٍ من الهيئات الدينية المسيحية، التي كرّس حياته فيها، من أجل التبشير للدين المسيحيّ، إلّا أنّه سرعان ما انشقّ عنها باعتقاده أنّ المسيح قد دعا إلى تغيير جذريّ في حياة الناس، ولهذا أسّس جماعة الهيكليين (Deutscher Tempel)، التي أخذت على عاتقها جمع الناس وإرسالهم إلى الأراضي المقدسة لانتظار المسيح، وإقامة مملكته، وأنشأ لهذا الغرض جمعية عرفت باسم أصدقاء القدس، ويعدّ أحد الرواد الأوائل، وصاحب الفكرة للهجرة إلى فلسطين، ولتحقيق ذلك اشترى عدداً من الأراضي في حيفا وبافا والقدس، لإقامة المستوطنات عليها، بالإضافة إلى كونه رجل دين، فقد لعب دوراً سياسياً في البلاط البروسيّ، توفي في المستوطنة الألمانية في القدس عام 1885.

Glenk, Helmut, From Desert, p1-26, Eislar, Jakob, Der Deutsch, p 84-87

⁽³⁾ 181 (AGCJ, File, 544, 8, (1903AD/1320AH), الدباغ، بلادنا، ج 1، ق 1، ص 276 (الهامش)،

Glenk, Helmut, From Desert, p26

المقدسة، والدعوة إلى العودة إلى أرض السيد المسيح عليه السلام، ولإنجاح مشروعاتهما فقد جندتا طاقتهما والأموال اللازمة لذلك، وقد عملا على بث أفكارهما بين صفوف الألمان، تمهيداً لجلبهم للاستيطان في فلسطين، وبسبب إيمانهما بالبروتستانتية، وتشكيلهما جمعية تامل، فقد لقيتا معارضةً من الألمان، فوجدا من انتقالهما إلى فلسطين عام (1281هـ / 1864 م) فرصةً لممارسة شعائرها وبث أفكارهما بحرية تامة، وبعد ذلك استطاعا إقناع بعض أهالي روتنبرغ بالقدوم إلى فلسطين والاستيطان بها خصوصاً في مستعمرات حيفا وبيت لحم وأمّ العمد والطيرة* وسارونا، وقد عمل معظمهم بالزراعة، إضافةً إلى اشتغالهم بالتجارة⁽¹⁾.

وبعد انفصال هوفمان عن صديقه (هاردج) ركّز هوفمان جهده على تأسيس المستوطنات، فاشترى عدداً من الأراضي في مناطق القدس ويافا والقرى المحيطة بهما، وتقدّم لنا السجلات العثمانية والوثائق الألمانية معلوماتٍ مهمةً حول أملاكه، ويبدو أنّ هوفمان قد نجح في فكرته إلى حدٍّ ما بسبب الدعم الذي تلقاه من القنصلية الألمانية، إضافةً إلى امتلاكه الأموال اللازمة لذلك، وكثيراً ما نجد أعماله مقرونةً بتوصيات القنصلية الألمانية؛ لتسهيل مهمته لامتلاك الأراضي، ومنها: أنّه تقدّم عن طريق القنصلية بطلب شراء قطعتي أرض في قرية رنتيس**، في قضاء يافا، مساحة الأولى 650 دونماً، والثانية 850 دونماً، الجاريتين في تصرف إسكندر أفندي ابن بطرس أفندي بن روكن بموجب قواشين طابو رقم 221 و 240 من دفتر شهر مارس (1317هـ/1899م)، مقابل 1500 ليرة فرنساوية.⁽²⁾

وعلاوةً على دعم القنصلية الألمانية لهوفمان (Hoffmann)، فقد استطاع إقامة علاقات وطيدة مع كبار الملاكين، ومع شخصيات محلية، استطاع من خلالها الحصول على مساحاتٍ

* الطيرة: قرية تقع شمال شرقي الرملة، وشرقي يافا، تبعد عن الرملة (15) كم، وترتفع (75) متراً كان بها سنة 1945 م (12909) من العرب، وفي سنة 1949م أقام اليهود على موقعها (طيرة يهودا). شراب، محمد، معجم، ص510-511

(1) التميمي، ولاية، ج1، ص254.

** رنتيس: بفتح أوله وسكون ثانيه، بلدة تقع في الشمال الشرقي من اللد، ترتفع (680) قدماً، عرفت منذ العهد الروماني، تشتهر بزراعة الحبوب والبقول والخضار وأكثر أشجارها من الزيتون (682) دونماً، ثمّ العنب والتين، بلغ عدد سكانها سنة 1961م، (1539) نفساً من المسلمين، يشربون من مياه الأمطار التي تجمع في آبار. شراب، محمد، معجم، ص423.

(2) AGCJ,File544,6,(1901AD/1318AH),p1-4. أنظر الملاحق شكل رقم (9).

كبيرة من الأراضي، مقابل المال، وكان جزء من هذه الأراضي يقع في مناطق استراتيجية في لواء القدس، حتى يمكن القول إنه بفضل جهوده أصبح للألمان الأسبقية بين الجاليات الأوروبية الأخرى في السيطرة على الأرض، ومن أبرز ما امتلكه هوفمان هو قرية اليهودية، التي اشتراها عام (1320هـ/1902م) بوساطة وكلاء ووسطاء محليين، أمثال أنطوان كسار، التي أصبحت فيما بعد مستوطنة ألمانية، تُعرف باسم (ويلهلم).⁽¹⁾

إضافة على العوامل السابقة، فقد استغل هوفمان فقر الفلاح الفلسطيني، الذي أرهقته الضرائب، التي دفعته للوقوع فريسة كبار الملاك أمثال أنطوان كسار، الذي أخذ الوكالات منهم مثل ما حدث مع أهالي قرية اليهودية، الواقعة إلى الشرق من يافا، والتي تقدّر مساحتها بـ 204.000 دونم، والتي انتقلت إلى حوزته.⁽²⁾

أما الأسباب التي دعت هوفمان إلى شراء جزء من أراضي قرية اليهودية،* فقد أوضحها في رسالة كان قد بعثها إلى جناب قائمقام قضاء يافا، يذكر فيها الأسباب، ويذكر فيها "أن سارونا المستوطنة الألمانية التي اقيمت بيافا عام (1288هـ/1871 م) أصبحت ضيقة جداً على سكانها وأراضيها غير كافية للزراعة والفلاحة، وفيها جملة شبان تربوا على الزراعة والفلاحة، وهؤلاء أصبحوا بدون عمل، نظراً لعدم وجود الأراضي الكافية للزراعة والفلاحة؛ كي يكتسبوا معاشاتهم الضرورية، وبما أن أراضي قرية اليهودية لا تبعد كثيراً عن الكولونية الألمانية، فالخواجا كريستوف هوفمان يريد شراء 5500 دونم من أراضي القرية التي كانت بتصرف الخواجة أنطوان كسار، وهي فقط القبلية والشرقية، إلا أن حدودها من الجهة الغربية كان مختلفاً عليها مع السكان والقرى المجاورة بمقدار 500 دونم، ثم جرى اتفاق بين مخاتير القرية وأنطوان كسار بوجود ترجمان القنصلية الألمانية جورجى مراد أفندي، فجرى التنازل عنها، وتباين حدودها بحفر خندق حولها، ابتداءً من الجهة الشمالية إلى طريق قرية رنتيس، وإلى الجهة القبلية، منتهياً إلى وادي وجسر السوداء، ماراً بين منطقة بسدره أبي خريص".⁽³⁾

(1) AGCJ,File544,8,(1901AD/1318AH),p2-4-56

(2) AGCJ,File544,8,(1901AD/1318AH),p2-4-56

(3) AGCJ,File544,8,(1902AD/1319AH),p35

وتبيّن وثائق الطابو المحفوظة لدى الأرشيف الألماني أنّ قطع الأراضي التي تمّ شراؤها بقرية اليهودية، هي ثلاث قطع هي: القبلية ومساحتها 6885 دونماً، والشرقية ومساحتها 1354 دونماً، وقطعة الرمل ومساحتها 981 دونماً، ويبلغ مجموعها 9220 دونماً من المتصرف الأول بها أنطوان كسار،⁽¹⁾ ولإتمام صفقة الأراضي قام هوفمان (Hoffmann) بتوكيل ماتيوس فرنك (Matthews francs)، وطورد (ثيودور) بن يوهانس (Theodore Ben Johannes) الألمانين بيافا وكالة مطلقة عامّة صحيحة، في طلب قسمة الحصة الشائعة المملوكة إليه من جميع القطع الثلاث الواقعة بقرية اليهودية بموجب ثلاثة قوشونات نظامية موسومات بعدد 86-87 من دفتر شهر تموز سنة (1318هـ / 1900م) قسمة إفران مع شركائه بها، وهم أنطوان أفندي كسار وبقية شركائه المعلومين،⁽²⁾ وبعد فترة قصيرة قام هوفمان بتوكيل أشخاص ألمان في قرية اليهودية بإدارة أملاكه، حيث وكلّ كلّاً من فرنك جورج فرنك (Franc Gorg franc) وكوتليب باولص (Cottleb Bowles) الألمانين المقيمين في المستعمرة الألمانية الكائنة داخل قرية اليهودية بيافا في وضع أيديهم على أملاكه وأراضيه الكائنة بها، من حيث البيع والرهن والاستئجار، وذلك عام (1323هـ / 1905م).⁽³⁾

وامتلك هوفمان كذلك قطع أراضٍ متفرقة في اللواء منها: قطعة أرضٍ واقعة في قرية الطيرة التابعة لقضاء يافا، والبالغة مساحتها 1683 دونماً، والجارية بتصرف ومزارعة الخواجا أنطوان كسار بن سليم، وذلك بموجب كوشان طابو نمرة 288 من دفتر شهر شباط (1316هـ / 1898م)،⁽⁴⁾ بالإضافة إلى امتلاكه كروماً وبيارات في يافا،⁽⁵⁾ وأملاك أخرى في حيفا والناصرية ولواء عكا،⁽⁶⁾ وكانت بياني بنت كريستوف هوفمان (Biane Christoph Hoffmann) تمتلك أراضي وأملاكاً في القدس وبيت لحم وعكا.⁽⁷⁾

⁽¹⁾ AGCJ,File544,8,(1902AD/1319AH),p2-4-56.

⁽²⁾ القدس سجلّ 397، (1321هـ / 1903م)، ص 143، 58-57-3، AGCJ,File544,8,(1903AD/1320AH),p191.

⁽³⁾ القدس سجلّ 398، (1323هـ / 1905م)، ص 40.

⁽⁴⁾ AGCJ,File544.6,(1901AD/1318AH),p3.

⁽⁵⁾ القدس سجلّ 400، (1325هـ / 1907م)، ص 157، سجلّ 401، (1325هـ / 1907م)، ص 33-34.

⁽⁶⁾ القدس سجلّ 397، (1322هـ / 1904م)، ص 1-2، سجلّ 398، (1322هـ / 1904م)، ص 1-2.

⁽⁷⁾ غنايم، زهير، لواء، ص 357.

الفصل الثالث

الاستيطان الألمانيّ في لواء القدس

حجم الجالية الألمانية وطوائفها في لواء القدس

اختلفت المصادر في تحديد حجم الطائفة الألمانية في لواء القدس في النصف الثاني من القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين، إذ يورد شولش في كتابه "تحولات جذرية" بعضاً من الأرقام الإحصائية لعددهم، والتي استقاها من القنصلية الألمانية، فذكر أنّ عدد المتمتعين بالحماية الألمانية في اللواء بلغ عام (1285هـ/1868م) 231 شخصاً، وفي عام (1290هـ/1873م) بلغ عددهم 1362 شخصاً، وقد ارتفع العدد ليصل عام (1291هـ/1874م) إلى 1554 شخصاً، لكن يلحظ أنّ العدد انخفض عام (1294هـ/1877م) إلى 1495 شخصاً، ويضيف شولش أنّ عدد رعايا الرايخ الألمانيّ في دائرة اختصاص قنصلتي القدس ويافا، بلغ ما يقارب 587 شخصاً.⁽¹⁾

بينما يذكر صبري أنّ عدد المتمتعين بالحماية البروسية - الألمانية - عام (1289هـ/1872م) كانوا 987 شخصاً، وهو رقم قريب من إحصائيات شولش،⁽²⁾ وفي إحصائيات توزيع أفراد الجالية الألمانية في لواء القدس، فقد بلغ عدد أفراد مستعمرة يافا من الألمان 250 شخصاً، بينما كان عددهم في مستعمرة سارونا الزراعية 194 شخصاً، وضمت مستعمرتهم في القدس "الكولونية الألمانية" حوالي 250 شخصاً.⁽³⁾

ويورد التميمي أرقاماً لأعدادهم تكاد تكون قريبة من إحصائيات شولش، فيذكر أنّ أعدادهم في مستعمرتهم في القدس تتراوح ما بين 300-400 شخص، وفي مستعمرة يافا 200 شخص، وفي سارونا 300 شخص، وفي مستعمرة ويلهلم 300 شخص، ويضيف التميمي أنّ مجمل أعدادهم في تلك الفترة، كان في حدود 2000 مهاجر.⁽⁴⁾

بينما يشير (Carmel Alex) إلى أنّه في عام (1307هـ/1889م) قامت جمعية المعبد بكشف شامل عن وجود المستوطنين الألمان في كلّ من القدس، وحيفا، ويافا، وسارونا، وجاء على النحو الآتي:

(1) الكزاندر، شولش، تحولات، ص 146-147.

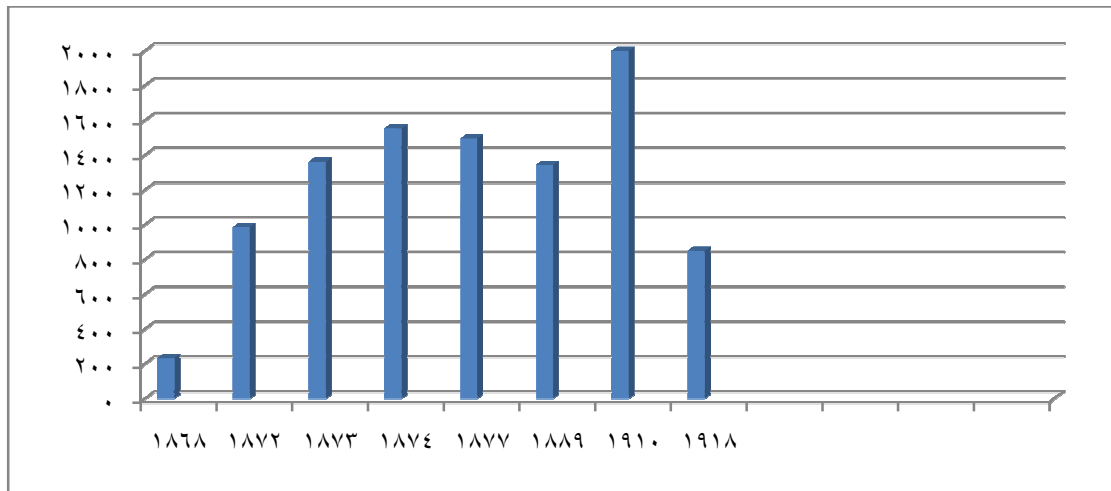
(2) صبري، بهجت، لواء، ص 313.

(3) الكزاندر، شولش، تحولات، ص 184.

(4) التميمي، ولاية، ج1، ص 238.

- حيفا: كان فيها 95 عائلة ألمانية، بعضاً منهم يعيش خارج حيفا، ثلاث عائلات منهم في الناصرة، بما مجموعه 454 شخصاً، (140 منهم لا ينتمون إلى الهيكلين).
- يافا: كان فيها 60 عائلة، بعضهم يعيش خارج يافا، بما مجموعه 320 شخصاً، (40 منهم لا ينتمون إلى الهيكلين).
- القدس: كان فيها 44 عائلة ألمانية، منهم 8 عائلات، تسكن البلدة القديمة، بما مجموعه (300) شخص.
- سارونا: كان فيها 51 عائلة ألمانية، عائلة واحدة ليست من الهيكلين، بما مجموعه 269 شخصاً.

ويتبين من ذلك أن مجموع الألمان في البلاد عام (1889م/1306هـ)، كان 1343 شخصاً، حوالي (250 أسرة).⁽¹⁾ وفي حلول عام (1328هـ/ 1910 م) بلغ عدد البروتستانت الألمان في فلسطين نحو ألفي نسمة، منهم 1330 من جمعية الهيكل، و460 من أتباع الكنيسة الوطنية الألمانية.⁽²⁾ والرسم البياني يوضح ذلك:



يلاحظ من الرسم البياني السابق أن أعداد الألمان في فلسطين كانت متغيرة من سنة إلى أخرى، ويبدو أن ذلك يعود إلى عدة أسباب منها: عودة بعض المهاجرين والهيكلين الألمان إلى

⁽¹⁾ Carmel, Alex, Die Siedlungen, p52, Aaronsoh, Ran, Rothschild, P41

⁽²⁾ محافظة، علي، العلاقات، ص70.

ألمانيا؛ لعدم تأقلمهم في الأراضي المقدسة، ولصعوبة الأوضاع الاقتصادية، وعدم وجود دعمٍ ماليٍّ حقيقيٍّ من الحكومة الألمانية تجاههم، إضافةً إلى سوء الأوضاع الصحية، التي أودت بحياة كثيرٍ منهم، وبعد عام (1328هـ / 1910م) أنخفضت أعدادهم كثيراً نتيجة هجرة بعض العائلات الألمانية من بعض المستوطنات خصوصاً سارونا، نحو المستوطنة الألمانية في شرق أفريقيا (تنزانيا اليوم)،⁽¹⁾ وهذه كانت ضربةً قويةً لجميعية الهيكل، إضافةً إلى السبب الرئيسي وهو اندلاع الحرب العالمية الأولى، ومشاركة عددٍ من الشباب الألمان القاطنين في المستوطنات في الحرب إلى جانب ألمانيا، وموت العديد منهم في المعارك.⁽²⁾

وبناءً على ما أورده المصادر من إحصائيات، فإنَّ مجموع أفراد الجالية الذين استوطنوا اللواء لم يتجاوز 2000 شخصٍ في أعلى تقدير⁽³⁾، توزَّعوا على عددٍ من الطوائف الدينية، التي كان من أبرزها:

أولاً: البروتستانتية

اعتنق الألمان الديانة المسيحية،⁽⁴⁾ لكنهم اتَّبَعُوا مذاهب دينية مختلفة، فمنهم من انتمى إلى المذهب البروتستانتي،⁽⁵⁾ الذي انشقَّ عن المذهب الكاثوليكي، ويعود الفضل في تأسيسه إلى المصلح الدينيَّ مارتن لوثر، لكنَّ هذا المذهب ما لبث أن انقسم إلى مذاهب متعددة، ومن الناحية التاريخية لم يكن لهذا المذهب انتشارٌ في مدينة القدس، في مطلع القرن التاسع عشر الميلادي، لكنَّ المصادر تذكر أنَّ ظهوره كان في عام (1236هـ / 1820م) عندما بدأ الأوروبيون يستوطنون مدينة القدس، وقد انتعش هذا المذهب خلال فترة الحكم المصري في فلسطين (1247-1256هـ / 1831-1840م)، وقد تجذَّر هذا المذهب بشكلٍ ملحوظٍ مع تأسيس الأسقفية الإنجيلية بين (بروسيا وبريطانيا) في القدس عام (1257هـ / 1841م)، إذ تبنَّت دعوة اليهود إلى

(1) Aaronsoh, Ran, Rothschild, P41

(2) Glenk, Helmut, From Desert, p67

(3) الكزاندر، شولش، تحولات، ص 91.

(4) القدس سجلّ 400، (1324هـ / 1906م)، ص 48.

(5) القدس، سجلّ 384، (1314هـ / 1896م)، ص 224، سجلّ 390، (1315هـ / 1897م)، ص 139.

البروتستانتية، إضافةً إلى الاعتراف بالملّة البروتستانتية داخل الدولة العثمانية عام (1267هـ/ 1850م)، ومن الجدير ذكره أنّ الكنائس الإنجيلية، وفرسان المعبد تعدّان من أشهر المؤسسات الدينية البروتستانتية،⁽¹⁾ ورغم حرص الطائفة على تحقيق الوحدة بين أتباعها، فإنّه في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، انفصل الألمان كنسياً عن الإنجليز عام (1305هـ/ 1887م)، وأصبح ولاء البروتستانت الألمان وانتماؤهم للدولة الألمانية الموحّدة منذ عام (1288هـ/ 1871م) أقوى من انتمائهم للكنيسة البروتستانتية.⁽²⁾

ثانياً: الطائفة الأرمنية

انتمى عددٌ قليلٌ من الألمان إلى الطائفة الأرمنية،⁽³⁾ وهم الطائفة الثانية في القدس، وسكنوا في حيٍّ عُرِفَ بحيّ الأرمن، أو محلّة صهيون في جبل صهيون، في الجنوب الغربيّ من المدينة، وكانت لهذه الطائفة بطريركية في القدس، لكنّهم انقسموا فيما بينهم إلى أرمنٍ كاثوليك، وأرثوذكس، ويختلفون عن الكنيسة الكاثوليكية والكنيسة الرومانية، وتدار كنائسهم من هيئة البطارقة والرهبان، وتختار هذه الهيئة بمرسومٍ من السلطان العثمانيّ،⁽⁴⁾ واعترفت الدولة العثمانية بهم كملّة عام (866هـ/ 1461م)، وهم من أكثر طوائف النصارى اعتدالاً، وغنى، وكانت تضمّ علاوةً على الأرمن الأصليين جميع رعايا السلطان الآخرين، غير المعترف بملّتهم كالسريان، والأقباط، والأقباط، ورغم الصلاحيات التي خولت إلى البطريرك الأرمنيّ، فإنّه كان تابعاً لبطريرك الأستانة، ولم يحصل على استقلاله عنه إلا عام (1336هـ/ 1917م)، لكن بعد ازدياد التبشير البروتستانتية في القدس، انتمى كثيرٌ منهم إلى المذهب البروتستانتية.⁽⁵⁾

(1) المدني، زياد، مدينة، ص 226، القضاة، أحمد، نصارى، ص 124-130، اوزدمير، حسين، فلسطين، 37.

(2) القضاة، أحمد، نصارى، ص 124-130.

(3) القدس سجلّ 383، (1309هـ/ 1892م)، ص 67، سجلّ 384، (1309هـ/ 1892م)، ص 39.

(4) صبري، بهجت، لواء، ص 145، المدني، زياد، مدينة، ص 221، القضاة، أحمد، نصارى، ص 99-107، اوزدمير،

حسين، فلسطين، ص 36.

(5) القضاة، أحمد، نصارى، ص 99-107.

ثالثاً: طائفة الروم الكاثوليك

انشقت عن طائفة الروم الأرثوذكس عام (1136هـ/1742م) طائفة عُرفت باسم الروم الكاثوليك، لكن السلطة كانت للبطريركية الأرثوذكسية، وفي بداية الأمر مورسَ عليها الاضطهاد من الأرثوذكس بمساعدة الدولة العثمانية؛ لأن الدولة العثمانية كانت لا تعترف بالطوائف المنشقة، ورغم ذلك، فقد استطاعت طائفة الروم الكاثوليك أن تنتخب عام (1137هـ/1724م) بطريركاً خاصاً بها، واعترفت برئاسة البابا، وتلقّت مساعداتٍ من أوروبا طوال القرنين السابع عشر والثامن عشر الميلاديين، ولم يكن لكنيسة الروم الكاثوليك ثقلٌ دينيٌّ ومدنيٌّ في القدس، لقلّة أتباعها مقارنةً بالكنائس الأخرى، ولتأخر اعتراف الدولة العثمانية بها، ولأنّها سورية المنشأ، أمّا عن اتباعها، فكانوا من أصولٍ أوروبيةٍ: إسبانيّين، وإيطاليّين، وألمانٍ، ومنهم عربٌ مهاجرون من بلاد الشام، واعترفت الدولة العثمانية بهم كطائفة مستقلة عام (1248هـ/1833م)، وحصلوا على الاستقلال التام عن الروم الأرثوذكس عام (1265هـ/1848م)⁽¹⁾

رابعاً: الطائفة اللاتينية

انتمى بعض الألمان في لواء القدس إلى الطائفة اللاتينية،⁽²⁾ التي تبنت المذهب اللاتينيّ للكنيسة الرومانية، وكان للأتين وجودٌ في القدس في عهد الصليبيين، وهم يخضعون لإدارة رجال الدين من رعايا الدول الأجنبية، وقد استمرّوا في أداء وظيفتهم الدينية في الأماكن الكاثوليكية، التي يقصدها الناس للزيارة، ولديهم رجالٌ دينٌ يعملون تحت إمرتهم، ويحملون لقب بطريرك، ورغم أنّ الدولة العثمانية لم تعترف بالبطريركية، فإن الاعتراف بها كان ضمناً؛ لأن الدولة العثمانية كانت تحكم أتباع المذهب اللاتينيّ، الذين هم رعاياها،⁽³⁾ وعند ظهور البطريركية اللاتينية كان عدد طائفة اللاتين نحو أربعة آلاف نسمة، ولهم ثمان كنائس في القدس، وبيت لحم، والناصرية، ويافا، وعكا، وحيفا، والرملة، وعين كارم، وعاش الرهبان اللاتينيّون بدير

(1) القضاة، أحمد، نصارى، ص 97-98.

(2) القدس سجلّ 383، (1312هـ/1894م)، ص 213-214، سجلّ 393، (1319هـ/1901م)، ص 184.

(3) المدني، زياد، مدينة، ص 222، قضاة، أحمد، نصارى، ص 107-114، اوزدمير، حسين، فلسطين، ص 38.

تراسانطة، وكان أغلب الرهبان من الفلاحين الملتزمين دينياً، وعلى علاقة طيبة مع بابا روما، أما مقر بطريركيتهم في القدس، فكان بمحلة النصارى.⁽¹⁾

خامساً: اليهود الألمان

هم مجموعات كبيرة من الألمان هاجرت إلى فلسطين، واستوطنت في لواء القدس، بعد عام (1227هـ/ 1812م)، قدموا من شرق أوروبا ووسطها، مثل: ألمانيا، وروسيا، ورومانيا، وتذكر سجلات محكمة القدس الشرعية العثمانية أنهم قدموا إلى مدينة القدس من منطقة الجليل؛ بسبب مرض الطاعون الذي حلّ بهم، ما أدّى إلى وفاة المئات منهم، وقبل دخولهم القدس كان يفرض عليهم الحجر الصحي،⁽²⁾ وأشارت إليهم السجلات بأسماء مختلفة، فقد ذكرتهم باسم الموسوية ولعب هؤلاء دوراً مهماً في الحياة الاجتماعية والاقتصادية في لواء القدس.⁽³⁾ وتشكل (طائفة الأشكنازيين) إحدى أهم الطوائف اليهودية الألمانية التي قدمت إلى فلسطين،⁽⁴⁾ وقد بدأت أعدادهم بالتزايد في فلسطين، بعد صدور الأمر السلطانيّ الإصلاحيّ (1255هـ/ 1839م) للقادمين من البلاد الأوروبية المختلفة، بعد أن وجدوا من يحميهم في فلسطين، خصوصاً بعد حصولهم على التابعة العثمانية، إلّا أنّ أعداداً كبيرة من أبنائهم ظلّوا يتهرّبون من ضريبة الخدمة العسكرية؛ لذلك لم يتمّ تسجيل قسم كبير منهم، لا في مكاتب التسجيل، ولا في القنصليات، وبهذه الطريقة ظلّوا يعيشون أحراراً من أية التزامات.⁽⁵⁾

المستوطنات الألمانية ومراكز انتشار الجالية الألمانية في لواء القدس

تسابق الأوروبيون على استيطان فلسطين، وإقامة مستعمراتهم الخاصة لتحقيق مصالحهم المختلفة، والسيطرة على الأرض المقدسة؛ لذلك ارتفعت أصوات الأوروبيين للسيطرة على الأراضي المقدسة، من خلال إنشاء مستعمرات أوروبية، وكانوا يرون أنّ السكان الأصليين

(1) قضاة، أحمد، نصارى، ص 107-114.

(2) الشناق، محمود، العلاقات، ص 203-204، المدني، زياد، مدينة، ص 227-229، اوزدمير، حسين، فلسطين، ص 34-35.

(3) القدس سجلّ 403، (1328هـ/ 1910م)، ص 223، صلاح، حنا، فلسطين، ص 26-27.

(4) القدس سجلّ 397، (1322هـ/ 1904م)، ص 35.

(5) الشناق، محمود، العلاقات، ص 204.

مستعدون للتنازل عن أراضيهم، مقابل الحصول على "الخبز والحماية" بالإضافة إلى استخدامهم عمالاً في الأرض،⁽¹⁾ وفي مقدّمة الأوروبيين الذين تطلّعوا إلى استيطان فلسطين (الألمان)، الذين ارتكزوا على العلاقات الإيجابية مع الدولة العثمانية، وتطلّعوا إلى اتّخاذ ذلك مدخلاً للولوج إلى فلسطين،⁽²⁾ وقد كان الدافع الدينيّ من أهمّ الدوافع لتحرك الألمان نحو الأرض المقدسة، فبرز من بينهم (الهيكليون الألمان) الذين سعوا إلى جمع "شعب الله" في القدس حسب نظريتهم، وقالوا في ندائهم عام (1278هـ/ 1861م) إنّ فكرة الأمّة الألمانية يجب أن توجّه إلى إقامة الهيكل في القدس واحتلال فلسطين، بتوجيه من السلطة المركزية الألمانية، التي تضمن هذا الهدف من خلال عملية الاستيطان.⁽³⁾

وقد تركّز الوجود الألمانيّ في لواء القدس في منطقة: يافا والقدس؛ لما تتمتع به هاتان المدينتان من مزايا اقتصادية ودينيّة؛ إذ تتبع أهميّة يافا من وقوعها على شاطئ البحر الأبيض المتوسط، فهي محطّ أنظار التجار والزوار على حدّ سواء، وهي حلقة وصل بين فلسطين والعالم عن طريق (ميناء يافا)، تمثّله من ثقل اقتصاديّ، نظراً لأزدهار التجارة والزراعة فيها، أمّا القدس، فهي المدينة الدينية الأبرز في المنطقة، وهي محطّ أنظار المسلمين، المسيحيين، واليهود، على حدّ سواء، إضافةً إلى ما إضافةً إلى يافا والقدس، كانت مدينة حيفا الساحلية وجهةً محبّذةً للألمان؛ فهي من أهمّ مدن ساحل البحر المتوسط، فقد شيد الألمان فيها بعض مستوطناتهم، على سفوح جبال الكرمل، قرب ميناء حيفا.⁽⁴⁾

أسّس الألمان لذات الغرض عدداً من الجمعيات التي كان من أبرزها: جمعية "تامبل" (Tampel) أو جمعية محبيّ القدس الشريف، التي كان يقف على رأسها كريستوف هوفمان (Christoph Hoffmann) صاحب الحركة الإصلاحية،⁽⁵⁾ وبدأت طلائع جماعة الهيكلين بالقدوم إلى فلسطين بعد عام (1284هـ/ 1867م)،⁽⁶⁾ حيث نزلت مجموعة من 25 شخصاً في

(1) الكزاندر، شولش، تحولات، ص 86-90، أبو شمالة، مروان، الاستراتيجية، ص 90.

(2) أبو بكر، أمين، ملكية، ص 592.

(3) الكزاندر، شولش، تحولات، ص 90، أبو بكر، أمين، ملكية، ص 592.

(4) هنداوي، سهام، التطور، ص 178-179.

(5) Glenk, Helmut, From Desert, p2-6.

(6) صبري، بهجت، لواء، ص 313، سنو، عبد الرؤوف، المصالح، ص 33-34.

سهل مرج بن عامر، لكنّ هذه المجموعة لم تكن مدعومةً من الهيكلين، فمُنيت ببعض الأمراض وأهمها: الملاريا، فانتقلوا إلى سمونية*، بالقرب من الناصرة، وفي عام (1284هـ/1868م) أدركت جمعية الهيكل أنّه من المهمّ مساعدتهم، وفي أكتوبر عام (1284هـ/1868م) هاجر هوفمان وهاردج إلى حيفا للتخطيط لإقامة أول مستوطنة، واستغلّت جمعية الهيكلين العلاقة الحسنة بين ألمانيا والدولة العثمانية؛ لتسهيل إقامة المستوطنة، فأرسلت إلى إسطنبول عام (1284هـ/1868م) هوفمان يرافقه هاردج، وطلبا من السلطان العثمانيّ عبد العزيز الإذن بإقامة مستعمرة ألمانية في الأرض المقدّسة، وعندما حصلوا على ذلك، نزلت أول قافلة من مهاجري (فروتمبرغ) في حيفا عام (1285هـ/1869م)، وأقاموا فيها مستوطنة⁽¹⁾ على قطعة أرضٍ تمتدّ من شاطئ البحر حتى سفح جبل الكرمل، لما لهذا الموقع من أهميّة استراتيجية لقربها من الميناء أولاً، ثمّ لكونها مدخلاً إلى حيفا ثانياً، مستغلّين العلاقات الدبلوماسية العثمانية - الألمانية الجيدة، وبعد ذلك تسارعت وتيرة شراء الأراضي في حيفا ويافا، بهدف إقامة مزيد من المستعمرات الألمانية، مستفيدين من قانون تملك الأجانب،⁽²⁾ ونجحت بذلك الإرساليات البروسية في إقامة المستعمرات، التي كانت وسيلةً لخلق وجودٍ لها بالقدس⁽³⁾، وبالتالي زيادة الهجرات الألمانية التي تطورت من هجرات فردية كانت بالبدايات إلى هجرات جماعية، وهو ما أثار استياء هوفمان وهاردج، اللذين عارضا ذلك وعدّاهما بالعشوائية، وعدم التنظيم، خصوصاً أنّ فكرتهما كانت تقوم على انتقاء المستوطنين الذين يأتون إلى فلسطين، واختيارهم بدقّة وفقاً لقدراتهم، من أجل إقامة مجتمع متماسك مستقلّ عن المحيط العربيّ، وكانت العائلات الألمانية في بعض الأحيان تبعث مندوباً عنها إلى فلسطين؛ ليكشف لهم الأوضاع بشكل عامّ، لكنهم لم ينجحوا في منع الآخرين من الانضمام إلى صفوفهم، الأمر الذي أرهقهم مادياً، فأصابهم العجز خصوصاً مع فشل حملات التبرّع، التي قادوها في ألمانيا والسويد؛ لذا لجأت إلى فرض

* سمونية: من قرى قضاء الناصرة، تبعد إلى الغرب منها (13) كم على ارتفاع (125م)، وقد باعت الحكومة العثمانية عام 1869م أراضيها إلى بعض التجار في بيروت، وباعها هؤلاء إلى اليهود، الذين أقاموا مستعمرة (معبرة شيمرون) غرب موقع القرية العربية سنة 1948م. شراب، محمد، معجم، ص455.

(1) Carmel, Alex, Die Siedlungen, p29-30, Aaronsoh, Ran, Rotschild, p38-39, Glenk, Helmut, From Desert, p2-6.

(2) الحزماوي، محمد، ملكية، ص70، مناع، عادل، تاريخ، ص189، الوعري، نائلة، دور، ص164-166، أبو شمالة، مروان، الاستراتيجية، ص79-80، Glenk, Helmut, From Desert, p2-6.

(3) صبري، بهجت، لواء، ص279.

القروض المالية الإلزامية على المستعمرين، بعد رفض الأجهزة المركزية للجمعية في ألمانيا تحويل المال لهم.⁽¹⁾

الاستيطان الألماني في قضاء يافا

ظهر الوجود الألماني في مدينة يافا ومحيطها (داخلها وخارجها) بشكل ملحوظ،⁽²⁾ خصوصاً في قرى (أبو شوشة)، التي امتلكها ملفيل بركم (Melville Bergheim)⁽³⁾ وقرية اليهودية، التي اشترى جزءاً كبيراً منها كريستوف هوفمان (Christoph Hoffmann) العرب الروحي، ورئيس الكولونيات الألمانية، وأسكن بها جالية ألمانية كبيرة،⁽⁴⁾ وكذلك قرية المنصورة*⁽⁵⁾ وقرية ملبس**.⁽⁶⁾

أولاً: مستعمرة يافا (Jaffa)

يلحظ أن "مستعمرة يافا"،⁽⁷⁾ التي امتدت خارج أسكلة*** يافا⁽⁸⁾ كانت أولى المستوطنات الألمانية في لواء القدس، وقد أقيمت عقب زيارة المبشر الإنجيلي ميلر (Muller) برفقة ميسلر

(1) Helmut, Glenk, Carmel, Alex, Die Siedlungen, p29-30, Aaronsoh, Ran, Rothschild, p38-39 (1) From Desert, 2-4, أبو شمالة، مروان، الاستراتيجية، ص 80.

(2) القدس سجل 378، (1306هـ/1889م)، ص 126، سجل 384، (1311هـ/1894م)، ص 97، سجل 398، (1323هـ/1905م)، ص 4، سجل 400، (1324هـ/1906م)، ص 48.

(3) القدس سجل 384، (1309هـ/1892م)، ص 37-39، سجل 390، (1314هـ/1896م)، ص 42.

(4) القدس سجل 397، (1323هـ/1905م)، ص 3-57، ص 143، سجل 398، (1323هـ/1905م)، ص 40.

* المنصورة: قرية تقع على بعد تسعة كم جنوب مدينة الرملة، بلغ عدد سكانها سنة 1945م تسعين عربياً، وقد طردهم الأعداء، ودمروا بيوتها. شراب، محمد، معجم، ص 694.

(5) القدس سجل 397، (1323هـ/1905م)، ص 107.

** ملبس: هي قرية تقع ضمن لواء يافا، إلى الشمال الشرقي منها، أقيمت على أراضيها مستوطنة بيتاح تكفا اليهودية عام 1878م، وكانت مساحة أراضيها حينئذ (2000) دونم. الدباغ، بلادنا، ج 1، ق 1، ص 279-280.

(6) القدس سجل 379، (1308هـ/1891م)، ص 151.

(7) القدس، سجل 400، (1324هـ/1906م)، ص 48، أبو بكر، أمين، ملكية، ص 593، مناع، عادل، تاريخ، ص 189.

*** أسكلة: كلمة يونانية الأصل، تعني التحميل والتزليل، دخلت إلى اللغة الإيطالية عن طريق النشاط التجاري للمدن الإيطالية، ومنها دخلت إلى اللغة العربية، تحت تعبير شقالة، واللغة التركية أسكلة، أي الميناء البحري. القضاة، أحمد، نصارى، ص 147.

(8) القدس، سجل 400، (1324هـ/1906م)، ص 48.

(Misller) الألمانيّ، وهما اللذان قاما بشراء المستوطنة الأمريكية المعروفة بسم آدامز (AdamsCity)، المكوّنة من 19 بيتاً خشبياً،⁽¹⁾ ويبدو أنّ الأمريكيّان قد هجروها بسبب الأمراض التي فتكت بهم، رغم إيمانهم بأهميّتها الدينية؛ كونها مكانَ عودة المسيح حسب اعتقادهم،⁽²⁾ وأنشئت على الأغلب في عام (1286هـ/1869م) بعد استيطان الهيكليين الألمان في حيفا،⁽³⁾ بعد الخلاف الذي حصل بين (هوفمان وهاردج)، إذ تشير المصادر إلى أنّ هوفمان اتّجه إلى شراء أرضٍ في يافا، وأقام عليها مستوطنةً، لتصبح النواة الثانية للألمان في فلسطين، وأقام فيها مستشفى وفندقاً ومدرسة، وتضاعف عدد السكان فيها من 110 أفرادٍ عام (1287هـ/1870م) إلى 220 نسمة عام (1292هـ/1875م)، وقد عمل المستوطنون الألمان فيها على تطوير قطاع النقل، وعلاوةً على الطابع الزراعيّ لهذه المستوطنة، فقد عملوا في التجارة والحرف اليدوية، التي مثّلت الجزء الأكبر من دخلهم، واحتوت على ثلاثة متاجر، ومطحنة، وبعض الورش الصغيرة، التي أقيمت في أوائل السبعينيات من القرن التاسع عشر الميلاديّ،⁽⁴⁾ ومع حلول العام (1290هـ/1873م) أصبحت هذه القرية مستوطنةً خاصّةً بالهيكليين الألمان،⁽⁵⁾ وتشير المصادر إلى أنّ مساحة هذه القرية بلغت 60 هكتاراً، وعدد سكانها وصل عام (1330هـ/1912م) إلى 350 نسمة،⁽⁶⁾ وقد احتوت على مدرستين ومستشفى،⁽⁷⁾ وقدّر هوفمان عام(1291هـ / 1877م) ممتلكاتها غير المنقولة بـ473000 فرنك.⁽⁸⁾

(1) محافظة، علي، العلاقات، ص 109، الوعري، نائلة، دور، ص 168، هنداي، سهام، التطور، ص 182-183، Glenk, Helmut, From Desert, p6.

(2) أبو بكر، أمين، ملكية، ص 593.

(3) الكزاندر، شولش، تحولات، ص 184، Glenk, Helmut, From Desert, p2.

(4) Aaronsoh, Ran, Rothschild, p40.

(5) الدباغ، بلادنا، ج 1، ق 1، ص 276، محافظة، علي، العلاقات، ص 109 الوعري، نائلة، دور، ص 168، هنداي، سهام، التطور، ص 182.

(6) محافظة، علي، العلاقات، ص 110، Carmel, Alex, Die Siedlungen, p40.

(7) محافظة، علي، العلاقات، ص 110.

(8) الكزاندر، شولش، تحولات، ص 185.

ثانياً: مستعمرة سارونا (Sarona)

قام الألمان بتدشين مستوطنة سارونا الزراعية،⁽¹⁾ وقد اختلفت المصادر في تاريخ تدشينها فقال بعضهم: إنها دشنت عام (1288هـ/1871م)،⁽²⁾ وقيل عام (1289هـ/1872م)⁽³⁾ وقال آخرون عام (1290هـ/1873م)،⁽⁴⁾ لكن المؤكد أن كريستوف هوفمان اشترى قطعة أرض مساحتها 60 هكتاراً في سهل سارونا، بالقرب من نهر العوجا (اليركون الآن)،⁽⁵⁾ بين يافا وتل أبيب⁽⁶⁾ على بعد 2.5 كم شمال شرقي يافا،⁽⁷⁾ تولّى تصميمها وتخطيط أبنيتها المهندس الألماني ثيودور زاندل (Theodore Sandel) (1261-1320هـ/1845-1902م)،⁽⁸⁾ وأطلق عليها الألمان أخت مستعمرة يافا،⁽⁹⁾ وقدّرت ممتلكاتها غير المنقولة لعام (1294هـ/1877م) بـ 440200 فرنك،⁽¹⁰⁾ ثم ازدادت مساحتها إلى 78 هكتاراً،⁽¹¹⁾ وأشار الدباغ إلى أنها مساحتها بلغت 1516 دونماً، وبها 150 ألماناً،⁽¹²⁾ وبسبب عمليات الشراء وصلت مساحتها عام (1332هـ/1914 م) إلى 474 هكتاراً.⁽¹³⁾

(1) التميمي، ولاية بيروت، ج1، ص138، الدباغ، بلادنا، ج4، ق2، محافظة، علي، العلاقات، ص 110، ص358، الحزماوي، محمد، ملكية، ص70، مناع، عادل، تاريخ، ص189، الوعري، نائلة، دور، ص 168، Glenk, Helmut, From Desert, p2-6

(2) الدباغ، بلادنا، ج4، ق2، ص 358، Aaronsoh, Ran, Rothschild, p41-40, Footprints of the templers, p14-، Glenk, Helmut, From Desert, p2، 15، صلاح، حنا، فلسطين، ص 47، أبو بكر، أمين، ملكية، ص593، هندواوي، سهام، التطور، ص 183.

(3) أبو بكر، أمين، ملكية، ص593.

(4) محافظة، علي، العلاقات، ص 110، الحزماوي، محمد، ملكية، ص70، مناع، عادل، تاريخ، ص189، الوعري، نائلة، دور، ص 168.

(5) Glenk, Helmut, From Desert, p2-6

(6) محافظة، علي، العلاقات، ص 110، الحزماوي، محمد، ملكية، ص70، الوعري، نائلة، دور، ص 168، هندواوي، سهام، التطور، ص 183.

(7) أبو بكر، أمين، ملكية، ص593.

(8) محافظة، علي، العلاقات، ص 110، Glenk, Helmut, From Desert, p9،

(9) محافظة، علي، العلاقات، ص 110.

(10) الكزاندر، شولش، تحولات، ص 185.

(11) محافظة، علي، العلاقات، ص 110، الحزماوي، محمد، ملكية، ص70، الوعري، نائلة، دور، ص 168، هندواوي، سهام، التطور، ص 183.

(12) الدباغ، بلادنا، ج1، ق1، ص 276.

(13) محافظة، علي، العلاقات، ص 110، أبو بكر، أمين، ملكية، ص593، هندواوي، سهام، التطور، ص 183.

وتشير المصادر التاريخية إلى تفشي مرض الملاريا بها، نتيجة المستنقعات المنتشرة على أطرافها مما أسهم في ارتفاع نسبة الوفيات، وقد كافح القائمون عليها العمل على تجفيف هذه المستنقعات، والتغلب على الأمراض المنتشرة، فصرفوا المبالغ الباهظة لذلك، ومع حلول عام (1328هـ/1910م) تراجعت أنشطة المستعمرة الاقتصادية، بسبب نقص التمويل، ما دفع بعض العائلات إلى بيع مزارعهم في سارونا، والهجرة منها إلى مستوطنة ألمانية في شرق أفريقيا (تعرف بتنزانيا اليوم) بين عامي (1326-1327هـ/1908-1909م)،⁽¹⁾ حيث توفرت لهم هناك مساحات شاسعة من الأراضي لزراعتها بمحاصيل البن والذرة، إلا أن هذا الشيء لقي معارضة من قادة الهيكليين؛ لأنه يتعارض مع ما قدموا من أجله إلى الأراضي المقدسة، لكن هذه العائلات رجعت بعد ذلك إلى فلسطين، إما لأسباب صحيّة، أو لفشل المشاريع هناك.⁽²⁾

تعدّ أراضي هذه المستعمرة من أخصب أراضي فلسطين، خاصّة بعدما أقام بها الألمان بعض المنشآت، ووسائل الريّ، وبيوت السكن، لكن بعد الحرب العالمية الأولى وضعت بريطانيا يدها على املاك الألمان، وأقدم بعض أصحابها ببيع أجزاء من ممتلكاتهم لليهود، الذين خصّصوا مبالغ طائلة للحصول على هذه الممتلكات، وفعلاً حقّق اليهود ما كانوا يخطّطون له، فعلى سبيل المثال اشترى من أحد الملاك الألمان ستة دونمات، لقاء مبلغ وصل إلى عشرة آلاف جنيه، وهو مبلغ مرتفع إذا ما قورن بأسعار الأراضي آنذاك، ومع حلول عام (1366هـ/1947م) تمّ تسريب كامل أراضي "سارونا" بمبلغ قدره مليونان ونصف المليون جنيه،⁽³⁾ وبعد النكبة عام (1367هـ/1948م) أدخلت (سارونا) ضمن حدود بلدية تل أبيب، واتخذ اليهود منها مركزاً مؤقتاً لحكومتهم.⁽⁴⁾

⁽¹⁾ Aaronsoh, Ran, Rothschild, P40, Footprints of the templers, p15

⁽²⁾ Glenk, Helmut, From Desert, p44-45

⁽³⁾ صحيفة الشعب، عدد 124، المجلد الأول، السبت 14 جمادى الأولى 1336، نيسان 1947، ص1، جريدة فلسطين، ع52-3518، الجمعة 30 نيسان 1937، 19 صفر 1356هـ، ص1.

⁽⁴⁾ الدباغ، بلادنا، ج4، ق2، ص359.

ثالثاً: مستعمرة فالهالا (Walhalla)

أقامها الألمان عام (1306هـ/1888م)⁽¹⁾ وقيل عام (1310هـ/1892م) على طريق يافا- تل الربيع (تل أبيب) على يد مستوطني جمعية الهيكل،⁽²⁾ وأقيم بها مستشفى لمعالجة الألمان المقيمين في المستعمرات الألمانية،⁽³⁾ وكانت هذه المستعمرة فرعاً من مستوطنة يافا⁽⁴⁾

رابعاً: مستعمرة فيلهلما (Wilhelma)*

أنشأها الألمان عام (1320هـ/ 1902 م)، على بعد خمسة أميال شمال شرق اللد، وسط سهل خصب،⁽⁵⁾ قرب قرية (اليهودية) في قضاء يافا،⁽⁶⁾ وعلى وجه الخصوص قرب سكة حديد اللد - حيفا، على مساحة قدرت بـ 824 هكتاراً، وقد بلغ عدد سكانها عند إنشائها 94 نسمة، وارتفع عام (1332هـ/ 1914 م) إلى 195 نسمة،⁽⁷⁾ وأشار الدباغ إلى أنها كانت على مساحة 9508 دونمات، وبها 240 ألمانياً،⁽⁸⁾ وهي منسوبة إلى الإمبراطور ويلهلم (Wilhelm)، وعرفت أيضاً باسم الحميدية، نسبةً إلى السلطان عبد الحميد الثاني (1293-1327هـ/1876-1909م)،⁽⁹⁾ ويذكر التميمي أن مؤسسيها هم المهاجرون الألمان، الذين استوطنوا حيفا،⁽¹⁰⁾ بينما تشير بعض المصادر إلى أنها أسست بدايةً من مهاجرين أتوا من

(1) Glenk, Helmut, From Desert, p4

(2) هنداي، سهام، التطور، ص 183.

(3) هنداي، سهام، التطور، ص 183.

(4) Glenk, Helmut, From Desert, p4

* أشارت إليها بعض المصادر والوثائق بمستوطنة (ويلهلم)، وبعضها (فيلهلم)، وهو خطأ يرجع إلى لفظ وترجمة حرف (w) حيث إنه يلفظ في اللغة الإنجليزية بحرف (الواو)، ولكنه يلفظ في اللغة الألمانية بحرف (الفاء) وهو الأدق والأصح، ونحن خلال هذه الدراسة اعتمدنا الترجمة الألمانية.

(5) صلاح، حنا، فلسطين، ص 47، الدباغ، بلادنا، ج 8، ق 2، ص 278، و ج 4، ق 2، ص 359، محافظة، علي، العلاقات، ص 111، أبو بكر، أمين، ملكية، ص 593، شراب، محمد، معجم، ص 723، الحزماوي، محمد، ملكية، ص 70، الوعري، نائلة، دور، ص 168، هنداي، سهام، التطور، ص 183-43. Glenk, Helmut, From Desert, p4.

(6) AGCJ, File 542,9, (1910AD/1328AH), p99، الدباغ، بلادنا، ج 4، ق 2، ص 359.

(7) محافظة، علي، العلاقات، ص 111، أبو بكر، أمين، ملكية، ص 593.

(8) الدباغ، بلادنا، ج 1، ق 1، ص 278.

(9) الدباغ، بلادنا، ج 4، ق 2، ص 359، شراب، محمد، معجم، ص 723.

(10) التميمي، ولاية بيروت، ج 1، ص 138.

مستوطنة سارونا، كانوا حوالي 20-69 مستوطناً،⁽¹⁾ وكان من أهم مؤسساتها مدرسة زراعية أنشئت عام (1338هـ/1919م)، التي أنتجت الأسمدة الصناعية، وكان بها جمعية خاصة لبيع الألبان والحليب، رغم منافسة العرب لها، وتذكر المصادر أنه قد لحقت بها أضرار جسيمة، أثناء الحرب العالمية الأولى أثناء الصراع بين الجيشين البريطاني والعثماني.⁽²⁾

وتزوّدنا الوثائق بمعلوماتٍ عن طبيعة العلاقة بين سكّانها والسكّان العرب المجاورين لها، التي وصفتها بأنها غير طبيعية، وكثيراً ما كان يحدث بينهما مشكلات، إذ تورد شكوى عام (1328هـ/1910م) من القنصل الألماني في يافا إلى قائممقامية يافا، يذكر فيها أنّ أهالي قريتي دير طريف، ورننيس، الواقعتين قرب مستوطنة فيلهما تعدّوا على حدود الكولونية باغتصاب جزءٍ من أراضيها، وهدّدوا سكّان المستعمرة بالسيطرة على باقي أراضيها وأخذها بالقوة، وقاموا بردم الخندق الذي يفصل بين أراضي المستعمرة وأراضي العرب، وانتزعوا الأعلام الألمانية من أماكنها، وبادروا بحراثة قطعةٍ من أراضي الألمان، وأدخلوا بعض حيواناتهم إلى الكولونية، وطلب القنصل الألماني من القائمقام أن يستعيد الأرض، ويعيد الحدود إلى طبيعتها، مع تعويض المستعمرين الألمان عن خسائرهم التي لحقت بهم،⁽³⁾ وفي عام (1368هـ/1948م)، أقيمت على أرضها مستوطنة (بني عطروت).⁽⁴⁾

خامساً: مستعمرة فالدهايم (Waldheim)

أنشأها الألمان عام (1325هـ/1907م)،⁽⁵⁾ إلى الغرب من مدينة الرملة، بالقرب من بير سالم* لتكون مركزاً لتدريب خريجي دار الأيتام السورية، ومورداً لتمويل دار الأيتام.⁽⁶⁾

(1) Glenk, Helmut, From Desert, p43.

(2) Glenk, Helmut, From Desert, p45, Footprints of the templers, p 13.

(3) AGCJ. File 544,8, (1911AD/1329AH), p257-263-278.

(4) الدباغ، بلادنا، ج4، ق2، ص 360.

(5) محافظة، علي، العلاقات، ص 112-113، أبو بكر، أمين، ملكية، ص 593، الحزماوي، محمد، ملكية، ص 70،،

هنداوي، سهام، التطور، ص 184، p 12, Footprints of the templers.

* بير سالم: قرية عربية، تقع على بعد قرابة أربعة كم، إلى الغرب من الرملة، ترتفع (75) متراً، تتميز بخصوبة أراضيها، وتوافر المياه الجوفية فيها، لذا نجحت في زراعة الحمضيات والزيتون والخضر، دُمّرت وطرد سكانها عام 1948م.

شراب، محمد، معجم، ص 210.

(6) محافظة، علي، العلاقات، ص 112-113، أبو بكر، أمين، ملكية، ص 593، الحزماوي، محمد، ملكية، ص 70.

سادساً: مستعمرة خيمة أو (Chemeh)

أنشئت عام (1289هـ/ 1872م)، الى الجنوب الغربي من مدينة الرملة، وهي مستعمرة زراعية أنشئت لغرض البحث والاستثمار، كانت تتبع دار الأيتام السورية في القدس، وكانت صغيرة الحجم، أو أي دورٍ مميزٍ لها.⁽¹⁾

الاستيطان الألماني في مدينة القدس ومحيطها

بسبب التنافس بين الإرساليات الأوروبية للاستحواذ على مدينة القدس، جاءت الجالية البروسية (الألمانية) في مقدّمة هذه الإرساليات المدعومة من حكومتها سياسياً ومادياً؛ لذا استحوذت على بعض الأراضي والعقارات داخل أسوار المدينة وخارجها، إضافةً إلى بعض القرى المحيطة بمدينة القدس، وكان البروتستانت الألمان أوّل من أقام البنايات الجديدة داخل المدينة وخارجها،⁽²⁾ ومع ازدياد أعداد الألمان القادمين إلى المدينة المقدسة، ازدادت وتيرة شراء العقارات، إذ أشارت سجلّات محكمة القدس الشرعية العثمانية، ووثائق الطابو، وملفّات القنصلية الألمانية، إلى عددٍ كبيرٍ من الحجج، التي تشير إلى ملكيّات الألمان في المدينة المقدسة، والتي في الغالب كانت ملكيات غير منقولة (أراضٍ، وعقارات، ومحلّات)، وبيّنت مراكز انتشارهم داخل المدينة وخارجها، وأولى الألمان الذين قدموا إلى القدس، أو الذين عاشوا في البلدة القديمة اهتمامهم في الحصول على أكبر قدرٍ ممكنٍ من الأراضي والدور والمحلّات، وإنشاء المصانع، ففي عام (1288هـ/ 1871م) اشترى (Mathaus Frank) من شتوتغارت قطعة أرض بنى عليها طاحونة تعمل بالبخار، ومنزلاً، بمكان ليس ببعيدٍ عن بوابة يافا في القدس، التي كانت بدايةً لمجتمع الهيكليين في القدس، بعد ذلك سرعان ما استقرّ فيه رجال الأعمال، ووكلاء السفر، وموظفو الفنادق، والتجار، والمهندسون المعماريون، والموظفون، وإليه نقل كريستوف هوفمان المكتب الرئيس، والمدرسة الثانوية للهيكليين، وعاش فيه رئيس التمبلر (Templer) في القدس، وبذلك أصبحت مركز الثقل الدينيّ، والروحيّ، والثقافيّ لجمعية الهيكل.⁽³⁾

(1) محافظة، علي، العلاقات، ص 112-113، أبو بكر، أمين، ملكية، ص 593، الحزماوي، محمد، ملكية، ص 70، شراب، محمد، معجم، ص 366، هندواوي، سهام، التطور، ص 184.

(2) المهندي، عبلة، القدس، ص 376.

(3) Footprints of the templers, p 11-12.

انصبَّ اهتمام الألمان بالبداية إلى التملُّك والسكن داخل (أسوار المدينة)، وفي المناطق الاستراتيجية عند مداخل المدينة ومخارجها؛ لسهولة الحركة، ولأهمية التجارية، فأظهرت السجَّلات بعض الحجج التي تناولت استيطان الألمان داخل أسوار مدينة القدس، خصوصاً في محلَّة اليهود⁽¹⁾، إذ سكن في هذه المحلَّة أبراهام بن زكي الأشكنازي الألمانيّ (Abraham Zaki)،⁽²⁾ كما تركَّز وجودهم أيضاً في محلَّة الشرف، غربيّ محلَّة المغاربة،⁽³⁾ وفي محلَّة النصرى*، الواقعة جنوب غربيّ المدينة،⁽⁴⁾ إضافةً إلى امتلاكهم عدداً من العقارات والمحلَّات داخل سوق خان الزيت**،⁽⁵⁾ واستقرَّ في المنطقة ذاتها حنا أفروتكر،⁽⁶⁾ أمّا منطقة باب الجديد، ظاهر مدينة القدس، فقد أشارت السجَّلات إلى أنَّها كانت مكان سكنٍ لهيس لورنس الألمانيّ (Hesse Lawrence)،⁽⁷⁾ كما أقاموا في منطقة باب الخليل (باب يافا)، في الجهة الغربية⁽⁸⁾، إذ أقام بها الخواجة حنا أفروتكر (Johannes Frutiger) قوبانية له،⁽⁹⁾ وكانت له أملاك داخل قوبانية "سوكات شلوم"،⁽¹⁰⁾ وسكن بذات الجهة بركم، بالقرب من المسكوبية، من الجهة القبلية،⁽¹¹⁾ وامتلك سامي ملفيل بركم (Sami Melville Bergheim) أرضاً في ذات الموقع، قرب مدرسة شلوة (طاليطا قومي) الألمانية،⁽¹²⁾ وكما سكنت بعض العائلات بالقرب من باب العامود في الجهة الشمالية الغربية من المدينة المقدسة، إذ استوطنوا في قوبانية "بيت اسرائيل"،

(1) القدس سجِّل 388، (1313هـ/1895م)، ص 35، سجِّل 390، (1314هـ/1896م)، ص 42.

(2) القدس سجِّل 390، (1314هـ/1896م)، ص 42.

(3) القدس سجِّل 390، (1314هـ/1896م)، ص 42، ربابعة، إبراهيم، القدس، ص 37، العربيات، غالب، تاريخ، ص 30.

* محلَّة النصرى: تقع جنوب غربيّ المدينة بخط مرزبان، قرب مقام الخضر بالرحبة. العربيات، غالب، تاريخ، ص 30.

(4) القدس سجِّل 368، (1294هـ/1877م)، ص 27-28.

** خان الزيت: يقع في خط سوق الزيت في خط وادي الطواحين. العربيات، غالب، تاريخ، ص 81.

(5) القدس سجِّل 369، (1297هـ/1880م)، ص 7، العربيات، غالب، تاريخ، ص 33.

(6) القدس سجِّل 383، (1310هـ/1893م)، ص 102.

(7) القدس سجِّل 396، (1323هـ/1905م)، ص 136.

(8) القدس سجِّل 388، (1314هـ/1896م)، ص 179، صبري، بهجت، لواء، ص 143.

(9) القدس سجِّل 378، (1306هـ/1889م)، ص 69.

(10) القدس سجِّل 392، (1317هـ/1899م)، ص 28.

(11) القدس سجِّل 379، (1307هـ/1890م)، ص 71.

(12) القدس سجِّل 398، (1324هـ/1906م)، ص 130.

في منطقة تلّول المصابين،⁽¹⁾ كما امتلك الإمبراطور الألمانيّ غيليوم الثاني أرضاً خارج باب العامود.⁽²⁾

وتذكر المصادر أنّ البناء في القدس ظلّ لغاية عام (1261هـ/1845م) محصوراً داخل أسوار مدينة القدس؛ خوفاً من الاعتداءات الخارجية؛ لذا كان حاكم المدينة يغلق أبواب المدينة عند الغروب،⁽³⁾ وبعد عام (1271هـ/1854م)، الذي يعدّ عاماً مفصلياً للبناء العمرانيّ في مدينة القدس، اتّجه البناء خارج الأسوار،⁽⁴⁾ ومع قدوم الألمان إلى القدس، زاد اهتمامهم بالبناء خارج السور، خاصّة في الجهة الشمالية الغربية من المدينة، فأول ما شيدوه فيها هو دار الأيتام السورية، وحتى عام (1272هـ/1855م) كانت هذه المنطقة قاحلة جرداء، وهي هضبة تحاكي جبل الزيتون من حيث الارتفاع، ومع ذلك، فقد كانت جميلة الموقع، تشرف على كثير من المناطق الطبيعية لجبال القدس، والخليل، ورام الله؛ لذا أصبحت فيما بعد، مسكناً للعظماء والنبلاء، وعليها أقيمت مدرسة شنلر (دار الأيتام السورية)، وعليها أقيمت مشاغلها الصناعية، ودور معلميه ومستخدميها،⁽⁵⁾ ويعدّ إقامة مدرسة شنلر للأيتام عام (1277هـ/1860م) عاملاً آخر شجّع السكّان بشكل عامّ، والألمان بشكل خاصّ للتوسع خارج أسوار المدينة؛ لذا أقيمت القومبانيات اليهودية في الجهة الغربية من القدس (شارع يافا)، كما ازدهر العمران في منطقة باب الخليل؛ لوجود سكّة الحديد في المنطقة ذاتها، ولعلّ حيّ البقعة أكبر دليل على ذلك، ويذكر جوهريّة بعض الآثار الإيجابية لمدرسة شنلر، إذ يذكر أنّ بعض الموادّ الحديدية والقرميد، الذي استخدم في بناء حيّ المصراة، كان من أشغال هذه المدرسة،⁽⁶⁾ كما أسهم الأغنياء من اليهود الألمان في امتلاك الأراضي خارج الأسوار، فيذكر أنّ إسحق شاؤول الموسويّ الألمانيّ

(1) القدس سجلّ، 379، (1308هـ/1891م)، ص 105، سجلّ 388، (1313هـ/1895م)، ص 23، سجلّ 394، (1318هـ/1900م)، ص 39، سجلّ 403، (1328هـ/1910م)، ص 243، المدني، زياد، مدينة، ص 301، ربايعة، إبراهيم، القدس، ص 38، العربيات، غالب، تاريخ، ص 30.

(2) القدس سجلّ 393، (1316هـ/1898م)، ص 186.

(3) جوهريّة، القدس، ج 1، ص 18، المهتدي، عبلة، القدس، ص 376.

(4) الدباغ، بلادنا، ج 10، ق 2، ص 46، رفيق، فرح، تاريخ، ج 1، ص 171.

(5) بيدس، خليل، النفائس العصرية، ج 12، ص 505.

(6) جوهريّة، القدس، ج 1، ص 52-53، محافظة، علي، العلاقات، ص 113.

(Izhak Shaul Moussawi) قام بشراء حصة واحدة من ست حصصٍ من جميع أراضي رأس العامود، الواقعة في أراضي سلوان* من قرى القدس، تبلغ مساحتها خمسة دونمات، من الشيخ عبدالرحمن ابن الحاج محمود العثماني⁽¹⁾، وإذا ما تساءلنا عن تسارع البناء خارج الأسوار، وقبول السكّان لهذا العمل، لوجدنا أنّ الاستقرار الأمني، والتنظيم الإداري، والوجود العسكري الدائم، كان سبباً في إقبال السكّان،⁽²⁾ وتوجّ الاستيطان الألمانيّ في إنشاء "الكولونية الألمانية" عام (1289-1290هـ/1872-1873م)، في جنوب غربيّ المدينة، جهة باب الخليل، بأرض البقعة، بمحلّة (البورسيان)، حيث امتلكوا بها حواكير مشجرة، ودوراً، وعرفت أيضاً باسم مستعمرة (المعبد)، وكان الدكتور هوفمان مشرفاً عليها،⁽³⁾ كما عرفت أيضاً بمستعمرة ريفاييم (Rephaim)، حيث بدأ استيطان الألمان فيها على قطعة أرض في وادي رفايم**، شمال غربيّ سكّة حديد يافا- القدس، على أرضٍ بلغت مساحتها 25 هكتاراً، والذي تكفّل بإقامتها هو الهر فرانك (Herr Frank)، أحد أفراد جماعة الهيكليين الألمان، والتي أصبحت عام (1295هـ/1878م) المقرّ العام لجماعتهم.⁽⁴⁾

وكان يُهدف من وراء إنشاء "الكولونية الألمانية" إقامة مجتمعٍ مسيحيٍّ مثاليٍّ في الأراضي المقدسة، يعتمد على مبادئ التوراة، والعهد الجديد؛ لذا شوهدت المنازل الفخمة،

* سلوان: بكسر أوله وسكون ثانيه، قرية مجاورة لسور القدس من الجنوب، تبعد عنه بضعة أمتار، مساحتها (173) دونماً، والطور أقرب قرية لها، وربما هي كلمة أرمية (Siloan) بمعنى الشوك والعليق والجربان، وقد يكون مشتقاً من جذر شلا أو سلا، ويعني الهدوء والسكينة، تحتوي على عدة آبار من المياه منها: عين أمّ الدرج. الدباغ، بلادنا، ج8، ق2، ص 151-156.

(1) صالحية، محمد، المدينة، ص 29.

(2) صالحية، محمد، المدينة، ص 21.

(3) القدس سجلّ 379، (1308هـ/1891م)، ص 140، سجلّ 382، (1309هـ/1892م)، ص 196، الدباغ، بلادنا، ج10، ق2، ص 76، أوليفانت، لورنس، أرض، ص 314-315، المهدي، عبلة، القدس، ص 387، أوين، روجر، تاريخ، الموسوعة، القسم الثاني، المجلد الأول، ص 569، Glenk, Helmut, From Desert, p40, Aaronsoh, Ran, Rothschild, p40

** رفايم: وادي موجود في القدس، ورفايا: اسم عبري معناه (يهوه قد شفي) وهو رجل من نسل داود. هنداي، سهام، التطور، ص 183.

(4) محافظة، علي، العلاقات، ص 111، أبو بكر، أمين، ملكية، ص 593، الحزماوي، محمد، ملكية، ص 70، الوعري، نائلة، دور، ص 168، هنداي، سهام، التطور، ص 183. Glenk, Helmut, From Desert, p2.

المحاطة بالحدائق الجميلة، فقد بنيت على الطراز المعماري الحديث، ووصفت تجاوزاً بأنها مدينة ألمانية صغيرة، ضمت منازلهم، محلات الخدمات التجارية، حوانيتهم، مصانعهم، شركاتهم، مدارسهم، مكاتبهم، وملاعبهم، إضافةً إلى كنيسة صغيرة، ودار للسينما والتمثيل، وتضمنت أيضاً، محلات لبيع اللحوم، والأفران التي تنتج أنواع الخبز الإفرنجي المختلفة، ويذكر عارف العارف أنها كانت عامرةً حتى الحرب العالمية الثانية (1358هـ/1939م)، إذ أبعد عنها سكّانها الألمان، ولم يعودوا إليها،⁽¹⁾ وتذكر الوثائق أن القنصل الألماني اتخذ منها مسكناً، وامتلك بها بيتاً وأرضاً،⁽²⁾ وتجدر الإشارة إلى أن عدداً من أعيان القدس العرب، قد استأجروا بعض البيوت من الألمان وسكنوا فيها،⁽³⁾ وتذكر المصادر التاريخية أن سكّان هذا الحي قلّما واجهوا مشكلات وصعوبات مع الحكومة العثمانية، فهم ملتزمون بما يترتب على محصولاتهم الزراعية كلّ عام، باستثناء بعض الخلافات المذهبية الداخلية، التي كانت في بعض الأحيان تطفو على السطح،⁽⁴⁾ وقدّر عدد ممتلكاتها غير المنقولة لعام (1294هـ/1877م) بـ 26700 فرنك.⁽⁵⁾

وقد ذهب الألمان أبعد من ذلك جغرافياً، فوصلوا في استيطانهم إلى قرية المالحة، جنوب غربيّ القدس، وأقاموا بها مستشفى، وامتلك فيها ملفيل بركم (Melville Bergheim) أرضاً،⁽⁶⁾ وامتدّ انتشارهم إلى قريتي صور باهر، الواقعة جنوب غربيّ القدس،⁽⁷⁾ وعين كارم*،⁽⁸⁾ وخربة الجردة، التابعة لناحية بني مرّة التابعة للقدس، وأيضاً في قرية (أبو غوش)

(1) العارف، عارف، المسيحية، ص 189، شمعون، لندمان، أحياء، ص 58-59، صالحية، محمد، مدينة، ص 42.

(2) القدس سجلّ 383، (1309هـ/1892م)، ص 20.

(3) شمعون، لندمان، أحياء، ص 58-59، صالحية، محمد، مدينة، ص 42.

(4) أوليفانت، لورنس، أرض، ص 314-315.

(5) الكزاندر، شولش، تحولات، ص 185.

(6) القدس سجلّ 379، (1307هـ/1890م)، ص 23، الدباغ، بلادنا، ج 8، ق 2، ص 166، شراب، محمد، معجم، ص 642.

(7) القدس سجلّ 379، (1306هـ/1889م)، ص 144، الدباغ، بلادنا، ج 8، ص 172، شراب، معجم، ص 492.

* عين كارم: قرية تقع غرب القدس مع انحراف قليل إلى الجنوب، على بعد ثمانية كم، تحدّها من الغرب قريتا القسطل، وسطاف، ومن الجنوب قرية الجورة، ومن الشرق قرية المالحة ومدينة القدس، ترتفع نحو 500-600 متر، وبها ينابيع وأهمّها "عين كارم" ومنه أخذ الاسم، ويسكنها المسلمون والمسيحيون، احتلها اليهود وأطلقوا عليها "عين كيريم". الدباغ، بلادنا، ج 8، ق 2، ص 157-160، شراب، محمد، معجم، ص 561.

(8) AGCJ.File 436,6.p 135.

شمال غربيّ القدس،⁽¹⁾ كما أوردت سجلّات محكمة القدس العثمانية مواقع انتشارٍ أخرى لهم بقرية الطور (جبل الزيتون)،⁽²⁾ وفي قرية لفتا،⁽³⁾ وبيت صفافا،⁽⁴⁾ كما امتدّ انتشارهم إلى ناحية بيت لحم،⁽⁵⁾ وبيت جالا،⁽⁶⁾ وبيت ساحور،⁽⁷⁾ وقرية دير الدّبان،⁽⁸⁾ قضاء الخليل،⁽⁸⁾ ويوضّح الجدول الآتي قائمةً ببعض الأملاك من الأراضي للرعايا الألمان في منطقة القدس:

الرقم	المشتري	الموقع	المساحة	التاريخ	المصدر
1-	نيقولا بن شميث (Nicola) (Schmidt)	صور باهر	19.5 دونم	(1318هـ/ـ) (1900م)	الشناق، محمود، العلاقات (333-332)

(1) المدني، زياد، مدينة، ص 35، شراب: معجم، ص 603.

(2) القدس سجلّ 397، (1324هـ/1906م)، ص 176.

(3) القدس سجلّ 368، (1294هـ/1877م)، ص 54.

* بيت صفافا: تقع في ظاهر القدس الجنوبيّ، بانحراف قليل إلى الغرب، ولعلّ صفافا، تحريف (صفيفا) السريانية بمعنى العطشان، وفي حرب عام 1948 قسمت القرية إلى قسمين بفعل خط الهدنة، وأعطى نصفها إلى اليهود، من أهم مزروعاتها الزيتون. الدباغ، بلادنا، ج 8، ق 2، ص 172-174، شراب، محمد، معجم، ص 192.

(4) AGCJ, File 436, p. 134.

** بيت لحم: نسبة إلى الإله (لخمو الكنعانيّ) وهي بالسريانية، بمعنى بيت الخبز، ومع مرور الزمن حُرِفَتْ إلى (لحم)، وبها كان مولد المسيح عليه السلام، تقوم المدينة على جبل مرتفع قرابة (780) متراً عن سطح البحر، وتبعد عن القدس عشرة كم، إلى الجنوب منها، وسكانها مزيج من المسلمين والمسيحيين. شراب، محمد، معجم، ص 201-202.

(5) AGCJ, File 435, p. 16.

*** بيت جالا: مدينة عربية، قيل سمّيت نسبةً إلى (جبل جيلو) أو ما يعرف حالياً باسم جبل الرأس، وقيل إنّها تحريف لكلمة (جالا) السريانية، بمعنى كومة حجارة، 2 كم شمال غربيّ مدينة بيت لحم، ترتفع عن سطح البحر (825) متراً. الدباغ، بلادنا، ج 8، ق 2، ص 458-467، شراب، محمد، معجم، ص 180.

(6) AGCJ, File 435, p. 16.

**** بيت ساحور: قرية صغيرة على بعد كيلو متر واحد شرق بيت لحم، وتعدّ ضاحية من ضواحيها، وتسمّى أيضاً: (بلدة الرعاة)؛ لأنّ الرعاة الذين بشروا بميلاد المسيح جاؤوا من هذه البلدة، يعتمد اقتصادها على الزراعة والصناعات اليدوية، تحتوي على مزيج من المسلمين والمسيحيين. الدباغ، بلادنا، ج 8، ق 2، ص 470-477، شراب، محمد، معجم، ص 189-190.

(7) AGCJ, File 435, p. 16.

***** دير الدّبان: تحريف لكلمة الذباب، قرية تقع شمال غربيّ الخليل، وتبعد أربعة كم جنوب عَجُور، وعلى مسافة 2 كم عن قرية (رعنا)، ترتفع (225) متراً عن سطح البحر، تشتهر في الزراعة، هدمها الأعداء في حرب 1948م، وأنشأوا عليها مستعمرة (لوزيت) سنة 1955م. شراب، محمد، معجم، ص 388-389.

(8) القدس سجلّ 384، (1309هـ/1878م)، ص 39-40.

2-	=	المالحة	76 دونماً	(1318هـ- / 1900م)	المصدر نفسه ص (332-333)
3-	=	بيت عور الفوقاً*	1212 ذراعاً	(1336هـ- / 1918م)	المصدر نفسه ص (332-333)
4-	=	بيت عور التحتاً**	-	-	المصدر نفسه ص (332-333)
5-	=	بيت عنان***	710 أذرع	(1312هـ- / 1894م)	المصدر نفسه ص (332-333)
6-	=	السواخرة ****	32 دونماً، مقابل (100 ليرة)	(1334هـ- / 1915م)	المصدر نفسه ص (332-333)
7-	=	المالحة	13 دونماً	(1329هـ- / 1911م)	المصدر نفسه ص (332-333)
8-	فريدريك فستر (Frederick Fester)	محلة الشيخ جراح	23443 ذراعاً مقابل 8650 قرشاً	(1330هـ- / 1912م)	المصدر نفسه ص (332-333)
9-	=	الطور	دونم واحد و200 ذراع، مقابل 250 قرشاً	(1332هـ- / 1914م)	المصدر نفسه ص (332-333)

* بيت عور الفوقا: قرية تقع إلى الغرب من رام الله، بانحراف قليل إلى الجنوب، بناها الكنعانيون ودعوها "بيت حورون العليا"، بمعنى المغارة العليا، بلغ عدد سكانها سنة 1961م (632) مسلماً، تهتم بزراعة الزيتون. شراب، محمد، معجم، ص 196.

** بيت عور التحتا: قرية تقع في الجهة الغربية من رام الله، بميل إلى الجنوب، ترتفع (1310) أقدام، بناها الكنعانيون، ودعوها بيت (حورون السفلى) بمعنى بيت المغارة السفلى، بلغ عدد سكانها سنة 1961م (1198) مسلماً، تهتم بزراعة الزيتون، والتين، والعنب. شراب، محمد، معجم، ص 195-196.

*** بيت عنان: يدل اسمها على اللجام أو الرسن، تقع في الشمال الغربي من القدس، تهتم بزراعة الزيتون، بلغ عدد سكانها سنة 1961م (1255) مسلماً. شراب، محمد، معجم، ص 194.

**** السواخرة: تتبع إلى عرب السواخرة، الذين يقيمون في الأراضي الواقعة بين مقام النبي موسى في الشمال، وعرب ابن عبيد في الجنوب، وبين تلال القدس في الغرب، والبحر الميت في الشرق، كانت تقيم في أراضي السواخرة عرب "هتيم" من سيناء، وفي مطلع القرن التاسع عشر الميلادي، نزلت هذه الأراضي قبيلة "العمر" من بني عتبة، وأما لقب عرب السواخرة فأتى من استقرارهم في جوار "بيت ساحور". شراب، محمد، معجم، ص 459.

10-	=	شعفاط*	15 دونماً	(1330هـ / 1912م)	المصدر نفسه ص (333-332)
11-	=	العيساو ية**	دونم واحد و 200 ذراع	(1334هـ / 1915م)	المصدر نفسه ص (333-332)
12-		القسيس ثيودور بن يوحنا (Theodor) (Johanne)	25 دونماً، مقابل 50 ليرة فرنساوية	(1334هـ / 1915م)	المصدر نفسه ص (333-332)
13-	=		4 دونمات، مقابل 1500 قرش	(1329- / 1331هـ - 1911م) (1913م)	المصدر نفسه ص (333-332)
14-	=		6 دونمات	(1330هـ / 1912م)	المصدر نفسه ص (333-332)
15-		أرتز روبين (Arter) (Robin)	خارج السور باب الخليل	(1324هـ / 1916م)	المصدر نفسه ص (333-332)
16-		القسيس دكتور فريدريك جرمياس (Frederick) (Germias)	الطور	(1332هـ / 1914م)	المصدر نفسه ص (333-332)
17-		التاجر بول إبرل (Paul) (Eberle)	المالحة	(1318هـ / 1900م)	المصدر نفسه ص (333-332)

* شعفاط: قرية في ظاهر القدس الشمالي، وعلى بعد خمسة كم في منتصف الطريق بين " عناتا " و "بيت حنينا " بلغ عدد سكانها سنة 1961م (2541) نسمة. شراب، محمد، معجم، ص 469.

** العيساوية: قرية تقع في ظاهر القدس الشمالي الشرقي على مقربة من مكان صعود المسيح، وترتفع (730-750م)، وبلغ عدد سكانها عام 1961م (1163) نسمة. شراب، محمد، معجم، ص 554-555.

18-	فندليتون بن هيتز كيزر (Vendleton) Heter (Kaiser)	طور زيتا	دار مقابل (100 ليرة فرنساوية)	(1321هـ/ 1903م)	المصدر نفسه ص (333-332)
-----	--	-------------	-------------------------------------	--------------------	----------------------------

واجهت المستوطنات الألمانية عدداً من المشكلات، منها: أمنية، اقتصادية، اجتماعية، ودينية، فبعد وفاة الجيل المؤسس للمستعمرات الألمانية (الهيكلين) أدرك الجيل الجديد منهم صعوبة تحقيق هدفهم من الهجرة والاستيطان في فلسطين، وهو إقامة "الهيكل" وإقامة مملكة المسيح، وإقامة مملكة المسيح؛ لذا انصبّت جهودهم وركّزوا على الاهتمام بتحسين أحوالهم المعيشية، كما برز نزاعٌ بين زعمي الجمعية الهيكلية (كريستوف هوفمان)، المؤسس الروحي للجمعية، و(جورج هارديج)، المنفذ لفكرة المستعمرات الألمانية حول كيفية تطوير الاستيطان الألماني، وحول بعض الآراء الدينية، كما أنّ الحرب العالمية الأولى وما ترتّب عليها من نتائج، طالت اقتصاد المستعمرات الألمانية.⁽¹⁾

ولعبت الجغرافية الطبيعية، وبنية المنطقة دوراً مهماً في التأثير على حياة سكّان المستعمرات، وحاول فرسان الهيكلين الألمان جاهدين الاستيطان بالقرب من عيون الماء الواقعه في أراضي سهل الحولة وطبريا وبالقرب من الناصرة، إلا أنّ المستنقعات وما نجم عنها من أمراض: كالمالاريا شكل مصدر قلق دائم لهم، مما حدا بهم في بعض الأحيان إلى ترك مستوطناتهم، وهذا ما حدث فعلاً في المستعمرة الألمانية، التي أقيمت بالناصره بالقرب من عين ماء سيمونيا، وقد عرفت لدى الناس بأسم عين السمّ، وكان الاعتقاد السائد بينهم أنّ كلّ من يشرب من هذه العين سوف يموت بالمالاريا، ولم يفلحوا في تثبيت جذورهم ألا في المناطق التي كانت بعيدة عن أراضي المستنقعات.⁽²⁾

هذه الأحوال البيئية والصحية التي أشرنا إليها هي نفسها التي دعت الألمانيّ ويسلر (wisler)، الذي امتلك مزرعة في وادي حنين، إلى تركها والعودة إلى روسيا، بعد أن بنى بها

(1) محافظة، علي، العلاقة، ص 113-115.

(2) أفنيري، أريه، دعوى، ص 47-80.

بيتاً، وزرعها بالفواكه والخضراوات، وحفر بها ثلاث آبار لريّها، لكن لسوء حظّه كان البيت مبنياً قرب المستنقعات والسبخات، فمع دخول فصل الصيف، وتبخّر الماء من المستنقعات، فأصابته الملاريا هو وعائلته، فمات اثنان من أولاده بها، وخلال إقامة ويسلر (wisler) في روسيا بمنطقة الأوديسا، التقى أحد اليهود، ويدعى روبين ليرر، الذي علم بقصته، وأنّه يمتلك 200 دونم من الأراضي في وادي حنين بفلسطين، فعقد معه صفقة تجارية، مقابل منحه مزرعته في الأوديسا بروسيا، مقابل أن يتنازل له عن جميع أراضيّه في فلسطين، وتمّ له ذلك⁽¹⁾

ومن الملاحظ أنّ عدد المستوطنات الألمانية استقرّ عند سبع في اللواء، وعدد سكّانها تراوح ما بين (1700- 2000) شخص، رغم تحسن وضعهم الاقتصاديّ، وظلّ الأمر كذلك إلى أن أغلقتها سلطات الانتداب البريطانيّ، بعد اندلاع الحرب العالمية الأولى، وجعلتها مقراً لقواتها⁽²⁾، وبقي المشروع الاستيطانيّ محدوداً؛ لأنّ الهيكليين لم ينجحوا في جلب الهجرة الجماعية، التي خطّطوا لها، فقد كانت المستعمرات الألمانية منعزلة، وشبه مستقلة عن البيئة المحلية المحيطة بها، كما ظلّت العلاقات الاجتماعية والاقتصادية بين الهيكليين، وسكان فلسطين العرب (مسلمين، ومسيحيين) هامشيةً ومحدودةً جدّاً، وقد فشل المشروع الاستيطانيّ؛ لعدم تجنيد العدد الكافي لتمويل المستوطنات، كما أنّ علاقة المانيا الجيدة مع الدولة العثمانية، لم تستغلّ لدعم استيطان الهيكليين، وتقديم العون لهم⁽³⁾، ويعدّ غياب الرجال الأكفيا عن إدارة هذه المستعمرات عاملاً رئيساً في تعاظم مشكلاتهم⁽⁴⁾، رغم أنّ الهدف الذي توخّاه الألمان من مستعمراتهم كان رفع المستوى الاقتصاديّ والثقافيّ والروحيّ للسكان، فإنّهم لم يحققوا ذلك، ولم يتمكنوا من اتخاذ الإجراءات التي تسير بهم في هذا الاتجاه، إذ إنّ مستوطناتهم أقيمت على أراضٍ كان الفلاحون الفلسطينيون هم يفلحونها⁽⁵⁾.

(1) أفنيري، أريه، دعوى، ص 47-80.

(2) الدباغ، بلادنا، ج1، ق1، ص 276 (الهامش). Aaronsoh, Ran, Rothschild, p42.

(3) مناع، عادل، تاريخ، ص 190.

(4) صبري، بهجت، لواء، ص 314-315.

(5) الحزماوي، محمد، ملكية، ص 71.

وقد عدّ الألمان أنّ المستوطنات الألمانية التي أقاموها في فلسطين قطعةً من وطنهم الأمّ (ألمانيا)،⁽¹⁾ فكان لكلّ مستوطنةٍ مستشفياتها الخاصة وطبيبها الخاصّ، ورئيس بلدية ومدارس يتعلم فيها أطفالهم القومية الألمانية، وكنيسة لغرس التعاليم الدينية،⁽²⁾ وقد اعتمدوا غالباً في تمويل مستعمراتهم على التمويل الذاتي، من خلال المنح والقروض، وفي بعض الأحيان على دعم الحكومة الألمانية والبنوك الألمانية.⁽³⁾

وحتى أواخر القرن التاسع عشر الميلاديّ، اقتصرّت جهود ألمانيا على تنمية العلاقات التجارية فيما بينها وبين سكّان فلسطين، وعلى نشر المحبّة، وعلى هذه السياسة سارت المستعمرات الألمانية، فلم تظهر العداء للسكّان المحليين في فلسطين؛ لأنّ مشروعات كتلك لم يكن يُسمح لها أن تهدّد العلاقات الألمانية العثمانية، بل إنّ دولة الرايخ الألمانيّ وريثة إنجلترا تعدّ المدافع الأول عن وحدة أراضي الدولة العثمانية، وهذا الوضع لم ينتقض إلا بفعل الحركة الصهيونية، وما نتج عن الحرب العالمية الأولى.⁽⁴⁾ واتّصف الموقف الرسميّ الألمانيّ من هذه المستعمرات بالتحفظ؛ لاعتقاد المسؤولين الألمان أنّ المصالح التي يمكن أن تحقّقها ألمانيا من خلال دعمها لهذه المستعمرات، لا تساوي المشكلات التي قد تواجهها في علاقاتها مع الدولة العثمانية، التي كانت تتابع بدقّة كلّ ما يجري في فلسطين، ومع ذلك، فقد اضطرتّ الحكومة الألمانية إلى تقديم الدعم لهذه المستعمرات، استجابةً للضغط الشعبيّ الكبير في ألمانيا وللبلاط القيصريّ، حيث كان القيصر يتابع باهتمامٍ شديدٍ أخبار المستعمرات والمستعمرين، ويحرص على حمايتهم التامّة، ولا سيّما جميعة الهيكل، أكبر الطوائف الألمانية في فلسطين.⁽⁵⁾

وقد امتلك الألمان عقاراتٍ بلغت قيمتها ما بين مائتي وثلاثمائة ألف فرنك، أدّرت عليهم مبالغ قدرت بعشرين أو خمسةٍ وعشرين ألف فرنك في السنة، والملاحظ أنّ هؤلاء المستعمرين كانوا يشتغلون كثيراً وينتجون؛ لذا خشي اليهود من أن تصبح هذه المستعمرات مع مرور الزمن

(1) Carmel, Alex, Geschichte, p10-11.

(2) Carmel, Alex, Die Siedlungen, p54.

(3) Glenk, Helmut, From Desert, p43.

(4) الكزاندر، شولش، تحولات، ص 75-76.

(5) هنداي، سهام، التطور، ص 176.

عقبةً في وجه تحقيق حلمهم، ولكي يمنعوها من التوسّع أكثر فأكثر، قاموا بشراء جميع القرى المحيطة بها.⁽¹⁾

أمّا عن أثر هذه المستوطنات على المجتمع الفلسطيني، فكان واضحاً في مجال إدخال الابتكارات التكنولوجية إلى فلسطين في عددٍ من المجالات، كان من أهمّها: الزراعة، والصناعات المرتبطة بها، والهندسة المعمارية، وأعمال البناء، مثل: قطاع النقل والطرق، والخدمات، والاتّصالات، والطاقة، والتمويل، والتعليم، والصحة، والرفاهية،⁽²⁾ وكانت المستعمرات الألمانية أكثر نجاحاً من المستعمرات اليهودية؛ لأنّ الخطط التي وضعها الألمان كانت أنسب إلى حاجات البلاد، إضافةً إلى نجاحهم الزراعيّ الكبير، الذي أسهم في توطيّنهم.⁽³⁾

وبعدّ الاهتمام بالطرق وتطويرها من أهمّ إنجازات الألمان، حيث أنجز مهندسوهم طريق الحجّاج من يافا إلى القدس،⁽⁴⁾ كما أبدعوا في بناء المستوطنات التمبرلية (الهيكلية) في لواء القدس، إذ اتّخذت أشكالاً متعدّدة، فهي مزيجٌ من عناصر مستوردة ومحلية، إلا أنّ الهيكلين وضعوا بصماتهم الخاصة على عملية البناء، فتمّ تخصيص مناطق مختلفة للمباني العامّة، والتجارة، والخدمات، والحرف، والصناعات الخفيفة، والإسكان، وهو ما كان جديداً على المنطقة، وكان من أبرز المهندسين المعماريين في فلسطين ثيودور ساندل (Theodore Sandel) من مستعمرة يافا، الذي شارك في رسم خرائط يافا وما حولها، وفي تخطيط المؤسسات، والمهندس غوتليب شوماخر (Gottlieb Schumacher) من مستعمرة حيفا، الذي كان رسّام الخرائط، وباني عددٍ من المباني والمؤسسات في الجزء الشماليّ من فلسطين، فكما ذكرنا كانت سمة منازلهم الخشب المستورد والقرميد، وطريقة البناء الألمانية الأوروبية الحديثة، التي ألهمت العرب واليهود، على حدّ سواء،⁽⁵⁾ بالإضافة إلى قيامه بعددٍ من الحفريات الأثرية في مجدو، بين عامي (1321-1323هـ/1903-1905 م).⁽⁶⁾

(1) خلف، تيسير، وصف، ص 64، غازوري، نجيب، وصف، ص 142.

(2) Kark.Ruth.Technological. p 3، صلاح، حنا، فلسطين، ص 47.

(3) صلاح، حنا، فلسطين، ص 47-48.

(4) Footprints pf the temples, p 7

(5) Kark.Ruth.Technological. p 5-6-10

(6) Footprints of the temples, p 7

وبعد كونراد شيك* (Konrad Check) من أبرز المهندسين الألمان، فقد قدّم نوعاً جديداً من هندسة البناء والخطط الهندسية، والمواد التي تدخل في البناء، وكان أحد واضعي الخطط الهندسية لربط مدينتي يافا والقدس بخط سكة الحديد؛ ولأجل ذلك قام بدراسة التضاريس والجيولوجيا للمنطقة بأكملها، وباستعراض الغطاء النباتي، وأنواع الصخور، والتجمعات البشرية على طول المسار المقترح، ومن أهم المعالم الهندسية التي صمّمها نموذجاً للقدس الشريف، والهيكل، وتصميم المستشفى الألماني، وحي مئة شعاريم، ومدرستي طاليطا قومي، والأيتام السورية، في القدس وكان (شيك) يقدم للناس تصميم البناء وشكله قبل البناء،⁽¹⁾ وخلاصة القول أنّ الألمان قد اهتموا بمستوطناتهم، فشيدوها على النمط الحديث، فكانت منازلهم محاطة بحدائق الزهور، فتبدو وكأنها قطعة من وطنهم في فلسطين،⁽²⁾ واستطاع المستوطنون الألمان من خلال مستوطناتهم التي شيّدوها ترسيخ دعائم الوجود الألماني على مبادئ إعماريّة في مجالي (الاستيطان والزراعة).

* كونراد شيك: ولد عام 1822 م لأسرة فقيرة في بلدة korntal في منطقة Wurttemberg في جنوب غربي ألمانيا، ذهب في سنّ العشرين إلى بازل في سويسرا، وهناك انضمّ إلى كنيسة كريشونا، وتعلّم التبشير والحرف والصناعات، ومنها تعلم النجارة، وبيع الساعات وإصلاحها، والحدادة، وبعد عام 1846 م انتقل إلى القدس بغرض التبشير، وحصل على رزقه بالقدس عن طريق بيع وإصلاح الساعات وصنع المنحوتات على خشب الزيتون، ثمّ دخل عالم الهندسة حتّى برع بها، وكان صاحب أعظم الخطط الهندسية في المستوطنات الألمانية في فلسطين، توفي في عام 1901 م ودفن بالمقبرة البروتستانتية على جبل صهيون. AL-jubeh, Nazmi, Conrad Schick, p7-18.

⁽¹⁾ AL-jubeh, Nazmi, Conrad Schick, p7-18.

⁽²⁾ Footprints of the templers, p 6.

الفصل الرابع

الحياة الاقتصادية للجالية الألمانية في لواء القدس

الزراعة

امتلك النصارى في المدن والقرى الفلسطينية خاصة في مدينة القدس أراضي مختلفة، شملت الحواكير، والبساتين، والكروم، والبيارات، والموارس، وتصرفوا بها بيعاً وشراءً ووقفاً، وهذه الأراضي كانت تعود ملكيتها إلى الدولة في حال وفاة مالكيها، إن لم يكن له وريث، وإذا لم يوص،⁽¹⁾ وكانت إحدى أنواع ملكيات الأراضي التي تملكوها هي: أراضي الميري، التي كانت نتاج إصدار قانون الأراضي العثماني سنة (1275هـ/1858م)، الذي نصّ على تملك أراضي الميري، وتسجيلها بأسماء القائمين على زراعتها، بشرط أن يثبت المزارعون أنهم يزرعون الأرض منذ مدة لا تقلّ عن عشرة أعوام، وأنهم يدفعون الضرائب المقررة للدولة خلال تلك الفترة، إضافةً إلى دفع رسوم تسجيل الأرض،⁽²⁾ فامتلكوا بموجب ذلك مساحات شاسعة من الأراضي الأميرية، منها ما امتلكه صمويل ملفيل بركم (Samuel Melville Bergheim) إذ امتلك جميع أراضي الجراب، المشتعلة على أشجار زيتون، خارج قرية الطور، ومن أراضيها الأميرية،⁽³⁾ وثلاثة قطعٍ أميرية محاطة بجدران في منطقة لفتا،⁽⁴⁾ وامتلك كذلك كارل بن مكس هيس (Carl Mix Hess) الألماني 8 أسهم من أصل اثنين وسبعين سهماً من جميع الأرض الملساء الأميرية المسماة "أمّ المطلاع" من أراضي القرية،⁽⁵⁾ وامتلك القسيس ثيودور بن حنا شنلر (Theodore Johanne Shneller) الألماني سهماً واحداً من أصل ثمانية وأربعين سهماً من جميع الأرض الأميرية بخلة القصب، من أراضي قرية لفتا.⁽⁶⁾

أمّا الحواكير، كانت شكلاً آخر من الأراضي الزراعية التي امتلكوها، على سبيل المثال، امتلك هنري بن فودليب البورسياني (Henry Vodlib Al Borsiani) حاكورة مشجرة، خارج

(1) الدستور العثماني، ترجمة نوفل أفندي، م 1، ص 15-16.

(2) القضاة، أحمد، نصارى، ص 276-277.

(3) القدس سجلّ 368، (1295هـ/1878م)، ص 141.

(4) القدس سجلّ 398، (1324هـ/1906م)، ص 139.

(5) القدس سجلّ 397، (1322هـ/1904م)، ص 232.

(6) القدس سجلّ 397، (1323هـ/1905م)، ص 3-19.

القدس بباب الخليل،⁽¹⁾ وقد وصفت بأنها محاطة بسور خارجي لحمايتها من اللصوص والحيوانات المفترسة، كما أحاط حنا أفروتكر (Johannes Frutiger) حاكورته بالقدس، البالغة مساحتها أربع دونمات وسبعمئة ذراع بالجدران من جهاتها الأربع،⁽²⁾ وأحاط بركم (Bergheim) حاكورته الواقعة في القدس بأربعة جدران،⁽³⁾ واستغل الألمان تلك الحواكير والأراضي لبناء البيوت عليها لاستخدامها للسكن، فحاكورة حنا أفروتكر (Johannes Frutiger) اشتملت على بيتين سفليين، وبيت راكب عليهما، ومنافع شرعية،⁽⁴⁾ وامتلك أيضاً بستاناً فيه عريشة، وداراً بالقدس من جهة باب العامود،⁽⁵⁾ وامتلك صمويل ملفيل بركم (Samuel Melville Bergheim) دونماً واحداً وسُدُس دونم مع البناء والأشجار في الجهة الغربية من القدس،⁽⁶⁾ وقام زلمن ليوى نحوم (Zalman Liwa Nahum) الموسوي الشكنازي الألماني بشراء أرض مساحتها ألفا ذراع، وقسمها إلى قطعتين، الأولى مساحتها أربعمئة وثمانون ذراعاً، وانشأ فيها أوضنتين مع ديوان، وتقع في مدينة القدس، جهة باب العامود، قرب تلّول المصابين، والثانية مساحتها خمسمئة وعشرون ذراعاً.⁽⁷⁾

وقد تمتلّت بداية استيطان الألمان في فلسطين بالتوجّه نحو الزراعة والاستثمار بها؛ من أجل التعرف على أصحابها لتملكها فيما بعد،⁽⁸⁾ فانصبّ اهتمام الألمان على تملك الأراضي الزراعية المشجرة، ذات القدرة الإنتاجية العالية، التي شكّلت مصدر دخل رئيس للعائلات الألمانية، التي استوطنت فلسطين، وتزخر سجلّات محكمة القدس الشرعية بأمتلّة متعدّدة على ذلك، فعلى سبيل المثال امتلك الخواجا منسكر أرضاً مساحتها 700 ذراع، كانت بها أشجاراً

(1) القدس سجلّ 378، (1307هـ/1890م)، ص 231، سجلّ 379، (1308هـ/1891م)، ص 140، سجلّ 381 (1308هـ/1891م)، ص 6-7.

(2) القدس سجلّ 377، (1307هـ/1890م)، ص 62، سجلّ 378، (1306هـ/1889م)، ص 96-97.

(3) القدس سجلّ 379، (1308هـ/1891م)، ص 126.

(4) القدس سجلّ 377، (1307هـ/1890م)، ص 62، سجلّ 378، (1306هـ/1889م)، ص 96-97.

(5) القدس سجلّ 379، (1308هـ/1891م)، ص 169.

(6) القدس سجلّ 369، (1297هـ/1880م)، ص 24.

(7) القدس سجلّ 390، (1315هـ/1897م)، ص 166.

(8) Carmel, Alex, Die Siedlungen, p32

متنوعة،⁽¹⁾ وامتلك (ميشل بارون، Michel Baron) قطعة أرض خارج باب العامود، اشتملت على أشجار مثمرة،⁽²⁾ كما امتلك (حنا أفروتكر) بالقدس أراضي وأشجاراً،⁽³⁾ ومن ممتلكاته كذلك أرض خارج القدس، تحتوي على أشجار متنوعة،⁽⁴⁾ ولم يغفل الألمان عن امتلاك البيارات، التي زُرعت بمختلف أنواع الأشجار والمحاصيل، منها البياراة العائدة ملكيتها إلى (سرابيون أفندي ابن يعقوب الألماني) خارج يافا في طريق القدس،⁽⁵⁾ وامتلك (كريستوف هوفمان) ثلاثة كروم وبياراة تقع خارج يافا،⁽⁶⁾ وكان القسيس (شنلر) متصرفاً بجميع أرض كرم (قدموس)، من أراضي قرية لفتا الأميرية، مساحتها (15660) ذراعاً، بها أشجار متنوعة، وكان متصرفاً بالكرم منذ عام (1272هـ/1855م).⁽⁷⁾

واشترى المبشر شنايدر (Schneider) قطعة زراعية في قبيبة عمواس*، بمبلغ 4500 فرنك، وأضاف إليها قطعة أخرى مجاورة، زرعت بالحبوب، والخضار، والكرمة، والتين، والبرتقال، بتمويل من جمعية فلسطين الكاثوليك الألمان** في فلسطين،⁽⁸⁾ وفيما بعد قامت الجمعية بشرائها كاملة منه، وأنشئت فيها مستوطنة زراعية صغيرة، زرعت بالمزروعات المختلفة، مع التركيز على زراعة دوالي العنب، وأشجار الزيتون، إلا أن هذه المستوطنة فشلت؛

(1) القدس سجل 378، (1306هـ/1889م)، ص 79.

(2) القدس سجل 360، (1288هـ/1871م)، ص 52-22، المدني، زياد، مدينة، ص 120.

(3) القدس سجل 380، (1307هـ/1890م)، ص 48.

(4) القدس سجل 370، (1301هـ/1884م)، ص 79-80.

(5) القدس سجل 383، (1311هـ/1894م)، ص 141.

(6) القدس سجل 400، (1325هـ/1907م)، ص 157. أنظر الملاحق شكل رقم (6).

(7) الشناق، محمود، العلاقات، ص 334.

* عمواس: بكسر العين، قرية تقع جنوب شرقي الرملة، ارتفاعها بين 225-250 متراً، فتحها عمرو بن العاص، وأصبحت مقرّ جند المسلمين، وفيها انتشر الطاعون في خلافة عمر بن الخطاب، بلغ عدد سكانها سنة 1945م (1450) نسمة، احتلّ الأعداء سنة 1948م، معظم أراضيها، وبقي السكان في القرية، وفي عام 1967م طرد اليهود أهلها ودمّروا بيوتها. شراب، محمد، معجم، ص 547.

** جمعية فلسطين للكاثوليك الألمان (Der Palestinerverein der Katholiken Deutschlands): أعلن تشكيلها في عام 1885م وأخذت من مدينة آخن (Aachen) الألمانية مقراً عاماً لها، وضمت هيئتها الإدارية عدداً من رجال الدين والنواب الكاثوليك الألمان، وأصدرت لها مجلة بعنوان (صحيفة فلسطين Palaestinablatt)، عيّنت بدعم نشاطات ومؤسسات الكاثوليك الألمان بفلسطين. محافظة، علي، العلاقات، ص 78، سنو، عبد الرؤوف، المصالح، ص 194.

(8) محافظة، علي، العلاقات، ص 79.

بسبب قلّة الوجود الألماني فيها، وبسبب التكاليف الباهظة التي استلزمها الاستصلاح الزراعيّ، إضافة إلى بعدها وانعزالها عن المواصلات، فتحوّلت عام (1320هـ/1902م) إلى منتجع.⁽¹⁾

وامتلك (سموئيل بن ملفيل بركم) جميع الأرض الجراب بموجب ثلاثة كواشين، تحتوي على أشجار زيتون خارج قرية الطور، إضافةً إلى الأراضي الأميريّة بالجهة الغربية منها،⁽²⁾ واشترى (سامي بركم، Sami Bergheim) قيراطاً ونصف قيراطٍ من كامل الأرض، وهي أربعة وعشرون قيراطاً من جميع أشجار الزيتون القائمة أصولها في الأرض بجبل الطور بالجهة القبليّة،⁽³⁾ وقام مزارعوا مستوطنة ويلهلم بزراعتها بكروم العنب، واللوز، والزيتون،⁽⁴⁾ فيما أهتمّ بعضها بزراعة الذرة الإفرنجيّة، والشوفان، والكرسنة،⁽⁵⁾ وقد أخذت بعض العائلات الفلسطينية، كعائلة عبد الهادي الأنظمة الألمانية الحديثة والمكثّفة في الزراعة، وأنشأوا البساتين واستخدموها في أراضيهم الموجودة بين عرّابة وجنين.⁽⁶⁾

كانت الزراعة المتطورة التي استخدمها الألمان بحاجةٍ إلى مزارعين يمتلكون المهارة والخبرة في التعامل مع الأرض والمحاصيل والأشجار لزيادة الإنتاج، ممّا حدا بالألمان إلى إيجاد أماكن لتدريب أفراد طائفتهم، خاصّة الأيتام منهم، ومن الآخرين على مهنة الزراعة، ويظهر ذلك جليّاً من الخطاب الذي بعثه مدير الأيتام الموسويين (اليهود) بالقدس، يطلب من القنصل الألمانيّ نقل الأيتام الموسويين إلى قرية (ملبس) بيافا؛ لتعليمهم مهنة الزراعة، الأمر الذي لا يصحّ في وسط مدينة كبيرة كالقدس، بل يتطلّب الإقامة في مستعمرة زراعية، مثل قرية (ملبس)،⁽⁷⁾ وفي عام (1307هـ/1889م) بدأ الألمان بإقامة المدارس الزراعيّة، فامتلكوا أراضي في يافا؛ لإقامة مدرسة زراعيةٍ لتدريب طلاب مدرسة (شنلر، Shneller)،⁽⁸⁾ ونجحوا

(1) سنو، عبد الرؤوف، المصالح، ص 204.

(2) القدس سجلّ 368، (1295هـ/1878م)، ص 141.

(3) القدس سجلّ 370، (1299هـ/1882م)، ص 12.

(4) AGCJ, File 544,8, (1911AD/1329AH), p248

(5) صلاح، حنا، فلسطين، ص 34.

(6) الكزاندر، شولش، تحولات، ص 136.

(7) AGCJ, File 435,8, (1911AD/1329AH), p65. أنظر الملاحق شكل رقم (7).

(8) أفنيري، أريه، دعوى، ص 86.

كذلك في إقامة مستوطنة (بير سالم) الزراعية، التي كانت تعلّم الطلاب أساليب الزراعة وفنونها، وفي الوقت نفسه، كانت تعمل على زراعة الأشجار، كأشجار البرتقال، فقد امتلكوا عدداً من البيارات والبساتين المزروعة به، حيث إنهم حاولوا تغيير طعمه، بجلب أشتالٍ معيّنة تكون أقوى من المحليّة، وتعيش أكثر، وتكون قادرةً على إنتاج كمّيات كبيرة منه، وعملوا على تصديره بكمّيات كبيرة إلى الخارج (ألمانيا، وإنجلترا، وأوديسا، ومصر، وتركيا، وروسيا)، وفي عام (1330هـ/1912م) كان ما يملكه الألمان من بساتين البرتقال في محيط يافا يوازي 2000 هكتار، بينما كان يملك العرب 1250 هكتاراً، في حين أنّ اليهود كانوا يمتلكون 600 هكتارٍ فقط، وأجرى المستوطنون الألمان تجربةً بيولوجيّةً على أشجار البرتقال؛ من أجل مكافحة الآفات الحشريّة، ورياح الصحراء الشرقيّة شديدة الحرارة، باستخدام أشتالٍ محسّنةٍ وأسمدةٍ.⁽¹⁾

واهتمّوا أيضاً بزراعة الزيتون، والتين، والتوت، والمشمش، والدراق، واللوز، وبعض المزروعات: كالترمس، والبطيخ، والسّمسم، والذرة، والتفاح، المزروع في بئر السبع وغزة، وكانوا كلّ سنةٍ يرسلون منه كمّياتٍ كبيرةً إلى ألمانيا لصناعة المشروبات، وحتى عام (1328هـ/1910م) كان إجماليّ ناتج مشروع الزراعة في بير سالم يعادل 309555 ماركاً ألمانياً ذهبياً،⁽²⁾ وتعدّ مستوطنة سارونا الزراعية أهمّ مركزٍ زراعيٍّ ألمانيٍّ في فلسطين، رغم أنّ موارد الأراضي قد تضاعفت ثلاث مراتٍ، فإنّ مساحة سارونا عام (1292هـ/1875م)، لم تتجاوز 1500 دونمٍ،⁽³⁾ كما زرع الألمان الزهور في يافا،⁽⁴⁾ فعندما قدم الإمبراطور الألمانيّ إلى المدينة، قدّمت زوجة القنصل الألمانيّ بيافا باقة من الزهور إلى زوجة الإمبراطور قائلة: "أقدّم لجلالتك أزهاراً اقتطفتها يدُ ألمانية"،⁽⁵⁾ إضافةً إلى سارونا، اشتهرت مستوطنة (ويلهلم) بزراعة الكروم، والعنب، واللوز، والزيتون.⁽⁶⁾

⁽¹⁾ Glenk, Helmut, From Desert, p57-58

⁽²⁾ صلاح، حنا، فلسطين، ص 37-38-65، سنو، عبد الرؤوف، المصالح، ص 74، Glenk, Helmut, From Desert, p19-20-57

⁽³⁾ Aaronsoh, Ran, Rothschild, p41

⁽⁴⁾ محافظة، علي، العلاقات، ص 110

⁽⁵⁾ الاسود، ابراهيم، الرحلة، ص 109، خلف، تيسير، وصف، ص 23

⁽⁶⁾ AGCJ, File 544,8,, (1911AD/1329AH), p248

تعدّ زراعة العنب محطّ أنظار المزارعين الألمان في يافا؛ لما تشكّله من مصدر دخلٍ عالٍ لهم، كونه يدخل في صناعة الخمرة، ويدلّل على هذا الاهتمام حجمُ الأراضي المزروعة بالعنب، ففي مستوطنة (سارونا) كان 25% من الأراضي مزروعةً بالعنب،⁽¹⁾ وقد أشارت إحدى وثائق القنصلية عام (1316هـ/1898م)، إلى أنّ خمسةً وأربعين مزارعاً ألمانياً قاموا بزراعة أراضٍ شاسعةٍ بالعنب، بالقرب من سارونا قدرت بـ 598 دونماً، ترتّبت عليها ضريبةٌ بلغت ثمانية عشر ألفاً وخمسمائة وواحداً وخمسين غرشاً،⁽²⁾ وتجدر الإشارة إلى أنّ هذه المساحات المزروعة من العنب كانت مخصّصةً لصناعة النبيذ لصالح مصنع الخمرة في سارونا،⁽³⁾ الذي أنشئ عام (1291-1292هـ/1874-1875م)، إضافةً إلى المصنع الآخر، الذي أنشئ عام (1316هـ/1898م)،⁽⁴⁾ كما أنشأوا في سارونا أقبيةً لتخزين النبيذ، تعدّ الأولى من نوعها في البلاد،⁽⁵⁾ وقد بلغت كمّيات النبيذ، الذي انتجته سارونا عام (1312هـ/1894م) 5000 لترٍ من النبيذ صدرته إلى شتوتغارت (Stuttgart) وكانستات (Cannstatt) في ألمانيا، وفي عام (1308هـ/ 1890 م) كان 150 هكتاراً من العنب مزروعاً لصالح صناعة النبيذ، أنتجت ما يقارب 4000 هكتولتر (4000 hectoliters) من النبيذ، ونقيد المصادر بأنّ مصنعاً للنبيذ أنشئ كذلك في يافا (Deutsche Weinbaugenossenschaft Sarona-Jaffa).⁽⁶⁾

كما زرع أحد الألمان في القدس عام (1314هـ/ 1896م) كمّية من العنب في أرضه في منطقة البقعة، من أجل إنتاج المسكرات،⁽⁷⁾ وكانت المستوطنات الألمانية في القدس تهتمّ بإنتاج الخمر،⁽⁸⁾ وامتلك الخواجة (رايخرت، Reicher) الألمانيّ بيارة عنبٍ في مستعمرة ويلهلم، في يافا، وكان يعمل بها عرب (رجال ونساء)، وغالبيتهم من القرى المجاورة، مثل: قرية الطيرة،

⁽¹⁾ Glenk, Helmut, From Desert, p20-21, Carmel, Alex, Die Siedlungen, p54

⁽²⁾ AGCJ. File 544, 1, (1897-1903AD/1315-1321AH), p46-47-68

⁽³⁾ محافظة، علي، العلاقات، ص 110

⁽⁴⁾ Glenk, Helmut, From Desert, p31

⁽⁵⁾ Jackob, islar, Der, Aaronsoh, Ran, Rothschild, p41, kark, Ruth, Technological, p3-4

Deutsche, p97

⁽⁶⁾ Glenk, Helmut, From Desert, p30-31

⁽⁷⁾ AGCJ, File 426, 1, (1896AD/1313AH), p131

⁽⁸⁾ صلاح، حنا، فلسطين، ص 47

إذ شكّلت مصدر دخلٍ لهؤلاء الأهالي، حيث كان الشخص يتقاضى 4 بشالك* في اليوم،⁽¹⁾ ومارس أبناء الطائفة الألمانية بيعَ الخمرة والمسكرات، وامتلكوا محلاتٍ لبيعها، واشترط عليهم أن تكون بعيدةً عن جوامع المسلمين، وأماكنهم الدينية، وأن تكون مرخصةً من الدولة، وكان يترتب عليها دفع الضرائب،⁽²⁾ وتشير الوثائق إلى أنّ الخواجة (يوحنا فاكل، Johanne Fakel) الألمانيّ، قدّم عام (1295هـ/ 1878م) طلباً للحصول على رخصةٍ لإنشاء محلٍّ خارج مدينة القدس، لأجل بيع المشروبات،⁽³⁾ إضافةً إلى القدس، وجِدَت في يافا وسارونا حاناتٌ ومحلات لبيع الخمر،⁽⁴⁾ وتذكر المصادر أنّه عندما قدم الإمبراطور الألمانيّ إلى زيارة مدينة يافا، قدّم له القنصل الألمانيّ كأساً من الخمر قائلاً: "أقدّم لجلالتكم كأساً من خمرٍ عصرتها يدُ ألمانية"،⁽⁵⁾ دلالةً على المصانع الألمانية المختصة بإنتاج الخمر.

ونظراً لعظم حجم الأراضي الزراعية التي امتلكوها لجؤوا في بعض الأحيان إلى تأجير بعضها للسكان، مقابل حصّة معينة متّفق عليها، حيث قام أهالي قرية (أبو شوشة) باستئجار أراضيهم التي باعوها سابقاً للألمان؛ لزراعتها وإعمارها، مقابل خمس إنتاجها، وتشير وثيقة أخرى إلى أنّ (بركم Bergheim) اتّفق مع بعض الفلاحين على فلاحه قطعة من الأرض، مقابل نسبةٍ معينة.⁽⁶⁾

وقد واجه المزارعون الألمان بعض المشكلات والصعوبات، التي تمثّلت في منافسة العرب واليهود لهم؛ لذا لجؤوا في الغالب إلى زراعة العنب لصناعة الخمرة، كون العرب

* بشالك: كلمة عثمانية مكوّنة من مقطعين بيش وتعني خمسة، ولك وتدلّ على النسبة، وتعني معاً ذا الخمسة، وقد سكّت في عهد السلطان سليمان القانوني، ما بين عامي 1678-1691م من النحاس الأحمر، وضربت مجدداً في عهد السلطان محمود الثاني، تحت اسم جهادية، حيث كانت كلّ 200 قطعة منها تزن ثمانية دراهم، أي 25.656 غراماً بعيار 730، على أن تكون قيمتها 5 قروش. الحزماوي، محمد، التاريخ، ص 61.

⁽¹⁾ AGCJ,File 542,9,(1328AD/1910AH),p99

⁽²⁾ AGCJ,File 426,1,(1868AD/1285AH),p60-71

⁽³⁾ AGCJ,File 442,3,p70

⁽⁴⁾ الكزاندر، شولش، تحولات، ص 184-185.

⁽⁵⁾ الأسود، إبراهيم، الرحلة، ص 109، خلف، تيسير، وصف، ص 23.

⁽⁶⁾ AGCJ,File 459,4,(1873AD/1290AH),p59

واليهود لا يتقنونها،⁽¹⁾ فيما تمثّلت بعض المشكلات، وهي الأهمّ، بالتعدّي الحاصل من بعض العرب المجاورين على محاصيلهم الزراعية، ففي شكوى مقدّمة من (كارل فرنشلي، Karl Franchley) الألمانيّ، من سكّان سارونا بأنّه قام باستتجار أرض وزرعها شعيراً، وعند حلول الحصاد ذهب للقطعة فوجد المزروعات مرعية من أبقار أحد الرعيان من عرب الجماسين، وقد حقّقت الدولة بذلك، وسجنت الفاعلين خمسة عشر يوماً، وألزمتهم بدفع مبلغ قدره ستمائة وستون غرشاً، عوضاً عن ذلك،⁽²⁾ كما قام أهالي الطيرة بالإغارة على مستعمرة (فيلهلم)، والتعدّي على المزروعات، ونهب كمّيّة كبيرة، من محصول الشعير المحصود وإطلاق مواشيه ليلاً تجاه مزارع الألمان، وقدّرت الخسائر بـ 800 فرنك،⁽³⁾ وفي شكوى أخرى من امرأة ألمانية في يافا، تفيد بأنّ لها أرضاً تقدّر بخمسة عشر أو ستة عشر دونماً، مزروعة بالحنطة والشعير، قام أحد تجّار المواشي، يدعى مصطفى عبد الحليم، بترك مواشيه ترعى في الأرض، وقدّرت الخسائر بخمس ليرت فرنساويّة، ومقدار ما رعته المواشي من خمسة إلى ستة دونمات، وامتنع التاجر عن دفع التعويضات.⁽⁴⁾

وتعرّضت دار الأيتام السورية لاعتداء من أهالي لفتا، الذين اقتلعوا أشجار الصنوبر واللوز المزروعة بالقرب من الأرض التابعة للمدرسة بين القدس ولفتا، وسرقوا كروم العنب التي تمتلكها المدرسة، إضافةً إلى اقتلاع الأحجار من أرضها لبيعها إلى عمّال البناء بالقدس، علاوةً على قيامهم بالهجوم على مدير المدرسة،⁽⁵⁾ إضافةً إلى بلاغات متعدّدة قدّمها الألمان عن حالات السرقة كانوا تعرّضوا لها.⁽⁶⁾ ونظراً للتعدّيات الكثيرة من العرب المجاورين للمستعمرات الألمانية أطلق سكّان المستوطنات تحذيراً للحكومة السنية، لأخذ احتياطاتها اللازمة لمنع هذه التعدّيات على مزروعاتهم الموجودة بالقومبانيات، وإلا سيخسر الأهالي معاشات عائلاتهم

(1) Carmel, Alex, Die Siedlungen, p54

(2) AGCJ, File 542, 9, (1910AD/1328AH), p228-235

(3) AGCJ, File 542, 9, (1911AD/1329AH), p261-287

(4) AGCJ, File 542, 9, (1908AD/1326AH), p318

(5) AGCJ, File 469, 2, (1885-1886AD/1302-1303AH), p10-78

(6) AGCJ, File 542, 9, (1910AD/1328AH), p188-216

وأرزاقهم، وستخسر الحكومة جميع الرسوم والمرتبّات الأميرية التي تتقاضاها منهم،⁽¹⁾ في المقابل جرى اعتداءً من الألمان على العرب ببيافا، فاغتصبت كرومهم وحاصلاتهم، وتمّ الاعتداء عليهم، فحكمت الدولة عليهم بالسجن سنةً كاملةً،⁽²⁾ ولحماية مرزوعاتهم لجأ الألمان لبناء سورٍ حول بعض مستعمراتهم، وعيّنوا مراقبين،⁽³⁾ وحراساً لهم من العرب من القرى المجاورة،⁽⁴⁾ فقد اتّخذت الكولونية الألمانية القريبة من اليهودية "ويلهلم" حراساً من عرب السوار، فتذكر الوثائق أنّ محمود أبو مصلح كان يحرس الزرع والمحلات من السرقة والنهب، وكفله بذلك الحاج ربحان أحد أعيان عشيرته.⁽⁵⁾

وعمل الألمان على توظيف أشخاصٍ من السكّان المحليين في أراضيهم، ففي عام (1288هـ / 1871م) حدث جوعٌ في بيت لحم، وأصبح السكّان في حالة يرثى لها، فقام صموئيل مولر بشراء جبل مريز في بيت لحم، ووظّف حوالي 60-100 رجلٍ للعمل في الأرض، يقتلعون الصخور ويزرعونها زيتوناً وعنباً وأشجار سرو.⁽⁶⁾

وقد وضع الألمان قطاع الزراعة على رأس أولوياتهم، خاصّةً أنّ 80 % من المستوطنين يعتمدون على الزراعة؛ لذا عملوا على تطوير التجارب التكنولوجية المتقدّمة في الزراعة وتحديثها في مستعمراتهم المختلفة، فشمّل تطوير الأدوات والآلات الحديثة، كالمحاريث الصلبة، الخفيفة والثقيلة، والحراثة المتقدّمة باستخدام الآلات، والآلات الحصاد، وتمّ استيراد إسطوانات حديثة للدرس من روسيا، لتحلّ محلّ الأدوات المحليّة، وطوّروا الزراعة المكثّفة باستخدام الريّ والأسمدة العضوية والكيميائية لأول مرّة في العصر الحديث، بالإضافة إلى تناوب زراعة المحاصيل، كما انتجوا الأعلاف الخضراء، وطوّروا الألبان، وتربية الأبقار

(1) AGCJ,File 542,9,(1908AD/1326AH),p298

(2) AGCJ,File 461,2,(1890AD/1307AH),p41. انظر الملاحق شكل رقم (16).

(3) Carmel,Alex, Die Siedlungen,p232

(4) Glenk,Helmut,From Desert,p50-51

(5) AGCJ,File 544,8,(1903AD/1320AH),p152

(6) الراهب، متري، ميلاد، ص29،

المحلية، التي انتجت مزيداً من الحليب، وحسّنوا طرق الزراعة، وتدخلوا في مكافحة أمراض الزراعة وآفاتهما، وزرعوا الطرقات بالزهور.⁽¹⁾

ومما لا شك فيه، أنّ تلك الأراضي والمحاصيل كانت بحاجة إلى مصدر مياه ثابت، وهذا ما شكّل مصدر قلق عند المزارعين، إلا أنّ الأدوات والآلات الحديثة (المضخات)، التي أدخلها الألمان أسهمت إلى حدّ كبيرٍ بضخ كمّياتٍ وفيرةٍ من المياه غطّت المساحات الزراعية، ويرجع هذا الفضل إلى عائلة (بيرجهايم، Family of Bergheim) إذ استخدمت مضخة ماءٍ في قرية (أبو شوشة) التي طبّقت وسائل محسّنة في الزراعة حتى درّت عليهم عائدات ربحية جيدة،⁽²⁾ كما أدخل الألمان في قرية اليهودية بابوراً يعمل على الكاز لاستخراج الماء، وأنشأوا له غرفة خاصّة،⁽³⁾ وبذلك لعب الألمان دوراً مهماً في التغلّب على مشكلة المياه، التي أصبحت سهلةً باستيراد المعدات الأوروبية لحفر الآبار، إضافةً إلى مضخات سحب المياه، ثمّ أدخلت المحركات التي تعمل على الفحم، هذا كلّه كان مصحوباً باستخدام أنابيب حديدية؛ لتحسين الريّ المبطن، إضافةً إلى شقّ القنوات، وقد برزت في هذا المجال شركتان محليتان في يافا، إحداهما شركة يهودية (شتاين، Shtain)، (1306هـ/ 1888 م) والثانية شركة الإخوة (فاغنر الألمانية of The Germany Wagner Brothers Company) (1308هـ/ 1890 م)، التي نفذت تلك الأعمال، وتعدّ هذه الشركات أولى الشركات التي استوردت مضخات مائية، إضافةً إلى اهتمامها بالسباكة والأعمال الميكانيكية،⁽⁴⁾ ففي (سارونا، Sarona) حفروا الآبار على عمق 20-24 متراً، للوصول إلى المياه الجوفية، من أجل إيصال المياه للمستوطنين، وبسبب عدم مناسبة الطرق التقليدية لاستخراج المياه، والمتمثلة بالحيوانات والآلات البخارية، التي كانت مكلفة وبطيئة، لجأ الألمان إلى استخدام التوربينات الهوائية، التي تمتاز بالتكلفة القليلة، وسهولة صيانتها، مقارنةً مع نظيراتها من الآلات البخارية، ففي عام (1296هـ/ 1879 م) بدأت طاقة

⁽¹⁾ Kark.Ruth.Technological,p3-4، Glenk,Helmut,From Desert,p19-21، صلاح، حنا، فلسطين، ص 35-

48-36، 47

⁽²⁾ الكزاندر، شولش، تحولات، ص 141، أبو بكر، أمين، ملكية، ص 604.

⁽³⁾ AGCJ,File 544,8.p159-160

⁽⁴⁾ Kark.Ruth.Technological. p 3-4,Glenk,Helmut,From Desert,p49

الرياح تدخل المجالات المختلفة، ومنها استخراج المياه عن طريق مضخات تعمل بطاقة الرياح لإيصالها إلى المستوطنات، وساعد الألمان اليهود في حفر الآبار، كما في مستوطنتي بتاح تكفا، وریشون لتسيون، المقامتين على أرضٍ عربية⁽¹⁾ وبدورهم قاموا بحفر الآبار لتجميع مياه الأمطار، فعلى سبيل المثال، امتلك (يوحنا بن أبراهام فروتكر Johanne Abraham Frutgier) أرضاً زراعية مساحتها 5600 ذراع، تحتوي على صهريج* في بيت صفافا، قرب بيت لحم⁽²⁾، وامتلك (بركم Bergheim) أرضاً في الطالبية، بلغت ثمانية أسهم، اشتملت على بناءٍ ودارٍ وبئرٍ معدّة لجمع ماء الأشتية⁽³⁾.

وكان للألمان دورٌ في حلّ مشكلة نقص المياه في مدينة القدس، فعندما أرادت الدولة العثمانية جلب المياه من (عيون الفوار، وعين فارة)، الواقعتين على بعد 18 كم من القدس، في الجهة الشمالية الشرقية على طريق أريحا، منحت الدولة العثمانية امتياز توريد المياه إلى شركة فرنك الألمانية بواسطة وكيلها المهندس (نوفل فرنك) بتكلفة 160 ألف فرنك، وبعد توقيع العقد مع رئيس بلدية القدس، اتفقوا على ضخ (4000/2000 متر) مكعب يومياً، سعر متر الماء (فرنك واحد و 25 سنتاً)، بحيث يتم تزويد دوائر الحكومة والبلدية (70 متراً) مكعباً مجاناً من الماء يومياً، مع وضع حنفيات في الطرق لاستعمالها من العامة (100 متر) مكعب باليوم وبنفس السعر، على أن تدفع الشركة لأصحاب أراضي الملك، التي تمرّ فيها المواسير، بشرط وضع الأنابيب تحت الأرض، ويتمّ عمل أحواضٍ بإشراف طبيّ، وتعفى الشركة من الرسوم والجمارك، وأيضاً بعض المستخدمين من رعايا الدولة العلية، باستثناء المهندسين⁽⁴⁾، وتحدّث تقريرٌ آخر عن هذا المشروع عن إمكانية وضع ماتور عليه، ومدّ أنابيب حديدية لإيصال الماء إلى يافا، ويمكن الاستفادة من جريان الماء بتتوير مدينة يافا، ويقترح أيضاً إضاءة مدينة القدس

(1) Glenk, Helmut, From Desert, p34-38, Kushner. David. palestine. p 240

* الصهريج: وحدة معمارية ملحقة بالدار تقع في أسفل الدار، عبارة عن حوض كبير من الماء، وتسمى أحياناً بئر ماء، وهي معدّة لجمع مياه الأمطار لاستخدامها عند الحاجة. العربيات، غالب، تاريخ، ص 47.

(2) القدس سجلّ 378، (1306هـ/1889م)، ص 79.

(3) القدس سجلّ 379، (1308هـ/1891م)، ص 126-165.

(4) الشناق، محمود، بلدية، ص 56، العلاقات، ص 108.

عن طريق وضع ماكينة كهربائية (ماتور) على نهر الشريعة (الأردن)؛ للاستفادة من قوة جريان الماء لإضاءة مدينة القدس ليلاً.⁽¹⁾

ملكيات الألمان

بدأت أنظار الأجانب تتجه نحو فلسطين للتملك فيها، لا سيما بعد انتهاء حرب القرم (1273هـ/1856م) بين الدولة العثمانية وروسيا، لكن الدولة العثمانية اتخذت إجراءات صارمة فيما يخص امتلاك الأجانب للأراضي، إذ اشترطت على الأجانب الحصول على إذن مسبق، وذلك بتقديم طلب إلى المتصرفية، التي ترفعها بدورها إلى الدولة للموافقة عليها، وفي عام (1284-1286هـ/1867-1869م) نشطت الدول الأوروبية في التملك داخل أراضي الدولة العثمانية، بعد صدور قانون حق التملك عام (1284هـ/1867م).⁽²⁾

نشطت القنصليات الأوروبية جاهدة لبسط نفوذها على الأراضي المقدسة، وذلك من خلال السيطرة على المدينة في المرحلة الممتدة ما بين عام (1277-1337هـ/1860-1918م)، وكان الألمان الأكثر نشاطاً في تملك الأراضي لدوافع مختلفة، وعلى رأسها الدوافع الدينية، ويظهر ذلك جلياً من خلال كمية الوثائق التي تظهر التنافس الحاد لامتلاك العقارات والأراضي، فقد تفوقت ألمانيا على الدول الأوروبية، حتى باتت تمتلك كمّاً هائلاً من العقارات في لواء القدس، حيث انصبّ اهتمامها على شراء العقارات السكنية والتجارية والأراضي الزراعية، من أجل إقامة المعابد والكنائس والمباني التعليمية والصحية، التي تطوّرت فيما بعد بشكل تدريجي وسريع إلى مستوطنات خاصة بالطائفة الألمانية كالمستوطنات التي أقيمت ما بين القدس ويافا، وتضمنت الحجج الشرعية والوثائق المختلفة طرقاً عديدة لحيازة العقارات وتملكها في اللواء، بعضها كان يتم عبر الشراء، وآخر عن طريق الإرث، بالإضافة إلى الهدايا والهبات، التي قدّمتها الدولة العثمانية على شكل أراضٍ وعقارات للدولة الألمانية.

(1) الشناق، محمود، العلاقات، ص 108-109.

(2) المدني، زياد، مدينة، ص 118-119، الشناق، محمود، العلاقات، ص 40.

وبعد خروج الحكم المصريّ من بلاد الشام عام (1256هـ/1840م)، بدأت الدولة العثمانية تنتهج سياسة الانفتاح على الدول الأوروبية، ردّاً لجميل الدول الأوروبية التي ساعدت العثمانيين في طرد محمد علي باشا من بلاد الشام، فبدأت عملية الإصلاحات، حيث نصّت على السماح للدول الأوروبية بفتح قنصليات لها في مدينة القدس، ثمّ أُتيح لهم التملّك وفق ما عُرف بقانون تملّك الأجانب لعام (1284هـ/1867م)، الذي كان نقطة تحوّل جذريّ في سياسة الدولة العثمانية، الذي انعكس أثره السلبيّ على فلسطين أكثر من غيرها من مناطق الدولة العثمانية؛ لأنّه أتاح للأجانب التملّك، سواء أكانوا أفراداً أم مؤسسات أم شركات، داخل المدن أم خارجها، وبحكم العلاقة بين الألمان والعثمانيين، كانت لهم الصدارة في حقّ التملّك في القدس، فأوردت السجّلات ما يشير إلى ذلك صراحةً، فتذكر في بعضها: "بناءً على الرخصة السنّية بالتملّك لتبعية دولة ألمانيا، حسب النظام"،⁽¹⁾ أو "بناءً على الرخصة السنّية الصادرة بحقّ التملّك لتبعية دولة بروسيا"،⁽²⁾

وشدّدت الدولة العثمانية من إجراءاتها في التعامل مع تملّك الأجانب، حيث ألزمتهم بتعهّد يتضمّن عدم إنشاء أيّ نوع من أنواع البناء: كالكنائس، والمكاتب، والمستشفيات، في الأراضي المملوكة بدون رخصة رسمية، وأن لا يسكن في الأملاك والأراضي أحدٌ من الأشخاص الممنوع إسكانهم في الممالك المحروسة، وأن يدفع الأموال الأميرية المترتبة للخزينة العامرة على الأراضي،⁽³⁾ ولهذا عندما أراد أحد القسّيسين الألمان في بيت لحم بناء ديرٍ للبروتستانت في بيت جالا، التابعة للقدس، اعترضت المتصرفيّة، ورفضت ذلك، وجاء ردّها على النحو الآتي: "الدولة العلية لا تسمح بقيام هكذا أبنية، إلا برخصة سلطانية، ألتمس من سعادتكم إجراء ما ترونيه لازماً للحصول على هذه الرخصة المطلوبة"،⁽⁴⁾ ويظهر ذلك أيضاً من خلال تعهّد أحد المالكين الألمان ماكس هس (Max Hess) عند شرائه أرضاً تقع خارج سور القدس، والبالغة 9200

(1) القدس سجّل 360، (1288هـ/1871م)، 52، سجّل 361، (1290هـ/1873م)، ص 266، الحزماوي، محمد، ملكية،

ص 69، الشناق، محمود، العلاقات، ص 26-27.

(2) القدس سجّل 361، (1290هـ/1873م)، ص 133.

(3) القدس سجّل 397، (1323هـ/1905م)، ص 42.

(4) AGCJ, File 440,5, (1885-1895AD/1302-1312AH), p15

ذراع للحكومة السنية بالقدس الشريف، بأن لا يُحدث بالأرض المذكورة بناءً، ولا مكتباً، ولا معبدًا، بوقت من الأوقات دون رخصة نظامية، وإذا وقع ذلك، فللحكومة السنية إعادتها لهيئتها الأصلية، دون مراجعتي، ولا يحق لي الاعتراض، وليس لي إسكان أحد من المهاجرين الممنوعين، وإذا جرى ذلك، فللحكومة السنية إجراء المعاملة القانونية لي،⁽¹⁾ وهذه الإجراءات اتبعتها الدولة مع اليهود، والأجانب ذوي الحماية الأجنبية، ومنهم الألمان، فكانوا يحولون إلى المحاكم الشرعية عن طريق القنصلية، بواسطة رسائل متبادلة مع المتصرفية، ويرسل عبر القناصل للالتماس بالطرق الشرعية، وفي إشارة لذلك، جاء في أحد الطلبات: "من المعروف لجانب قنصل ألمانيا من (إسحق لبوي الموسوي الألماني) المقيم بالقدس، أن مراده أن يشتري من الشيخ عبد الرحمن ابن الحاج محمود الحلاق العثماني حصة واحدة من ست حصص في جميع أرض رأس العامود، الواقعة بأراضي قرية سلوان التابعة للقدس، التي مساحتها خمسة دونمات، فتمت مخابرة الحكومة السنية بتعريف تابعين، والإشهاد على أنني من الموسويين المستوطنين أولاً بالقدس، وليس داخلاً في عداد "الموسويين الممنوعة مهاجرتهم"⁽²⁾، وفي مخابرة أخرى موجهة من "إياشة يهوديته لير شتات" المقيمة بالقدس لجانب قنصل ألمانيا الفخيمة بالقدس الشريف مرادها بيع نصف دار... إلى إبراهيم الموسوي النمساوي، بمبلغ ثلاثة آلاف غرش... فإن تحسن مخابرة الحكومة السنية بتعريف تابعيتي والإشهاد على أنني من الموسويات المستوطنات أولاً بالقدس، وليس داخلة في عدد الموسويين الممنوعة مهاجرتهم لإجراء الإيجاب."⁽³⁾

كما طُلب من ماتئوس فرنك (Mathaus Frank) الألماني الحصول على رخصة سنية لإنشاء خان وأبنية في قرية المالحه، على أرض كان اشتراها في الموقع المذكور، والبالغة 520 ذراعاً (1308هـ/1890م)، وهكذا حصل مع يعقوب أميرك (Yacoub Amerk) عام (1308هـ/1890م) في القرية نفسها، عندما أراد بناء مخزن وقبور على الأرض، البالغة

(1) AGCJ, File 436, 6, (1895AD/1313AH), p8

(2) الشناق، محمود، العلاقات، ص 181-182.

(3) الشناق، محمود، العلاقات، ص 181.

مساحتها 200 ذراع، فبعث برسالة توضيحية حول المخطّط،⁽¹⁾ ومن خلال هذا التقنين الحكومي يتّضح مدى حضور الدولة العثمانية في تتبع أنشطة الألمان وغيرهم، فقد أجرت الدولة العثمانية مسوحات عام (1313هـ/1895م) لمتابعة ممتلكات الألمان من أراضٍ، ومسقّفات، وبيارات، في يافا وخارجها، واطّلت القنصلية في يافا عليها.⁽²⁾

ورغم ذلك، فقد لعبت القنصلية الألمانية في القدس ويافا دوراً مهماً لتسهيل سيطرة الألمان على العقارات، حيث استغلّت علاقاتها الحسنة مع الدولة العثمانية؛ لتيسير عمليات البيع والشراء، والحصول على تراخيص من أجل البناء، في وقت كان يصعب على القنصليات الأخرى الحصول على مثل ذلك، فقد أوردت السجّلات ما يؤكّد تلك العلاقة ما نصّه: "بناءً على الاستدعاء المقدم من القونسلاتو لمقام المتصرفية والمُحال للمحكمة الشرعية بالقدس الشريف"،⁽³⁾ ويظهر ذلك أيضاً في طلب قنصل ألمانيا في القدس إلى متصرفها، بأنّ مسيو (تروليوس بن يلونكه) مراده شراء أرضٍ من (حافظ بك السعيد)، من أراضي قرية (قصبة) عاقر، بثمن (900) ليرة ذهب فرنساوي، وهو من رعايا الدولة الألمانية، ومن غير الممنوع مهاجرتهم من الموسويين، وفي طلب آخر وكلّ (تماميله أيفا) الخواجة (تروليوس) لشراء ثلاث قطع أراضٍ أميرية، واقعة في وادي (الفرن)، بقصبة الرملة، التابعة للقدس من (أحمد شكري التاجي، وموسى عابدين) من أهالي الرملة، ومن الشيخ محمد بن محمود حمد الله من أهالي قرية (صرفند الخراب)، التابعة للرملة من أهالي الرملة، بموجب سندات نظامية، ومع العلم أنّه توجد رسالة مؤرّخة بتاريخ (18 ايلول 1900م) من القنصل الألمانيّ إلى متصرف القدس، يعلمه فيها بأنّ المذكورين قد باعوا ثلاث قطع المذكورة بثمن (1200) ليرة فرنساوية إلى المشتري المذكور سابقاً، وأنّ المشتري لا تنطبق عليه إجراءات المنع.⁽⁴⁾

(1) القدس طابو 226 /5/83، لعام(1309—1310هـ/1892-1893م)، ص7-30. أنظر الملاحق شكل رقم (8).

(2) AGCJ,File 544,7,(1895AD/1313AH),p 126

(3) القدس سجلّ 361،(1290هـ/1873م)،ص266.

* صرفند الخراب: قرية تقع على بعد ستة كم غرب الرملة، وعلى بعد ثلاثة كم جنوب غربي صرفند العمار، سمّيت بالخراب، لأنّ الإنجليز أحرقوها في العشرينيات انتقاماً لقتل بعض جنودهم السكاري، الذين حاولوا الاعتداء على حرمة القرية، نشبت كثيرٌ من أهلها بعد هذه الحادثة، ترتفع حوالي (50) متراً، واحتلت عام 1948م. شراب، محمد، معجم، ص483-484.

(4) الشناق، محمود، العلاقات، ص 257.

وكذلك ما قام به لودفيك شنلر (Ludwig Schneller) قسيس الجمعية الإنجيلية في بيت لحم من مراسلة القنصلية الألمانية بالقدس، التي بدورها راسلت متصرف لواء القدس، وجاء في خطابها: "يطلب لودفيك شنلر (Ludwig Schneller) الاسترحام لنحو سعادتك بأن تتكرموا بمساعدته للحصول على الرخصة اللازمة لإنشاء خستخانة بقطعة الأرض الواقعة في قصبة بيت لحم، بالمحلّ المسمّى جبل الباطن، المقيدة باسم قونسلاتو دولة ألمانيا بالقدس، بموجب سندٍ خاقانيٍّ مؤرّخ بـ (15- ربيع الآخر- 1301هـ/ 15- ربيع الثاني - 1883م) وشمل الطلب أيضاً إنشاء كنيسة، ومحلات للمعلمين بمحلة الفواغرة، المقيدة باسم القنصلية، وأنّ شنلر أخذ الموافقة من القنصلية بإنشاء تلك الأبنية والمحلات، وبادرنا ببسط الكيفية لسعادتك، وتقديم الرجاء بأن تتفضلوا بإظهار المساعدة نحو القسيس الموصى إليه للحصول على الرخصة لقضية إنشاء الأبنية، ونجدد احترامنا الفائق لسعادتك"، وجاءت الموافقة على ذلك عام (1303هـ/ 1885م).⁽¹⁾ وكذلك جرت مراسلات متعدّدة بين القنصلية الألمانية في يافا وبين قائمقاميتها البهيّة، وورد في توصيتها بشأن أحد رعاياها في يافا: "أنّ الخواجة كريستوف هوفمان، المسيحيّ الألمانيّ، القاطن في القدس الشريف، مراده شراء قطعتي أرض واقعتين في قرية رنتيس، التابعة لقضاء يافا، وبما أنّ المشتري المشار إليه هو من التبعية الألمانية، ومن الملة المسيحية، ومن معزّتك إحالة هذا التقرير لمحله القانوني؛ لأجل الفراغ النظامي، متخذين هذه الفرصة وسيلةً لسؤال خاطر الجنب.⁽²⁾

ومن الجدير ذكره، أنّه كان يحظر على الألمان في القدس البناء على ملكياتهم، أو ترميمها إلا بعد أخذ الموافقة الرسمية من السلطات العثمانية، وكانت السلطات تشدد إجراءاتها حيال ذلك، وأنّه بحسب النظام: كلّ من أراد أن يعمر أو يرمم شيئاً يتطلّب منه الحصول على رخصة من جانب الحكومة، وبخلاف ذلك كانت الحكومة تنذر المخالفين، ففي رسالة الحكومة إلى القنصلية الألمانية أنّ أحد الرعايا الألمان، ويُدعى (قرة الموسوي، Korra Moussawi) قام بالبناء دون الحصول على الرخصة اللازمة لذلك، وعليه أخذ التراخيص اللازمة، أو سيتخذ

AGCJ,File 440,6,(1886AD/1303AH),,p3-73 ⁽¹⁾

AGCJ,File 544,6,(1901AD/1318AH),p2⁽²⁾.أنظر الملاحق شكل رقم (9).

بحقّه الإجراء القانوني⁽¹⁾، ومنهم من كان يبادر في طلب الترخيص، فقد طلب الخواجة (يعقوب ليون، Jacob Leon) أحد تبعة الإمبراطورية الألمانية رخصةً نظاميةً؛ لأجل إجراء بعض الترميمات والإصلاحات في داره، التي يملكها بالقدس (1291هـ/1874م)⁽²⁾، كذلك قدّم أحد رعايا الألمان بالقدس طلباً إلى المتصرفية للسماح له بإجراء إصلاحات في بيته، الذي يحتاج إلى ترميم، وتكحيل، وإصلاح ما أفسده المطر بالبيت (1291هـ/1874م)⁽³⁾.

ولعبت قوّة المال الألمانية دوراً مهماً في عملية الحياة على الأملاك الشاسعة، ويظهر ذلك من خلال أماكن انتشار العقارات التي سيطروا عليها، وتبيّن الوثائق مقدار التنافس الشديد للاستحواذ على هذه الأراضي، فقد لجأوا أحياناً إلى إفشال عملية بيع الأراضي للآخرين، من خلال المزايدة في المال، والدفع أكثر، فتذكر الوثائق أنّ: "أولاد عطا الله وعبد الرحمن وفاطمة وحسنا وعزيزة أولاد الحاج حسن عدوي بن فرحان، وصبحة بنت سليمان الجبصيّ من أهالي قرية لفتا، وكلّوا وكيلهم في بيع 58 سهماً لهم من أراضي البقعة التحتا، الواقعة خارج القدس، بجهة باب العامود، إلى عثمان نوري، ومحمد أفندي الخالديّ، من أهالي القدس بثمن 58 ليرة، وبعد ذلك قاموا الثمن، واسترداد الأرض وبيعها إلى حنا أفروتكر (Johannes Frutiger) الألمانيّ، مقابل 24 ليرة فرنساوية ذهبية"⁽⁴⁾ وتجدر الإشارة إلى أنّ حنا أفروتكر (Johannes Frutiger) يعدّ أحد أبرز الرأسماليين في القدس، حيث امتلك بنكاً أداره بنفسه في المدينة⁽⁵⁾، وشملت مشترياته مدن حيفا⁽⁶⁾ ويافا⁽⁷⁾.

ونظراً لقوّة الحركة التجارية في القدس وخارجها، كان الألمان يدخلون في منافسات كثيرة، ويحصلون على مناقصات كبيرة حيال ذلك، من خلال رفع قيمة الإيجار؛ لضمان سريان

(1) AGCJ,File 442,3,71

(2) AGCJ,File 442,3,p36

(3) AGCJ,File 442,3,p37

(4) القدس سجلّ 379، (1307هـ/1890م)، ص 114.

(5) القدس سجلّ 379، (1307هـ/1890م)، ص 48، سجلّ 384، (1310هـ/1893م)، ص 76.

(6) القدس سجلّ 388، (1314هـ/1896م)، ص 76.

(7) القدس سجلّ 378، (1306هـ/1889م)، ص 126، سجلّ 379، (1308هـ/1891م)، ص 168.

العقار المستأجر لأطول مدّة، فقد تقدّم الخواجة عيسى فاست (Isa Fast) الألمانيّ اليهوديّ باستدعاء إلى المجلس البلديّ بيديّ فيه رغبته بإنشاء أبنية جديدة، تضاف إلى أبنية لوكاندة البلدية، وقدّم خرائط للأبنية المقترحة، على أن يعقد له بدل إيجارها لمدة 15 عاماً، وقد اتخذ المجلس قراراً بتدقيق الخريطة المذكورة، وتخمين مصاريف الأبنية المطلوب إنشاؤها بشكل محدّد، مع بيان أصناف الكرسنة (موادّ البناء) المقترضي وصفها، ورفع الأمر إلى مجلس إدارة اللواء، الذي وافق على طلب (فاست) خلال شهر من تاريخ الاستدعاء، وأبرم العقد بين المجلس البلديّ و(فاست) وولده لمدة 15 عاماً، لإنشاء 19 غرفةً ومشمّلاتها، وقدرت تكاليفها بـ 1.300 ليرة ذهبية فرنساوية.⁽¹⁾

وقد أسهم الرأسماليون الألمان في الاستحواذ على نصيب الأسد من المشتريات، إذ اشتروا أراضي وقرى كاملةً، وأنشأوا عليها مستوطنات، مثلما حصل مع (ملفيل بركم) (Melville Bergheim) وأولاده سامي وبيتر بركم (Sami and Peter Bergheim) عندما استغلّوا حاجة الأهالي وعوّزهم لشراء أراضيهم، ويظهر ذلك جلياً في نداءاتهم للدولة العثمانية لطلب المساعدة: "نحن عبيدكم، تحت طاعة دولتكم، فارحمونا ابتغاءاً لله، وعاملونا بوجه الحقانية والرحمة السنية، واغتنموا دعائنا قبل أن يحلّ بنا الخراب، والراحمون يرحمهم الله، ونحن أصحاب عيال وأطفال، وكلّ راعٍ مسؤولٌ عن رعيته". وجاء جواب أهالي قرية (أبو شوشة) عند سؤالهم عن سبب تنازلهم عن أراضيهم بقولهم: "تنازلنا عن جميع أراضي القرية المعدة للفلاحة فقط، وكلّ الفارغين متفرّغ برضاه واختياره، والداعي لهذا الفراغ؛ لأننا أصبحنا عديمي الاقتدار للقيام بإدارة شأننا، وصرنا بحالة الفقر للدرجة الأخيرة، وقد تراكمت علينا مبالغٌ وافرةٌ لجهة الخزينة، ولسنا مستطيعين وفايتها". وتجدر الإشارة إلى أنّ الضرائب المفروضة على أهالي (أبو شوشة) بلغت ما يقارب ستة وأربعين ألف غرش، وكان هذا كفيلاً بدفعهم للتنازل عن أراضيهم (لبركم، Bergheim) الألمانيّ، لسدّ ما عليهم من التزامات ضريبية للدولة العثمانية.⁽²⁾

(1) صالحية، محمد، مدينة، ص34-35.

(2) AGCJ,File 459,4,(1871AD/1288AH),p10-70

وبالرغم من ارتفاع الأسعار المرتفعة للأراضي في مدينة القدس ولوائها، فإنّ ذلك لم يمنع الألمان من شراء الأراضي، ودفع المبالغ الباهظة لقاء ذلك، وتزوّدنا الوثائق بأسعار بعض الأراضي، فتذكر أنّ: (هوكر بلاند كول، Hoco Bland Cool) و (يلاند هندرج، Leland Hendroj) قد اشترى من سابا قعوار قطعة أرض، مقابل باب العامود، بمبلغ 100 ليرة ذهب فرنسي⁽¹⁾، كما اشترى (فرديناند الرومي، Ferdinand Rumi) جميع الأرض المقطعة التي مساحتها 10 قراريط، قرب باب الخليل، بمبلغ 90 ليرة ذهب فرنسي⁽²⁾، وتضيف السجلات أنّ سارة بنت يوسف (Sara Youssef) من الجنسية الألمانية اشترت من (إستريت يوسف لب، Istreet Youssef Lib) قطعة الأرض المعروفة بأرض الرقبة، قرب باب الخليل بثمن قدره 100 ليرة ذهب فرنسي⁽³⁾، كذلك دفع (صمويل ملفيل بركم، Samuel Melville Bergheim) ثمن دونم واحد وثلاث دونم مع البناء والأشجار في ظاهر القدس من جهتها الغربية، مبلغ 400 ليرة عثمانية ذهبية⁽⁴⁾، وفي عام (1289هـ/1872م) اشترت راشين بنت موسى السكناجي، من تبعة دولة بروسيا داراً جديدة مع الأرض الواقعة عليها، مقابل 200 ليرة ذهباً فرنساي، الواقعة في رأس الميدان، خارج السور جهة المسكوبية⁽⁵⁾.

ولم تقتصر عملية استملاك الأراضي على طبقة الرأسماليين فقط، بل امتدّت إلى امتلاك الرهبان والقساوسة الأراضي، حيث امتلك القسيس (يوحنا فريدرك Johanne Frederick) البروتستانتيّ الألمانيّ أرضاً وكرم زيتون خارج القدس بالجهة القبلية⁽⁶⁾، وجميع الأرض المشجرة الكائنة خارج القدس الشريف بجهة باب العامود، بالإضافة إلى أرض خارج سور القدس، من أراضي قرية سلوان، التابعة للقدس المسماة دير (أبو طور)، وجميع الأرض المشجرة بالزيتون، خارج باب الخليل، وقطعة أرض بالجهة ذاتها، وجميع الحصّة الشائعة،

(1) القدس سجلّ 364، (1291هـ/1874م)، ص 89، المدني، زياد، مدينة، ص 120-121.

(2) القدس سجلّ 361، (1290هـ/1873م)، ص 266، المدني، زياد، مدينة، ص 120-121.

(3) القدس سجلّ 361، (1290هـ/1873م)، ص 188، المدني، زياد، مدينة، ص 124.

(4) القدس سجلّ 369، (1297هـ/1880م)، ص 24.

(5) الشناق، محمود، العلاقات، ص 217، جرار، مروان، الاستيطان، ص 312.

(6) القدس، سجلّ 384، (1313هـ/1895م)، ص 175، سجلّ 388، (1314هـ/1896م)، ص 84.

وقدرها 559 سهماً من جميع قطعة الأرض الواقعة بالجهة المذكورة المسماة كرم السكري،⁽¹⁾ وامتلك كذلك أرضاً خارج سور القدس، بموجب 10 سندات نظامية مؤرخة لعام (1310هـ/ 1892م).⁽²⁾

ومن الأمثلة الأخرى على تملك الألمان للأراضي وتصرفهم بها، ما قامت به الخواجات (فاني، وأنابولينا، وهاريت، Fany and Annapolis, Harriet) بنات الخواجة (ملفيل بركم، Melville Bergheim) بتوكيل (تيموتي بركم، Timothy Bergheim) ببيع جميع الحصّة التي لهنّ في أراضي قرية (أبو شوشة)، قضاء يافا الموروثة عن والدهنّ، وقدرها من (3 أسهم إلى 30 سهماً) في جميع الأرض المراح الأميرية، من أراضي القرية، مع البناء والإنشاء والإحداث وأراضي المراح والسمارة من أراضي القرية الأميرية، إضافة إلى بيع 48 سهماً من جميع الدار، مع البوابيك شمال القرية ذاتها،⁽³⁾ كما قام (تيموتي بركم، Timothy Bergheim) بتوكيل (سرابيون يعقوب مراد، Sarabion Jacob Murad) الأرمني الألماني ببيع ما هو تحت مزارعتهم المنتقل عن والدهم، وذلك جميع الأرض الموسومة بعدد 153 سند طابو من 1-153، والمقيّد بدفتر سنة (1289هـ/ 1872م) والبناء الذي بها والإحداث بحصص قدرها 7 أسهم من أصل 20 سهماً من أراضي قرية (أبو شوشة) في يافا.⁽⁴⁾

وشدّد نظام الأملاك العثمانيّ على منع المرأة المتزوجة من رجلٍ أجنبيٍّ أن تترث من أبيها، كونها تزوجت برجلٍ أجنبيٍّ؛ ولذلك مُنعت (حنة بنت إسحاق ولد موسى ولد إسحاق ليكن الموسويّ الشكنازي) العثمانية والمتزوجة (من بحوس إلباو ولد إبراهيم زاكي) من تبعة دولة ألمانيا من أن تترث من أمّها المتوفاة، كونها أصبحت غير عثمانية.⁽⁵⁾

(1) القدس سجلّ 395، (1319هـ/ 1901م)، ص 110.

(2) القدس سجلّ 384، (1314هـ/ 1896م)، ص 224.

(3) القدس سجلّ 379، (1307هـ/ 1890م)، ص 71، سجلّ 383، (1309هـ/ 1892م)، ص 67-68.

(4) القدس سجلّ 384، (1309هـ/ 1892م)، ص 37-39.

(5) القدس سجلّ 392، (1317هـ/ 1899م)، ص 40.

كما كانت الهبات والهدايا أحد أشكال الملكيات التي حازها الألمان، فعندما زار الإمبراطور الألمانيّ (غليوم الثاني) القدس عام (1316هـ/1898م) برفقة الإمبراطورة (أوغستا فكتوريا)، وتقديراً لتلك الزيارة، قام السلطان العثمانيّ عبد الحميد الثاني باهدائه قطعة أرض بجوار النبيّ داود (جبل صهيون)، لتكون فيما بعد كنيسةً للكاتوليك الألمان،⁽¹⁾ وقدّرت مساحتها بنحو 2000 مترٍ مربعٍ،⁽²⁾ وقبل ذلك أهدى السلطان عبد العزيز الإمبراطور الألمانيّ قطعة الأرض المعروفة باسم الدباغة، التي دشّن عليها كنيسةً تتبع الإنجيليين الألمان.⁽³⁾

واستفاد الألمان من مترجمي القنصلية في الحصول على الأراضي، كونهم قادرين على التحدث باللغة العربية، إضافةً إلى اللغة الألمانية، وعمل هؤلاء وسطاء لتجارة الأراضي، ويعدّ سراييون يعقوب مراد (Sarabion Jacob Murad) الأرمنيّ أحد أشهر المترجمين للقنصلية الألمانية بالقدس، حيث اشترى ووكلّ ببيع عددٍ من الأملاك إلى الألمان، وتشير الحجة التالية إلى قيامه بوكالةٍ عن البارون جورج ألتون (George Alton) من تبعة ألمانيا بشراء جميع قطعة الأرض الكائنة خارج باب العامود، المشتملة على شجرة بطمة، وأوضة من خشب، وأوضة من حجر، وغراس زيتون، وبئر معدّة لجمع الماء، بمبلغ 500 ليرة ذهب فرنساويّ، من محمد كامل الحسيني،⁽⁴⁾ واشترى كذلك فرانك فيليب (Franc Philip) الألمانيّ من سراييون يعقوب مراد (Sarabion Jacob Murad) الأرمنيّ، ترجمان قنصلية ألمانيا أرضاً تعرف بشعب الجناني في البقعة المعروفة.⁽⁵⁾

وتصرّف الألمان في ممتلكاتهم، فقد وهبوا عقاراتهم وممتلكاتهم إلى الآخرين، حيث قام "حنا أفروتكر الألمانيّ بوهب جميع الدار المشتملة على بيوت ومنافع وحقوق شرعيّة، مع جميع الأرض الواقعة بها الدار المذكورة، الكائنة خارج القدس، بجهة باب الخليل، بجوار تربة مأمن

(1) سركيس، خليل، جلاله، ص 36-37، الأسود، إبراهيم، الرحلة، ص 130، المدني، زياد، مدينة، ص 121.

(2) الأسود، خليل، الرحلة، ص 129.

(3) سركيس، خليل، جلاله، ص 36-37، الأسود، إبراهيم، الرحلة، ص 130.

(4) القدس سجلّ 360، (1288هـ/1871م)، ص 52، المدني، زياد، مدينة، ص 120.

(5) القدس سجلّ 364، (1291هـ/1874م)، ص 60، المدني، زياد، مدينة، ص 120-121.

الله*، المشتمة الأرض المذكورة على أشجار متنوعة، وجدران ومنافع وحقوق شرعية إلى الخواجة أنطوان بن متياب ابن أنطوان مرقص اللاتيني العثماني، من أهالي القدس، وذلك هبة وتمليكا بلا عوض ولا بدل، حرر ذلك في سنة (1309هـ / 1891م).⁽¹⁾

كما حصل خلاف ونزاع بين الألمان حول ملكية بعض الأراضي والعقارات الموروثة، فقد استولى كرستوفر بركم (Christopher Bergheim) على حصة والدته ماريا (Maria)، التي تقدّر بثمانية أسهم في أرض الطالبية خارج القدس، وقد رفعت والدته عليه دعوى لاسترداد الحصة التي ورثتها من زوجها بركم (Bergheim) لدى المحكمة، ومقدارها الثمن،⁽²⁾ إلا أن موكلها (استريادي) قام بالسفر إلى خارج القدس، فوكلت (أحمد أغا ابن عبد الله أغا جولي) مختار محلة باب حطة بالقدس الشريف،⁽³⁾ لكنها لم تربح هذه الدعوى بحكم أن كرستوفر (Christopher) كان قد اشترى جميع أرض الطالبية من والده سنة (1307هـ / 1889م)، بوكالة أخيه تيموتي (Timothy) وبشهادة الشهود والسندات النظامية، فحكمت المحكمة بثبوت أحقيته بالأرض (1308هـ / 1890م).⁽⁴⁾

وقد تنوع شراء الألمان للعقارات في لواء القدس، ما بين دور، وأراضٍ، وحاكين، وبساتين، وبيارات، ودكاكين، بغرض التجارة والاستثمار والسكن، وتوزعت داخل القدس وخارج أسوارها، بالإضافة إلى مناطق يافا، وبيت لحم، والقرى المحيطة بتلك المدن، وللوقوف على تلك الأملاك نستعرض بهذا الجدول بعض أملاكهم:

* تربة مأمن الله (ماميلا): تقع إلى الجهة الغربية قرب باب الخليل، ظاهر المدينة، أكبر مقابر المسلمين في بيت المقدس، مساحتها تقرب من 200.000 متر مربع، ولوقوعها في وسط البنين أصدر المفتي عام 1927م، قراراً يحظر فيه دفن الأموات فيها، ضمّ ترايبها منذ الفتح الإسلامي المجاهدين، والفقهاء، والأولياء، وغيرهم. الدباغ، بلانا، ج10، ق2، ص 338-339، العربيات، غالب، تاريخ، ص 91.

(1) القدس سجل 383، (1309هـ / 1892م)، ص 37-38.

(2) القدس سجل 379، (1308هـ / 1891م)، ص 126.

(3) القدس سجل 379، (1308هـ / 1891م)، ص 147.

(4) القدس سجل 379، (1308هـ / 1891م)، ص 165.

الرقم	اسم المالك	نوع العقار	المكان	المصدر
-1	أبراهام موسى زكي مردخاي أشكنازي (Abraham Musa) Zaki Mordechai (Alchkenazi)	دار	القدس محلة اليهود	القدس سجلّ 390، (1314هـ- 1896م)، ص 42
-2	زلمن نحوم أبرام ليون الألمانيّ (Zlman Nahoum) (Abram Lyon)	دار	القدس (داخل باب العامود)	القدس سجلّ 388، (1313هـ- 1895م)، ص 23
-3	سرابيون ابن أفندي ابن يعقوب الأرمنيّ الألمانيّ (Sarabion (Jacob Murad	دور	خارج يافا / طريق القدس	القدس سجلّ 384، (1311هـ-1894م) ص 98-99، وسجلّ 83، (1311هـ- 1894م)، ص 141
		بيّارة	خارج يافا/ طريق القدس	القدس سجلّ 383، (1311هـ- 1894م)، ص 141
-4	هنري بن فودليب بن فريدلي البورسيانيّ (Henry Vodlib) Fridelli Al (Borsiani)	42 سهماً من دار مشمّلة على بيوت علويّة وسفليّة، وحاكورة مشجرة مساحتها دونم واحد، محدّدة من أطرافها الأربعة	خارج القدس، جهة باب الخليل بأرض البقعة بمحلة البورسيان	القدس سجلّ 379، (1308هـ-1891 م)، ص 140، سجلّ 378، (1307هـ-1890 م)، ص 231
-5	منسكر بن فريدرك البورسيانيّ (Minsker) (Frederick	700 ذراع من جميع الأرض المشمّلة على أشجارٍ وبناءٍ وبئر ماء معدّة لجمع ماء الأشتية	خارج القدس بجهة باب الخليل من الجهة الشمالية	القدس سجلّ 378، (1306هـ-1889 م)، ص 79

6-	ماكس بن كارل هيس أفندي (Max Ben) Carl Hess (Effendi	ثلاث قطع أراضٍ زراعية مساحتها 5600 ذراع	قرية المالحه	الأرشيف الألمانيّ، ملف 32/6/436
7-	كارل كارفر الألمانيّ (Carl Carver)	19.5 قيراط، من أصل 22 قيراطاً من حاكورة	جدر قرية بيت سالم في أريحا	القدس سجلّ 369، (1297هـ/1880م)، ص 28
8-	باستر هيتريه البورسيانيّ (Buster Heteria) (Borsiani	قطعة أرض	برأس عقبة الظاهرية بالقدس	القدس، سجلّ 381، (1308هـ/1891م)، ص 27 المدنيّ، زياد، مدينة، ص 121
9-	يوحنا زيلر (Zeller) (Johanne	أرض	القدس، سلوان	القدس، سجلّ 395، (1318هـ/1900م)، ص240، المدنيّ، زياد، مدينة، ص 121
10-	فريدرك فيشر الألمانيّ (Friedrich) (Fischer	قطعة أرض	مقابل باب العامود	القدس، سجلّ، 401، (1334هـ/1916م)، ص105، المدنيّ، زياد، مدينة، ص 121
11-	ثيودور ولف حنا (Theodore Wolf) (Hanna	قطعة أرض	قرية المالحه	القدس، سجلّ 403، (1328هـ/1910م)، ص213، المدنيّ، زياد، مدينة، ص121
12-	ويلهام يوهانس مارس، مدير بنك فلسطين الألمانيّ (Wilhelm) Johannes Mars, director of the German Bank of (Palestine	قطعة أرض	القدس	القدس، سجلّ 407، (1330هـ/1912م)، ص157، المدنيّ، زياد، مدينة، ص121

13-	فرديرك أودنة المسيحيّ الألمانيّ (Frederic Odina)	أرض مساحتها 146 دونماً	وادي حنين*	نعمة الله، إبراهيم، الرملة، ص 458
14-	الخواجة فرديرك بن لوديم بن فورليك المسيحيّ (Frederic (Ludim Forlik	1615 دونماً	صرفند الخراب	نعمة الله، إبراهيم، الرملة، ص 458
15-	الخواجة جوليوس بلوسكيه المسيحي (Julius (Blousquet	1600 دونم ببديل قدره تسعمائة ليرة فرنساويّة	قرية عاقر	نعمة الله، إبراهيم، الرملة، ص 458
16-	جوليوس بلوسكيه الألمانيّ (Julius (Blousquet	1600 دونم	قرية شحمة**	نعمة الله، إبراهيم، الرملة، ص 459
17-	راشين بنت موسى السكناجيّ، من تبعة دولة بروسيا	دار جديدة مع الأرض الواقعة عليها في عام (1289هـ / 1872م) مقابل 200 ذهب عثمانيّ	رأس الميدان، خارج السور، المسكوبية	الشناق، محمود، العلاقات، ص 217

كما وجدت بعض الأملاك المشتركة بيد أفراد الطائفة الألمانية، وبعض السكان المحليين،

فقد امتلك الألمانيّ زلمن نحوم أبرام ليون (Zalman Nahoom Abram Leon) وحاييم

* وادي حنين: قرية تقع على مسافة سبعة كم غرب مدينة الرملة، بلغ عدد سكّانها سنة 145م (1630) نسمة، دمرها الأعداء سنة 1948م وحولوا مسجدّها إلى متحف، وأنشأوا مستعمرة (كفار أهارون) على أراضيها. شراب، محمد، معجم، ص 721.

** شحمة: لعلّها تحريف (شحيمّا) الآرامية، بمعنى (أسود، وبمعنى البسيط)، قرية تقع في الجنوب الغربيّ من الرملة، وعلى نحو ميل من (قطرة) ترتفع (50) متراً عن سطح البحر، تشتهر بزراعة الزيتون والحمضيات، دمرها اليهود، وأقلموا عليها مستعمرة (قدرون). شراب، محمد، معجم، ص 467.

أبراهام شلومو زوتفلت (Haim Abraham Shlomo Zutfelt) من تبعة دولة النمسا أرضاً وداراً مشتملة على مخزنين وبيتين علويين وبئر معدة لجمع ماء الأشتية ومطبخ ومنقح ومرافق على أرض مساحتها 1500 ذراع، تقع في القدس جهة باب العامود،⁽¹⁾ وكذلك امتلك يوحنا بن يعقوب شنلر بن كرستيان (Johanne Jacob Ashneller Christian) الألماني مع سبعة أفراد مسلمين، وواحد لاتيني أرضاً مساحتها 24 قيراطاً* جهة باب العامود.⁽²⁾

وقام بعض رعايا الألمان بنقل ملكياتهم إلى اليهود، فقد باع (إيليان ثيودور شنلر) أرض ملكية تدعى (جسور نفي)، تقع ظاهر القدس الشريف بجهة باب العامود، مساحتها (32) دونماً إلى الخواجات (نتانيل داو بدوف، ويوخان سمحايف، وداويد بن بنحاسوف) من تبعة دولة روسيا، بثمن قدره (100) ليرة فرنساوي، كما باع ملكية أرض تقع خارج باب العامود إلى (إسرائيل مردخاي بن تنتنوم) الموسوي النمساوي، وإلى (نتانيل داويدوف) البخاري المسكوبي الموسوي بينهما مناصفة،⁽³⁾ وباع الألمان كذلك ممتلكات إلى غيرهم، ففي عام (1318هـ/1900م) باع (البارون بلاتفون إستيتون المسيحي الألماني أربع دور مع أراض مشجرة تقع خارج سور باب الخليل إلى الدكتور (موسى بن حوليوس فرنكل) مقابل (271200) فرنك.⁽⁴⁾

وقدّرت قيمة الممتلكات الألمانية في لواء القدس عام (1294هـ/1877م) بـ 8.8 مليون فرنك، وفي عام (1316هـ/1898م) كانوا يمتلكون ما يقارب من 9-10 ملايين مارك ألماني.⁽⁵⁾

موزعة كالآتي⁽⁶⁾:

(1) القدس سجل 388، (1313هـ/1895م)، ص 23.

* القيراط: يساوي 24/1 من مجمل الشيء، ويستخدم في احتساب الملكية في العقارات، هنتس، فالتر، المكابيل، ص 98.

(2) القدس سجل 379، (1307هـ/1890م)، ص 16

(3) الشناق، محمود، العلاقات، ص 336.

(4) الشناق، محمود، العلاقات، ص 333.

(5) Carmel, Alex, Die Siedlungen, p29

(6) الحزماوي، محمد، ملكية، ص 71

1.2 مليون مارك	الأموال المنقولة وغير المنقولة الخاصة بالأفراد الألمان في القدس
3.4 مليون مارك	الأموال المنقولة وغير المنقولة الخاصة بالمستعمرات الألمانية
2 مليون مارك	أموال الدولة ومنشأتها في القدس
2.2 مليون مارك	رأس المال المستثمر في البيوت التجارية الألمانية
8.8 مليون مارك	المجموع العام

وللوقوف على حجم المباني العقارية السكنية منها والزراعية، التي امتلكها الألمان في اللواء، إضافةً إلى حيفا، بناءً على إحصائية لعام (1307هـ / 1889م)⁽¹⁾، ينظر الجدول الآتي:

المناطق	المباني السكنية	المباني الصناعية منها والزراعية
حيفا	67 مبنى	63 مبنى
يافا	33 مبنى	15 مبنى
القدس	25 مبنى	21 مبنى
سارونا	41 مبنى	30 مبنى
المجموع	166 مبنى	129 مبنى

وقد قدرَت القيمة المادية لهذه الأملاك ما يقرب من 2.1 مليون فرنك،⁽²⁾ استثمر معظمها في البناء السكني، كما هو موضح في الجدول، وشهدت مستوطنة سارونا تركيزاً على الأنشطة الزراعية والصناعية، ويرجع سبب ذلك إلى كونها أكبر المستوطنات التي شيّدها، إضافةً إلى أنها أسست لتكون مستعمرة زراعية من الطراز الأول.

النشاط الاقتصادي

التجارة والحرف والصناعات

اهتمَّ المستوطنون الألمان بالصناعات والحرف المختلفة، وأقاموا لها المعامل والورش الخاصة، وأدخلوا عدداً من الحرف التي لم تكن معروفة لدى السكان المحليين، الذين فضلوا

⁽¹⁾ Carmel, Alex, Die Siedlungen, p52

⁽²⁾ Carmel, Alex, Die Siedlungen, p52

لبراءتهم في التصنيع، فأصبحوا زبائن دائمين،⁽¹⁾ ولمعت أسماء بعض الصنّاع والتجار الألمان، مثل الخواجة (تيموتي ملفيل بركم، Timothy Melville Bergheim) التاجر بالقدس،⁽²⁾ وقد أشارت السجّلات العثمانية إلى أبرز التجّار والملّكين في القدس، والذين يقف على رأسهم ثلاثة ألمان، ويأتي على رأسهم بالدرجة الأولى (بركم، Bergheim)، حيث أشارت إلى أنّه صاحب بنك، وبلغت ثروته 1000000 غرش، وقدّرت أملاكه بـ 800000 غرش، و(رويتبرغ، Roetber) أحد تجار القدس، الذي بلغت ثروته 300000 غرش، ويأتي (ميابر منالون، Mayaber Manaloun) أحد الصرّافين في القدس في المرتبة الثالثة، بثروة بلغت 2000 غرش، وأملاكه قدّرت بـ 2650 غرش، ما يؤشّر إلى حجم الاستثمار، والاملاك التي امتلكها هؤلاء التجار.⁽³⁾

ومن أهمّ الأعمال التجارية التي مارسها الألمان امتلاك المحلات والمخازن، فقد امتلك (موسى مردخاي زلمن، Mose Mordecai Zalman) الشكنازيّ الألمانيّ مخازن في محلة الشرف في مدينة القدس،⁽⁴⁾ وامتلك (استير توبيا هرشل، Esther Tobia Harshell) 12 قيراطاً في مخزنين ونصف بئر ماء بالقدس،⁽⁵⁾ كما امتلك (موسى إيلي أبرام زكي، Moses Eli son Abram Zaki) الموسويّ الشكنازيّ من تبعة دولة ألمانيا دكاناً في محلة الواد بالقدس،⁽⁶⁾ وكان (زلمن ولد نحوم ليوى، Zalman Liwa Nahum) الموسويّ الشكنازيّ الألمانيّ قد امتلك دكاناً خارج القدس جهة باب الخليل،⁽⁷⁾ وامتلك (حنا أفروتكر) دكاكين بخان الزيت بالقدس،⁽⁸⁾ ثمّ قام بشراء دارٍ مع الفرن التابع لها بداخل قلعة يافا،⁽⁹⁾ ويلحظ إقبال الألمان على استئجار الدكاكين والعقارات بالقدس، مستغلّين المناقصات التي تطرحها بلدية القدس، إذ استأجر الخواجة

⁽¹⁾ Jakob, islar, Der deutsche, p97, Carmel, Alex, Die Siedlungen, p40

⁽²⁾ القدس سجلّ 378، (1307هـ/1890م)، ص 229.

⁽³⁾ BOA, PRK, UM, 4, 3

⁽⁴⁾ القدس سجلّ 388، (1313هـ/1895م)، ص 35.

⁽⁵⁾ القدس سجلّ 383، (1311هـ/1894م)، ص 182.

⁽⁶⁾ القدس سجلّ 381، (1309هـ/1892م)، ص 89.

⁽⁷⁾ القدس سجلّ 395، (1318هـ/1900م)، ص 96.

⁽⁸⁾ القدس سجلّ 369، (1297هـ/1880م)، ص 7، سجلّ 378، (1306هـ/1889م)، ص 173.

⁽⁹⁾ القدس سجلّ 378، (1306هـ/1889م)، ص 126.

(شأول بن إسحق، Shaul Isaac) الموسويّ الألمانيّ من بلدية القدس ثلاثة دكاكين، قرب
لوكاندة البلدية، مدّة سنة كاملة اعتباراً من عام (1319هـ/1901م) مقابل 13 ليرة فرنساويّة،
دفع منها ستّ ليرت، و 3.5 ليرة فرنساويّة نهاية حزيران/يونيو ونهاية تموز/ يوليو 3.5 ليرة
فرنساوية.⁽¹⁾

واستكمالاً للتطوير الزراعيّ، فقد أنشأ الألمان المنشآت الصناعية الكبيرة، المجهّزة
بالآلات الحديثة، ذات الصلة بالزراعة، فظهرت المعاصر، والمطاحن، والمصابين، والمعامل،
التي حولت الإنتاج الزراعيّ إلى صناعاتٍ مختلفةٍ، فعلى سبيل المثال، كان إنتاج زيت الزيتون،
والصابون، وزيت السمسم، ذا فائدة اقتصادية عالية بالنسبة لهم، إذ افتتحت بعض العائلات
الألمانية مصانع للصابون والزيت، وجلبوا لها الآلات الحديثة،⁽²⁾ وكان منها المصبنة التي
امتلكها (ملفيل بركم، Melville Bergheim) بقصبة الرملة التابعة لقضاء يافا، المشتمة على
عقود سفليات، وآبار لوضع الزيت، وقدر نحاس لطبخ الصابون، وعقود علويّة، عرفت بالمفرش
لوضع الصابون.⁽³⁾ وأشتهر بهم صناعة الصابون المعطرّ، الذي كان يصدرّ للخارج⁽⁴⁾، وفي
عام (1286هـ/ 1869م) أنشأ الألمان مطاحن للدقيق، تعمل بطاقة الرياح لعصر الزيت
والسمسم،⁽⁵⁾ وعرفوا الطاحونة (الناريّة)، فقد امتلك (بيتر منتسلر، Better Montsler) الألمانيّ
بيافا واحدةً منها، وهو ما أثار استياء متعهدي المطاحن الأميرية؛ لما ألحقته من خسائر بهم.⁽⁶⁾
ثم طوروها، فأصبحت تعمل على طاقة البخار، وسيطروا بذلك كلياً على مطاحن الدقيق في يافا،
وقد انتشرت هذه المطاحن في عددٍ من الأماكن منها: سارونا، والقدس، والرملة، ويافا، وحيفا،⁽⁷⁾
وتذكر سجلّات المحكمة الشرعيّة عدداً منها: طاحونة (كرستوف ولس، Christopher

(1) الشناق، محمود، العلاقات، ص 74، صالحية، محمد، مدينة، ص34-35، جرار، مروان، الاستيطان (بحث)، ص
316.

(2) Kark.Ruth.Technological. p 4-5

(3) القدس سجلّ 370، (1300هـ/1883م)، ص 69.

(4) Jakob, islar, Der Deutsche, p96-97

(5) Kark.Ruth.Technological. p 4-5, Footprints of the tempelrs, p5-6, Glenk. Helmut, From Desert, p50

(6) AGCJ, File 458, 15, (1872AD/1289AH), p 39

(7) Kark.Ruth, Technological, p-3 4-5, Footprints of the tempelrs, p5-6

(Wallace) الألمانيّ المقيم بالقدس،⁽¹⁾ وفي مستعمرة (Rephaim) (رفايم) بنى (Frank) (فرنك) أحد أعضاء الجمعية الهيكلية بها طاحونةً تعمل بالماء،⁽²⁾ وكان في مستعمرة (يافا) ثلاث طواحين، بها عمّال يعملون في طحن الحبوب،⁽³⁾ وكان بركم يمتلك مطحنةً بخاريّةً في القدس، ومطحنةً تعمل على طاقة الرياح، زوّدت بالآلات الألمانية الحديثة، وكانت تنتج الطحين الأبيض عالي الجودة، الذي عُدَّ أول طحينٍ من نوعه في فلسطين، وكان يزودها بالحبوب من مزرعته في (أبو شوشة)، ورغم ميّزات مطاحنه، فإنّها كانت ذات كلفة صناعية مرتفعة، إضافةً إلى ارتفاع أسعار البترول، وشحّ المياه في المنطقة.⁽⁴⁾

وقد توسع الألمان في إنشاء المصانع، فقد أنشأوا مصنعاً للإسمنت في مستعمرة فالهالا، لإنتاج موادّ البناء عام (1306هـ/1888م)،⁽⁵⁾ الذي بدأ بإنتاج البلاط والأنابيب الخرسانيّة، ومن خلاله بدأ بناء البيوت في المستوطنات من الطوب،⁽⁶⁾ وكذلك افتتحووا شركة لإنتاج الطوب، ومصنعاً للبلاط في القدس، كان تابعاً لدار الأيتام السورية، وهم أول من استخدموه في أسقف المباني،⁽⁷⁾ وشرعوا في بناء الأعمدة من الإسمنت،⁽⁸⁾ وافتتحووا مصنعاً للصناعات الحديدية، عُرف باسم إخوان فاغنر (Wagner Brother) في مستعمرة يافا، وبحلول عام (1331هـ/1913م) كان يعمل فيه أكثر من 100 شخص، وكان هذا المصنع ينتج 80% من المضخّات في يافا،⁽⁹⁾ ومن ثمّ أنشأوا مصانع للأسمدة والنبيد في سارونا، وفي عام (1291هـ/1874م) افتتحووا

(1) سجلّ محكمة حيفا الشرعيّة 31/2/6، ص 37.

(2) محافظة، علي، العلاقات، ص 111، أبو بكر، أمين، ملكية، ص 592.

(3) الكزاندر، شولش، تحولات، ص 184.

(4) Kark, Ruthe, The Bergheim family and the farm of Abo Kushner.David.palestine.p 240 Shusha,p332-337

(5) محافظة، علي، العلاقات، ص 111، p5-،Footprints of the tempelrs, 4-5, Kark.Ruth.Technological. p 6,Glenk,Helmut,From Desert,p49

(6) Glenk,Helmut,From Desert,p50

(7) 96p,Der Deutsche,Jackob,islar,أوين، روجر، تاريخ، الموسوعة، القسم الثاني، المجلد الأول، ص 581.

(8) صلاح، حنا،فلسطين، ص 64.

(9) 96-97p,Deutsche,, جوهريّة، القدس، ج 1، ص 189،أوين، روجر، تاريخ، الموسوعة، القسم الثاني، المجلد الأول، ص 581.

في يافا معملاً للدهان بخبرات ألمانية، وهو من أوائل المحلات في فلسطين، ومن ثم أنشأوا مخبزاً في وسط مدينة يافا، وكذلك عمل الألمان على جلب مغاسل آلية للملابس من شتوتغارت، ووضعوها في المستشفيات والأوتيلات، ولم تكن معروفة عند العرب، كما عملوا في مجال النجارة، وجلبوا عمالاً مهرة من أوروبا وألمانيا، وامتلك (ريمر، Rimmer) الألماني منجرة خاصة له بالقدس، وبعد دخول الآلات المكيانيكية، افتتحوا مشاغل لصيانتها، ومن ثم أحضروا الآلات لقصّ الحجر "المناشير"،⁽¹⁾ وامتحنوا كذلك بيع الملابس في القدس، وتعاملوا مع الخياطين المحليين في إنتاج ما يريدونه من ملابس، وكانت في الغالب غالية الثمن،⁽²⁾ وتجدر الإشارة إلى أن لوازم الخياطة، والأقمشة كانت تستورد من ألمانيا بالدرجة الأولى، ويذكر شولش أن كلاً من مستعمرات يافا والقدس، كانت تضم عدداً من الخياطين،⁽³⁾ وفي المجلد، كانت هذه المصانع والشركات والمحلات التي أسسها الألمان في فلسطين، قد أسهمت في خلق وظائف للألمان أنفسهم، وللمجتمع المحلي.⁽⁴⁾

وبرز عدد من الألمان من خريجي مدرسة دار الأيتام السورية ومتدربيها في المجال الحرفي، وأسسوا بعض المشاغل في مجالات الخزف، والنجارة، والحدادة، والمطابع، والقرميد، الذي أصبح ينافس القرميد المرسل،⁽⁵⁾ ويمكننا القول إن المستعمرات الألمانية التي أقيمت في كل من القدس ويافا، كان معظم سكانها من أصحاب المهن من الخياطين، والطحانين، والنجارين، والفرانين، والحدّائين، والسراجين، واللحامين، وأفراد يعملون بالساعات، وميكانيكيين، وبنائين، وبستانيين، وفلاحين، وتجّار أخشاب وأثاث، وسمكريين، وصانعي سكاكين، ونحاتين، وصيادلة، وأطباء، ومهندسين، ومعماريين، وأصحاب مطاعم، وأصحاب حانات، ففي المستعمرة التي أقيمت بالقدس (1290هـ/1873م) كان بها ثمانية وعشرون حرفياً

(1) Kark.Ruth.Technological. p-3 4-5, Footprints of the tempelrs, p5-6-14, Jakob, islar, Der

Deutsche, p 97-96،، جوهريّة، القدس، ج1، ص 189.

(2) القدس سجلّ 378، (1306هـ/1889م)، ص 173.

(3) الكزاندر، شولش، تحولات، ص 130-184.

(4) Glenk, Helmut, From Desert, p50-51

(5) سنو، عبد الرؤوف، المصالح، ص 74-75.

يدويًا، مدربين على الطراز الألمانيّ، كان لهم الفضل في الازدهار الصناعيّ، ويُذكر أنّ أحد الهيكلين الألمان يُعدّ أول من مارس النقش على الأدوات المصنوعة من خشب الزيتون في حيفا، إذ نشأ فيها أهمّ فروع صناعة التحف التذكارية الفلسطينية⁽¹⁾ والجدول الآتي يوضّح إحصائية قدّمها (Alex Carmel) عن المهن والصناعات في اللواء، إضافةً إلى حيفا عام (1293-1316هـ/1876-1898م)⁽²⁾، وذلك على النحو الآتي:

المهنة / الوظيفة	القدس	يافا	سارونا	حيفا	المجموع
صيدليّ	1	1	–	1	3
طبيب	1	1	–	1	3
خبّاز	1	1	–	–	2
(معاملات مصرفيّة)	–	1	–	1	2
مصانع البيرة والجمعة	1	1	–	2	4
نحّات	1	–	–	–	1
مطاحن بخار	1	5	1	2	9
مناشير البخار	–	1	–	–	1
مخرطة	1	–	–	–	1
أماكن للضيافة	1	3	1	2	7
دباغة	–	1	–	1	2
محلّ للجبصين	–	–	–	1	1
قابلة / ممرضة	2	1	1	1	5
أصحاب فنادق	1	2	–	1	4
مهندس	1	–	–	1	2
مصانع الجبن	–	–	1	–	1
رجال أعمال	6	6	1	3	16
حلوانيّ	2	–	–	–	2
محلّ لصناعة البراميل الخشبيّة	–	–	–	1	1

⁽¹⁾ الكزاندر، شولش، تحولات، ص 183-185.

⁽²⁾ Carmel, Alex, Die Siedlungen, p53-54

12	3	2	2	5	معلم
1	–	–	1	–	رسّام
10	5	3	–	2	بناء
1	1	–	–	–	ميكانيكيّ
2	1	–	–	1	صانع سكاكين
6	2	1	1	2	جزّار
1	–	–	–	1	صانع الطواحين
2	1	–	–	1	طحّان
1	1	–	–	–	معاصر زيت
5	1	–	3	1	صانع أسرجة الخيول
1	1	–	–	–	مصانع للصابون
1	–	–	–	1	محلّ للأقفال
6	2	1	3	–	محلّ للحداثة
4	1	1	1	1	خيّاط
12	5	1	4	2	نجّار
7	2	1	2	2	صانع أحذية
1	–	–	1	–	مصانع للحجر
1	–	–	–	1	بناء حجر
3	3	–	–	–	وكلاء قناصل
2	1	1	–	–	مصنع فاغنر
3	–	1	–	2	أماكن لبيع الخمر
2	1	1	–	–	بنائو خشب (نجّارون)

يستنتج من الجدول مدى تنوّع المهن لدى الألمان في المستوطنات، فقد كان فيهم الطبيب، والمعلم، والصانع، والبناء... إلخ، ومن خلال المهن التي امتهّنها نأخذ انطباعاً عن المستوى الاقتصاديّ، فقد امتلكوا محلّات لصناعاتٍ مهمّةٍ مثل: الحداثة، والخياطة، والنجارة، بالإضافة إلى المعاملات المصرفيّة، وصناعة الخمر، التي كانت تدرّ عليهم أموالاً طائلةً، ويدلّ ذلك على أنّ المستوطنين الألمان كانوا قادرين على تلبية احتياجاتهم المعيشية اليومية، دون

الحاجة إلى الآخرين، ومن خلال هذا التنوع في المهن والحرف، نستنتج مدى التسهيلات التي أتاحتها الدولة العثمانية لهم.

ومن أجل تصريف المنتجات وتصديرها إلى الأسواق الخارجية أسسوا وكالات في ألمانيا، وأمريكا، وشركات استيراد وتصدير، كان من أهمها: مؤسسة فلسطين، ومركزها الكولونية الألمانية، التي تمكنت من ترويج المنتجات، التي تصنعها المستوطنات، وكذلك خصوصاً دار الأيتام السورية التي كانت تصدر: الأحذية، والألبسة، والمنتجات الخشبية، والنبيد، ومياه التعميد، ومنتجات المكفوفين وأعمالهم، وكانت يافا مركزاً لاستيراد وتصدير المنتجات لقربها من الميناء،⁽¹⁾ وكان يستورد البضائع القطنية والصوفية والخمر والفحم والرخام والأدوية والعقاقير والمواد الصبغية وعلب الكبريت والسماد من ألمانيا،⁽²⁾ وكانت لجماعة الهيكل الألماني شركات تصدير خاصة بهم، يقومون من خلالها بتصدير منتجاتهم بأنفسهم ومنها الزراعية، ففي حيفا امتلك الهيكليون عام (1305هـ / 1887م) ثلاث شركات تجارية،⁽³⁾ وفي سنة (1314هـ / 1896م)، أسس "الغراف تزيين شفرين (Graf von Zieten Schwerin) رئيس جمعية بيت المقدس البرلينية " الشركة الفلسطينية الشرقية الألمانية لتشجيع التجارة الألمانية في فلسطين والمشرق، وشراء الأراضي وزراعتها، وممارسة الأعمال المصرفية، وقد تعامل مع التجار العرب واليهود على حدٍ سواء.⁽⁴⁾

قطاع المواصلات

اهتم الألمان بتطوير المواصلات خدمةً لهم وللسياح والحجاج القادمين إلى الأرض المقدسة، ففي عام (1284هـ / 1867م) افتتحوا طريق العربات بين يافا والقدس لنقل المسافرين، وكانت أول طريق للعربات في فلسطين،⁽⁵⁾ وذكرت السجلات بطريق العجل، للدلالة

(1) سنو، عبد الرؤوف، المصالح، ص 58-76.

(2) صلاح، حنا، فلسطين، ص 57-63-67.

(3) هنداوي، سهام، التطور، ص 135.

(4) هنداوي، سهام، التطور، ص 138.

(5) محافظة، علي، العلاقات، ص 111، مناع، عادل، تاريخ، ص 218، المهتدي، عبلة، القدس، ص 384.

Carmel, Alex, Die Siedlungen, p29-30

على الدواليب المتحركة.⁽¹⁾ ويعود الفضل إليهم بإدخال العربات ذات العجلات إلى فلسطين، وكان العرب قبل ذلك يسيرون بين المدن عبر الطرقات غير المعبدة على الحمير والبغال، حتى جاء الألمان، واستفادوا من وسائلهم.⁽²⁾ وأسّس الألمان عام (1292هـ/ 1875م) وسيلة نقلٍ جماعية تسير بشكلٍ منتظمٍ ما بين القدس ويافا، عن طريق عربات الأحصنة.⁽³⁾

وفي عام (1293-1296هـ/ 1876-1879م) عملت الحكومة التركيّة على إصلاح الشوارع بين يافا والقدس، وكان على رأس المهندسين الخبراء الألمان،⁽⁴⁾ حيث جرى وضع علامات ترقيم جديدة للشوارع، ورغم حصولهم عام (1296هـ/ 1879م) على امتيازٍ حكوميٍّ لعملهم هذا، فإنّهم اضطرّوا فيما بعد إلى ترك الميدان لمزاحمة العرب واليهود لهم في هذه المهنة.⁽⁵⁾

وترتّب على ظهور العربات كإحدى وسائل النقل، ظهورُ بعض مشاغل صناعة العربات التي تجرّها الخيول، وذلك في يافا وسارونا،⁽⁶⁾ كما اعتنى سكّان مستعمرة (ريفايم) بيافا بإصلاح العربات التي تجرّها الخيول،⁽⁷⁾ إضافةً إلى اهتمام الألمان بالنقل البري، فقد أولّوا عنايتهم بالنقل البحري، خاصّة بعد ظهور وكالات التأمين،⁽⁸⁾ ورغم الشكوى الدائمة من التجار الألمان المحليين لعدم توقّر اتّصال بحريٍّ مباشرٍ مع المانيا، فإنّه كان هناك حركة تجارية دائمة مع ألمانيا.⁽⁹⁾

(1) القدس سجلّ 379، (1308هـ/ 1891م)، ص 188.

(2) Kark.Ruth.Technological. p 7

(3) الكزاندر، شولش، تحولات، ص 168، رافق، عبدالكريم، فلسطين، ج2، ص 960، المهتدي، عبلة، القدس، ص 389، الشناق، محمود، بلدية، ص 29، نعمة الله، ابراهيم، الرملة، ص 200، Jakob, islar, Der Deutsche, p98.

(4) Jakob, islar, Der Deutsche, p98، الكزاندر، شولش، تحولات، ص 168-169.

(5) الكزاندر، شولش، تحولات، ص 168-169، مناع، عادل، تاريخ، ص 218، المهتدي، عبلة، القدس، ص 389.

(6) Jakob, islar, Der Deutsche, p98

(7) محافظة، علي، العلاقات، ص 111.

(8) محافظة، علي، العلاقات، ص 111.

(9) الكزاندر، شولش، تحولات، ص 130.

ونظراً للأعداد الكبيرة من السياح والحجاج القادمين لزيارة الأماكن الدينية، فقد عمل الألمان على توفير الفنادق في كلٍّ من يافا والقدس، فيُذكر أنّ فندق القدس في يافا كان من أفضل الفنادق على الإطلاق في فلسطين، وبعدّ هذا الفندق بمثابة مركز معلومات للهيكلين والزوار عن أهدافهم ومستوطناتهم.⁽¹⁾ وكان يتردّد على الفندق أساقفة وسياسيين واقتصاديين، كما تمّ إنشاء فندق آخر على طريق القدس، في مدينة الرملة، ولعلّ ما ساعد على ازدهار الحركة السياحية، هو افتتاح قناة السويس عام (1286هـ/1869م)،⁽²⁾

الضرائب

ترتّب على الأملاك المتعدّدة والمتنوعة للألمان في فلسطين مبالغ نقدية كبيرة، فقد عملت الدولة العثمانية على استيفاء الضرائب والجمارك المختلفة عن أملاكهم، ما عدا الأديرة والمؤسسات الخيرية، تبعاً لقانون الجمارك (1281هـ/1864م)،⁽³⁾ وكان تحصيل الضرائب من الرعايا الأجانب يتمّ عن طريق القنصليات بمخاطبة القنصل المعنيّ، الذي كان أحياناً يتسلّم الضرائب المقدّرة على رعاياه، ويسلّمها للخزينة،⁽⁴⁾ فقد ترتّب عام (1325هـ/1907م) على أصحاب الأراضي في قرية (اليهودية) بيافا مبلغ أربعة وعشرين ألف غرشٍ من (أموال العشر) عن محصولاتهم الشتوية وهي: الشعير، والفل، والعدس، والتمرس، والقمح، والبرسيم، والحشيش، أمّا المحاصيل الصيفية فكانت: الذرة البيضاء والصفراء، والحمص، والسمسم، والحشيش، والقرع الأصفر، والبطيخ، والعنب،⁽⁵⁾ وترتّب عام (1323هـ/1905م) على أهالي (سارونا) من الألمان مبلغ قدره 1692 غرشاً، دفعوه للدولة أعشاراً عن محصولاتهم الشتوية،⁽⁶⁾ كما ترتّب عام (1323هـ/1905م) على المزارع (كارل كليبر، Carl Clipper)

⁽¹⁾ 111، الكزاندر، شولش، تحولات، ص 184. Carmel, Alex, Die Siedlungen, p39, Jakob, islar, Der Deutsche, p 100-99

ص 111، الكزاندر، شولش، تحولات، ص 184.

⁽²⁾ Jakob, islar, Der Deutsche, p 100-99

⁽³⁾ AGCJ, File 435, 8, (1911AD/1329AH), p65

⁽⁴⁾ الشناق، محمود، بلدية، ص 24، و، العلاقات، ص 64

⁽⁵⁾ AGCJ, File 543, 7, (1905AD/1323AH), p16-24. أنظر الملاحق شكل رقم (10).

⁽⁶⁾ AGCJ, File 543, 7, (1906AD/1324AH), p43

الألمانيّ في قرية الخيرية*، بقضاء يافا، دفع مبلغ خمسمائة غرشٍ عن الأعشار** الصيفية لسنة (1).

وشدّدت الدولة من إجراءاتها في التعامل مع المتهرّبين من دفع الضرائب، ونهبت الدولة المزارعين وأصحاب الأراضي الألمان في قرية ملبس قضاء يافا، بعد أن قاموا بحصد محاصيلهم، ونقلها دون دفع العشر، وهذا برأي الدولة مخالفٌ للقانون، ونهبتهم برسالةٍ خطيّة من جانب القائمقام إلى القنصل الألمانيّ في يافا بعدم نقل محاصيلهم ودرسها دون إذنٍ من الحكومة، مع إخطارهم بأنهم مجبورون على دفع بدل عشر الحاصلات المهرّبة مضاعفاً، حسبما يصير تقدير تلك المحصولات من طرف موظفي التخمين، الذين سترسلهم الدولة إلى القرية، وإذا تبين أنّ تلك المحصولات الموجودة هناك غير كافية لتسديد بدل العشر مضاعفاً، فسيجري بيع قطعة أرض من أراضيهم بالحال واستيفائها للخزينة، متماشياً ذلك مع نظام تحصيل الأموال الأميرية؛ لأنّ جميع الأجانب المتملّكين في الممالك العثمانية مكلفون باتّباع قوانين الدولة العلية، نظير التبعة العثمانية بموجب البروتكول الموقع من الباب العالي، ومن طرف جميع الدول المعظّمة (1323هـ / 1905م). (2)

كما أخذت الضرائب على الحيوانات والمسقّفات والمحلات، ومن أصحاب المهن الصناعية والتجارية. (3) وفرضت عليهم - بالإضافة إلى ذلك - رسوم الحراسة، التي تكون من الدولة على المحلات ورسوم تنوير محلاتهم وتنظيف المدينة، (4) حتى طالّت الضرائب في بعض

* قرية الخيرية: قرية عربية، تقع على بعد ثمانية كم شرقيّ مدينة يافا، على الجانب الأيمن من وادي المصرة، أحد روافد نهر العوجا، وترتفع (27) م، وهي قرية قديمة عرفها الأشوريون باسم (داناي برقا)، أبرز مزارعات القرية أشجار الحمضيات، كان عددهم سنة 1945م (1420) نسمة، احتلها اليهود سنة 1948م وأقاموا على أرضها مستعمرة (كفار همسابيم)، سكّنها مهاجرون من العراق. شراب، محمد، معجم، ص 365-366.

** الأعشار: ضريبة تعدل العشر من المحصول، إلا أنّها جعلت سنة 1892 نحو 12 في المئة، عشرة منها إلى الحكومة، وواحد إلى البنك الزراعيّ، ونصف الواحد إلى إدارة المعارف، وستة أعشار الواحد إلى إدارة الحربية. صلاح، حنا، فلسطين، ص 48.

(1) AGCJ, File 543,7, (1905AD/1323AH), p35

(2) AGCJ, File 543,7, (1905AD/1323AH), p14

(3) AGCJ, File 543,7, (1906AD/1324AH), p83-121

(4) AGCJ, File 451,2, (1909AD/1327AH), p21-90

الأحيان مؤسساتهم التعليمية والأبنية، فبعد إعطاء موافقة لإنشاء دار الأيتام السورية (شنلر) في القدس الشريف، كانت الضرائب التي ترتبت عليها (29740) غرشاً، والمبلغ المربوط على الساعة المعلقة على كنيسة الألمان (23475) غرشاً، ودار العجزة للألمان الكاثوليك (25085) غرشاً، مقابل ذلك أعفيت مؤسسة (أغوستا فكتوريا) الموجودة في القدس من الضرائب، التي بلغت (31949) غرشاً،⁽¹⁾ ويشير الجدول أدناه إلى بعض الضرائب التي فرضت على المحلات الألمانية في مدينة القدس لعام (1329هـ / 1911م):⁽²⁾

الرقم	الاسم	الضريبة	الرقم	الاسم	الضريبة
1.	بوسطة ألمانيا (Bost) (Germany)	72 غرشاً	2.	مكتب هامبورغ (Hamburg office)	84 غرشاً
3.	دكتور بنزينكر (Dr.) (Benzincker)	72 غرشاً	4.	فاوزر الفران (bakery) (Fauser)	24 غرشاً
5.	ريجر النجار (Rigger Joiner)	36 غرشاً	6.	البنك الألماني (German) (Bank)	216 غرشاً
7.	محلّ لبيع الكتب (Bookstore)	70 غرشاً	8.	نيقولا شميث (Nicholas) (Schmith)	48 غرشاً
المجموع		622 غرشاً			

وتجدر الإشارة إلى أنّ الألمان اعتنوا جيّداً بتربية الحيوانات، وهناك دلائل حيّة بالوثائق تدلّ على طلباتٍ مقدّمةٍ من الألمان إلى القائمقامية، ومنها الطلب الذي تقدّم به الملاك الألمانيّ (كريستوف هوفمان)، الذي يسكن بالقدس، يذكر فيه أنّ يمتلك قطع أراضٍ واقعةً بقومبانية (ويلهلم) المجاورة لقرية اليهودية قضاء يافا، ومراده إنشاء إسطبل للدواب من حجرٍ وطنين مسقوفٍ بالخشب والقرميد، ويطلب إحالته للمجلس البلدي؛ لإعطائه رخصةً بذلك (1323هـ / 1905م)،⁽³⁾ وكذلك اهتمّ المزارعون في سارونا بتربية الأبقار،⁽⁴⁾ وفي عام (1313هـ /

(1) الشناق، محمود، بلدية، ص 17-18، و العلاقات، ص 96.

(2) AGCJ,File 451, 2,(1910AD/1328AH), p21-90

(3) AGCJ,File 544,8,(1905AD/1323AH),p228

(4) محافظة، علي، العلاقات، ص 110.

1895م) انتشر طاعون في الماشية، فأثر تأثيراً كبيراً على مزارع الحيوانات، وأضرّ في إنتاج المنتجات الحيوانية، وقد كلف آنذاك بلدية سارونا ما يقارب 10000 فرنك سويسري⁽¹⁾.

وكذلك خصّصت أماكن لذبح الحيوانات، وتقاضت البلدية رسوماً على ذلك، وشدّدت من إجراءاتها لمنع المخالفين، فقد نبّه متصرفية القدس طائفة السكناج عن طريق قنصل ألمانيا بأنّ عليهم عدم ذبح الذبائح خارج المسلخ، والالتزام بأنظمة البلدية، ووجوب دفع الرسوم من اليهود الأشكناز، ذوي التبعية الأجنبية بما يخصّ الذبح، وذلك بموجب المعاهدات، وقد بلغ قنصل ألمانيا وكلاء طائفتهم بهذا التنبيه⁽²⁾ وفي الجدول أدناه نستعرض⁽³⁾ أهمّ الحيوانات التي اهتمّ الألمان بتربيتها، إضافةً إلى توزّعها:

الحيوانات	يافا	سارونا
الخيّل	45 مع البغال	63
الحمير	18	22
الأبقار، والماعز، والأغنام	45	314
الخنازير	60	113
البغال	–	9

يلحظ أنّ أكثر الحيوانات التي اهتمّوا باقتنائها وتربيتها هي الماشية من الأبقار، والأغنام، إضافةً إلى تربية الخنازير، للاستفادة من لحومها وألبانها، وكما يظهر، فإنّ مستوطنة سارونا الزراعية في يافا، احتلّت المركز الأول في تربية الحيوانات، التي بلغ عددها (521 حيواناً)، ويرجع ذلك إلى أنّ هذه المستوطنة، كما أشرنا سابقاً، كان معظم سكّانها من المزارعين، الذين يعتمدون على الحيوانات والماشية، وفي الأساس شيدّت كمستوطنة زراعية، واستفادت من موقعها الجغرافي، لوقوعها في سهل سارونا، ما سهّل على المزارعين رعي الماشية، بخلاف منطقة القدس الجبلية، التي لم يظهر الجدول اقتناء الألمان فيها مزارع حيوانات.

⁽¹⁾ Glenk, Helmut, From Desert, p31-32

⁽²⁾ الشناق، محمود، بلدية، ص 35-36، العلاقات، ص 64.

⁽³⁾ Carmel, Alex, Die Siedlungen, p52

شاعت الوكالات المتنوعة في فترة الدراسة بين الألمان وغيرهم من الطوائف، خاصّة التوكيل في مجال بيع الأملاك غير المنقولة وشرائها، وفي مجال التجارة والزراعة، باستخدامهم وكالات عادية أو مطلقة، ونظراً لتطور الحياة الاقتصادية في لواء القدس، ولتنقّل الملاك والتجار الألمان بين لواء القدس والبلد الأمّ (ألمانيا)، ولعجز بعضهم عن التصرف بأموالهم، برزت الحاجة إلى استخدام نظام الوكالات بين الألمان؛ للقيام بالعمليات التجارية لذا أظهرت لنا السجّلات قيام الملاك بتوكيل غيرهم في هذه المعاملات، وكانت العملية تتمّ وفق القوانين الرسمية المتبعة من خلال المحكمة الشرعية في أخذ موافقة الطرفين من خلال الإيجاب والقبول.⁽¹⁾

ومن الأمثلة على ذلك، فقد حضر (حنا أفروتكر)، مدير شعبة البنك العثمانيّ في مدينة القدس، ووكل (فابر بن أدولف فابر، Faber Adolf Faber) الألمانيّ، المتوطن بالقدس وكالةً عامّةً * مطلقاً سنة (1311هـ/1893م) في بيع ما يشاء من أملاك وأراضٍ وأشجار، وفي فكّ الرهن والمرهون، والاستدانة والإدانة، داخل القدس وخارجها، وفي ولاية بيروت، وحيفا، ويافا، التابعة للولاية المذكورة. وقد ختم التوكيل بقبول الوكيل ذلك.⁽²⁾ وقد تكرّر ورود نصّ الوكالة في سجلّ آخر، حيث عقدت تلك الوكالة داخل البنك العثمانيّ بالقدس،⁽³⁾ ثمّ قام (فابر، Faber) الألمانيّ بإحالة هذا التوكيل عام (1310هـ/1892م) إلى (شلومو ستورم، Shlomo Storm) الموسويّ الأمريكيّ، المقيم بالقدس في بيع نصف ما هو جارٍ له وتحت تصرفه ومزارعته،

* الوكالات: إقامة الشخص غيره مقام نفسه في تصرف مملوك له معلوم قابل للنيابة، بالأمر الاعتبارية شرعاً والقابلة للوكالة. أبو فضة، مروان، عقد الوكالة وتطبيقاته في المصارف الإسلامية، مجلة الجامعة الإسلامية (سلسلة الدراسات الإنسانية)، المجلد السابع عشر، العدد الثاني، الجامعة الإسلامية، غزة، فلسطين، ص 794-795، 2009، ص(789-856).

(1) القدس سجلّ 379، (1307هـ/1890م)، ص 23.

** وكالة عامّة: وعامة إذا اشتملت على كل أمر يقبل النيابة، مثل وكلتك في جميع أموري المتعلقة بالمعاملات، فإذا كانت عامّة جاز للوكيل مباشرة المعاولات والتصرفات، ما عدا التبرعات، فلا بدّ من التصريح بها، أي ما كانت إجابة عامّة لا في تصرف خاصّ. أبو فضة، مروان، عقد الوكالة، المجلد السابع عشر، العدد الثاني، ص 800.

(2) القدس سجلّ 379، (1308هـ/1891م)، ص 48، سجلّ 383، (1312هـ/1895م)، ص 213، سجلّ 384، (1310هـ/1893م)، ص 75، ص 79.

(3) القدس سجلّ 379، (1308هـ/1891م)، ص 48، سجلّ 384، (1310هـ/1893م)، ص 75، ص 79.

وذلك جميع الدور والدكاكين والأراضي المشجرة، الكائن جميع ذلك داخل أسكلة حيفا وخارجها.. فباع النصف منها إلى اليهودي (عزتلو استريادي) أفندي، أحد أعضاء مجلس إدارة لواء القدس الشريف، أمّا النصف الآخر، فليتصرّف به كما يشاء،⁽¹⁾ كما وكلّ (فابر، Faber) الألمانيّ عام (1312هـ/1894م) الخواجة (إيرنست بن فاي، Ernst Fay) الألمانيّ في جميع الأملاك والأراضي والأشجار، الكائنة بمدينة حيفا وخارجها، الآيلة لموكله ببيعها على من يشاء وكالة مطلقة عامّة*.⁽²⁾

ووكّل (فريدريك بن أبراهام، Frederick Abraham) الألمانيّ، من سكّان القدس أخاه (حنا أفروتكر)، مدير شعبة البنك العثمانيّ بالقدس، والموجود في برلين، ببيع ورهن وإجارة الأرض، التي اشتراها عام (1297هـ/1880م)، البالغة مساحتها خمسة دونمات، الواقعة خارج القدس الشريف، في تلّ المصابين بالجهة الشمالية من باب العامود،⁽³⁾ وفي عملية بيع، بوكالة من يهوديّ موسويّ من تبعة ألمانيا والمتواجد فيها، حيث كان ساكناً بالقدس سابقاً، ومراده بيع جميع الأرض الواقعة خارج باب العامود بيعاً باتاً إلى (الحاخام ليب هرشل بن مليخ هرشل)، والحرمة (مالكة بنت عيزر الموسويين العثمانيين)،⁽⁴⁾ وقام كذلك ببير بن أبراهام بن موسى السكناجيّ العثمانيّ، بتوكيل (طوبيا بن لائيل السكناجيّ) الألمانيّة في بيع العقار الذي هو أوضة وديوان وساحة في جوار تلّ المصابين (1323هـ/1905م).⁽⁵⁾

كذلك تزوّدنا السجّلات بعددٍ من الوكالات الدورية، فقد أوكل "الخواجه (ملفيل برکم) أحد أبنائه وكالة مطلقة في بيع أرض له في قرية المالحه، إلى ابنه الآخر (كرستوفر، Christopher)، وقام الأخير بتوكيل أخيه تيموتي وكالة مطلقة في بيع وفراغ ما له، وما يراه

(1) القدس سجلّ 384، (1310هـ/1893م)، ص 76.

* وكالة مطلقة: وهي التي لم تقيد بقيد يتعلّق بالتصرّف أو بالزمن، أو بالمقدار في الثمن، مثل وكلتک في أموري. أبو فصة، مروان، عقد الوكالة، المجلد السابع عشر، العدد الثاني، ص 799.

(2) القدس سجلّ 383، (1312هـ/1895م)، ص 213. انظر الملاحق شكل رقم (11).

(3) القدس سجلّ 379، (1308هـ/1891م)، ص 105.

(4) الشناق، محمود، العلاقات، ص 182.

(5) القدس سجلّ 398، (1323هـ/1905م)، ص 12-26، الشناق، محمود، العلاقات، ص 226، جرار، مروان،

الاستيطان، ص 310.

مناسباً من أملاكه الكائنه بالقدس وخارجها وقضائها ولوائها وغيرها، المعلومة بينهما بموجب السندات التي بيده من أراضٍ أميرية وأشجار وبناء وغيره من المنقول والمواشي بيعاً باتاً كيفما أحب، وفي شراء ما يشاء من الأملاك والبناء والأشجار والأراضي الأميرية بالثمن الذي يراه مناسباً، وفي الرهن وتحصيل ما هو له في الذمم من الرهون عند أربابها بموجب السندات العادية التي بيده.⁽¹⁾

كما قام المَلَك الألمان بتوكيل آخرين خارج اللواء في شراء أو بيع ممتلكاتهم كما في حيفا،⁽²⁾ ويافا،⁽³⁾ فقد وكلّ الخواجات (هنري كوتليب، Henry Cottleb) و(كريستوف هوفمان البورسياني) من تبعة دولة ألمانيا الفخيمة بالقدس كلّاً من أبرام نيك بن أبراهام من تبعة دولة ألمانيا، وكودليب شوماخر بن يعقوب، من تبعة دولة أمريكا الفخيمة، المقيمين بحيفا وكالةً مطلقةً في شراء أراضٍ مراحٍ أو مشجرةٍ أو موجود بها أبنية في قضاء طبريا من سنجق عكا، بالثمن الذي يراه مناسباً،⁽⁴⁾ ووكّل (كواليب ولهام، Koalleb Wellham)، من تبعة دولة ألمانيا الفخيمة، المقيم بالقدس أباه (ولهم كولا، Wellham Kolla)، الموجود بمدينة حيفا، التابعة لولاية بيروت الجليلية، في بيع وفراغ ما هو جارٍ بملكه ومزارعته، وتصرفه وآيل إليه، بموجب سنيين خاقانيين، موسومين بعدد ثلاثة وعشرين وأربعة وعشرين، عن دفتر شباط سنة ست وثلاثمائة وألف، وذلك جميع الدار القائمة البناء بمدينة حيفا المذكورة الكائنة بمحلة البورسيان، وجميع الجنينة التابعة لها إلى الخواجة (يعقوب ليبيرش، Jacob Lieberch) الألماني، الموجود بحيفا، وقد حرّر ذلك سنة (1311هـ/1893م)،⁽⁵⁾ كما وكلّت بانيت نفتلي الموسوية ولف ولد يهودي، وميخائيل السكناجي من تبعة دولة روسيا في بيع حصة شائعة من الدار، وثمانية دكاكين في محلة اليهود بمدينة القدس (1325هـ/1907م).⁽⁶⁾

(1) القدس سجلّ 379، (1308هـ/1891م)، ص 126.

(2) القدس سجلّ 379، (1306هـ/1889م)، ص 144.

(3) القدس سجلّ 379، (1308هـ/1891م)، ص 140.

(4) القدس، سجلّ 376، (1306هـ/1889م)، ص 83، سجلّ 378، (1306هـ/1889م)، ص 82.

(5) القدس سجلّ 383، (1311هـ/1894م)، ص 207.

(6) القدس سجلّ 400، (1324هـ/1906م)، ص 114، الشناق، محمود، العلاقات، ص 226، جرار، مروان، الاستيطان، ص 310.

كما ظهر التوكيل في حالة إفلاس الأشخاص أو المؤسسات؛ ليرعوا أملاكهم، حيث تولى سرابيون ابن الخواجة يعقوب مراد أفندي، من تبعة دولة ألمانيا سنة (1318هـ/1900م) متابعة ما للخواجة (ملفيل بركم) وأولاده المقيمين بالقدس بعد إفلاسه، ومن أملاك وتحصيل ما لهم من الديون.⁽¹⁾

الديون والرهنون

قدّم الألمان فائض أموالهم الى السكان في مختلف طوائفهم، عبر تقديمها بشكل القروض، والديون، مستغلّين الحالة الاقتصادية المتردية لبعض السكان، الذين أخذوا يرهنون عقاراتهم وممتلكاتهم إليهم، مقابل مبالغ نقدية معينة، وكان الدين والرهن بمثابة مستمسكات وسندات قانونية رسمية محدّدة بتاريخ معيّن، موضح فيه الرهن وقيّمته، واسم الراهن والمرهون إليه، وعليه توقيع كلّ منهما، أو البصمة في حالة الأميّة، وموثّق في المحكمة الشرعية؛ لضمان حقوق الطرفين،⁽²⁾ ومن أجل إثبات حقّ الدائن، كان الدين - حتّى بداية القرن التاسع عشر - يوثّق بموجب مستمسك قانوني "حجة شرعية"،⁽³⁾ وفي أواخر القرن التاسع عشر الميلاديّ، أصبح الدين يوثّق بسندٍ يحدّد فيه طريقة سداذه، موثقاً داخل المحكمة، وغالباً يكون صادراً من مأمورية الدفتر الخاقاني بالقدس محدّد فيه زمن سداد الرهن،⁽⁴⁾ وإنّ استدانة الأموال شرط لها كفلاء يكفلون المستدين بكفالة مالية وغرامة ويحدّد فيها زمن استرجاع الأموال،⁽⁵⁾ وساهمت هذه الرهونات في إدارة عجلة الاقتصاد في لواء القدس، وفي تنمية استثمارات أصحاب رؤوس الأموال، وفي ضوء ذلك كان الدين والرهن يقسم إلى قسمين:

- الدين الشرعيّ: يقوم به المدينون برهن ما يملكونه من عقارات أو حليّ أو ملابس، لقاء الحصول على قرض،⁽⁶⁾ ومن الأمثلة على ذلك، قيام (بركم، Bergheim) بإقراض الحاج

(1) القدس سجلّ 398، (1324هـ/1906م)، 130-139.

(2) القدس سجلّ 380، (1307هـ/1890م)، ص 48، سجلّ 390، (1314هـ/1896م)، ص 42.

(3) القدس سجلّ 379، (1308هـ/1891م)، ص 160.

(4) القدس سجلّ 381، (1309هـ/1892م)، ص 89.

(5) القدس سجلّ 378، (1306هـ/1889م)، ص 75.

(6) القضاة، أحمد، نصارى، ص 329.

(موسى ابن الحاج محمد ابن الشيخ يوسف) منّي ليرة ذهباً فرنساوية بطريق الدين الشرعيّ بقرض مؤجلّ لوعده خمسة وأربعين يوماً من تاريخه.⁽¹⁾ وأوكل (حنا أفروتكر) أحدهم بفكّ رهن ما هو مرهون تحت يده إلى المدينين، بعد قبض بدل رهنه⁽²⁾، وحضر لمجلس الشرع الشريف كلٌّ من (يونتان وسارة خانو ولف أبراهام، Jonathan and Sarah Khanu Wolf Abraham) الموسويين الشكنازيين، ووكلّا الحاخام (ليب هرشل، Lib Herschel) الموسويّ الشكنازيّ العثمانيّ، من القدس، في فكّ ما هو مرهون تحت يد أبيهما المتوفى سابقاً (خانوخ ولف أبراهام، Khanouk Wolf Abraham) من قبل (حاييم زوتفلت، haim Zottfelt) من تبعة دولة أوستيريا (النمسا)، و(زلمن نحوم، Zlman Nahoum) من تبعة ألمانيا الموسويين، وهي جميع الستة بيوت والستة مخازن، والبئر المعلومين الحدود، الكائنين خارج القدس الشريف بجهة باب العامود، الموروثة عن أبيهما بمبلغ أربعمائة ليرة فرنساويّ، بموجب سند الرهن النظاميّ، الموسوم بعدد 2 عن دفتر نيسان سنة (1306هـ / 1888م)، وتمّ توكيله في فكّ الرهن، وقبض ما يصيب حصّتهما من الرهن، وتسليم المرهون للراهنين المذكورين، وإبراء ذمتّهما وكالةً مطلقةً،⁽³⁾ و تفيد الحجّة التالية بأنّ (موسى زكي، Musa Zaki) الشكنازيّ، من تبعة ألمانيا الفخيمة بالقدس، حضر وأفاد أنّه استرهن هو وزوجته (حنة ليكين، Henna Lekin) الشكنازية جميع الدكان القائمة البناء بالقدس، مقابل 218 ليرة ذهباً فرنساويّاً، بموجب سند الرهن النظاميّ الصادر من قلم مأمورية الدفتر الخاقاني بالقدس، لمضي ثلاث سنوات من صاحب الرفعة محمد أفندي ومحمود أفندي نجلي المرحوم السيد صالح أفندي جار الله، وشمس الدين أفندي ابن الشيخ أحمد أفندي جار الله .⁽⁴⁾

كما وکل (موسى زلمن، Musa Zalman) الشكنازيّ، من تبعة دولة ألمانيا الفخيمة من سكّان محلّة اليهود ابنه (داود David) الشكنازيّ في فكّ رهن الدار الكائنة في محلّة الشرف بالقدس، وبفكّ المخزنين القائمين في نفس المحلّة العائدة لبنت (أشوعا، Ashua) الشكنازية،

(1) القدس سجلّ 369، (1298هـ/1881م)، ص 139-140.

(2) القدس سجلّ 379، (1308هـ/1891م)، ص 169.

(3) القدس سجلّ 383، (1313هـ/1895م)، ص 313.

(4) القدس سجلّ 381، (1309هـ/1892م)، ص 89.

مقابل مبلغ 250 ليرة فرنساوي، لمضي ثلاث سنوات، وبفكّ البيتين السفليّ والعلويّ، الكائنين بالمحلّة المذكورة بيد (إسحق بن زكي، Isaac bin Zaki)، وساحة الدار وقف المرهونتين لدى إبراهيم ولد (موسى، Musa) الشكنازيّ بمبلغ 150 ليرة فرنساوي، لمضي ثلاث سنوات، ومن ثمّ تسليم المرهون المذكور للراهنين، وإجراء كلّ ذلك في تقارير قانونية لدى قومسيون المبايعات بالقدس، وفي بيع المرهون المذكور بالمزايدة، واستيفائه بدل الرهن المذكور.⁽¹⁾

ولم تخلُ من بعض المشكلات القانونية في علمية الرهن، إذ رفعت بعض القضايا في هذا الموضوع إلى المحكمة الشرعية، فقد حضر (حنا أفروتكر)، ووكلّ نيابةً عنه (عيسى أفندي ابن حنا بن صابان) اللاتينيّ، من أهالي القدس الشريف، من محلّة النصارى، وكالةً مطلقةً في المدافعة وإعطاء الجواب بالدعوى المصدّره إليه من حنا بن عيسى بن فرانسيس صابان اللاتينيّ وشقيقاته السبع، من أهالي قصبة بيت لحم، حول الدار المرهونة تحت يده من طرف كلّ من سليمان وصالح وجرجيس أولاد عيسى بن فرانسيس صابان، المذكورة في قصبة بيت لحم.⁽²⁾

وفي كثيرٍ من الحالات كان يتمّ التصرف بالرهن؛ ليتمّ تحصيل حقوق المرتهن ففي عام (1296هـ / 1879م) " حضر كلّ من (روفائيل أفندي، وداود أفندي، وحنا أفندي، وحفيظة، وليبية، وكريمة، وبابيل، أولاد ميخائيل أفندي ابن فرانسيس راحيل)، وجميعهم من طائفة اللاتين، وقرّروا بيع إرثهم عن أبيهم المكون من مخزنين، وساحة، وبئر ماء، بمحلّة النصارى بيعاً باتاً إلى الخوري (أنطوان سبتان).. بعد فكّ رهن حصّة ورثة (ميخائيل أفندي)، المرهونة تحت يد الخواجة (حنا أفروتكر)، مدير شعبة البنك العثمانيّ بالقدس، ودفع بدل ما يصيب كلّاً منهم من بدل الرهن، واستلم الرهن منه".⁽³⁾

وفي بعض الأحيان وكلّ المستثمرون الألمان أنفسهم في فكّ الرهونات وكالةً عامّةً، حيث وكلّ (حنا أفروتكر) (فابر أدولف فابر، Faber Adolf Faber)، المقيم بالقدس في "فكّ

(1) القدس سجلّ 384، (1313هـ/1895م)، ص 150-151، سجلّ 388، (1313هـ/1895م)، ص 35.

(2) القدس سجلّ 379، (1307هـ/1890م)، ص 9.

(3) القدس سجلّ 379، (1308هـ/1891م)، ص 128.

الرهن والاسترهان وفق رأيه ومعرفته"،⁽¹⁾ وفي حالات أخرى، وكلّ الألمان غيرهم في فكّ الرهونات، إذ قام (فابر الألمانيّ)، الوكيل المطلق عن أملاك (حنا أفروتكر) الألمانيّ ورهوناته بتوكيل (فارس بن جورجى الحبشيّ) من تبعة دولة إيطاليا الفخيمة، من سكّان القدس، في فكّ ما هو مرهون تحت يد موكله من قبل خليل وجرجيس وإبراهيم وسليم وصالح، أولاد عبد الله جقمان، من أهالي قصبة بيت لحم، وذلك جميع ما هو لهم وجارٍ بتصرّفهم، وآيل إليهم، بموجب ستة سندات عن دفتر شباط سنة (1294هـ/1877م)، وذلك جميع الدار القائمة البناء بقصبة بيت لحم، بمحلّة الناجرة، بمبلغ مائة وخمسين ليرة ذهباً فرنسائياً، بموجب سند رهن نظاميّ، موسوم بعدد 5 من دفتر مارس سنة (1300هـ/1882م)، وفي قبض الرهن المذكور من الراهنين، وتسليم المرهون، وقد حرّر ذلك سنة (1312هـ/1894م).⁽²⁾

وحضرت المرأة بنت المرحوم الشيخ سوف ابن المرحوم محمد الدسوقيّ اللبان، من أهالي القدس الشريف، من محلّة باب العامود، وبتعريفها من المعرفين، وكلّت الشابّ العاقل الرشيد إبراهيم ابن السيد سعيد ابن الشيخ محمد الدسوقيّ، من القدس في فكّ ورهن حصّتها الشائعة، وقدرها 117 حصّة من أصل 505 حصص، في جميع الدار الملك، الكائنة بالقدس الشريف، بمحلّة الواد من يد مرتهنها نحوم بن يودا بركمن الشكنازيّ الموسويّ، من سكّان القدس الشريف، بمبلغ 182 ليرة ذهب فرنساويّ،⁽³⁾ والجدول الآتي يشير إلى بعض الرهونات الألمانية، وهي على النحو الآتي:

الرقم	الراهن	المرتهن إليه	المرهون	المصدر
1-	راغب أفندي ابن المرحوم يوسف أفندي الحسينيّ، من القدس	حنا أفروتكر	ما هو جارٍ بملكه ومزارعته الأرض المشجّرة بقرية قالونيا* بالقدس، مقابل 24 ليرة فرنساوية، وقام سراييون بفكّ الرهن، واستلام المبلغ كاملاً.	القدس سجلّ 398، (1324هـ/—1906م)، ص 99-100

(1) القدس سجلّ 380، (1307هـ/1889م)، ص 48.

(2) القدس سجلّ 383، (1312هـ/1895م)، ص 265.

(3) القدس، سجلّ، 379، (1308هـ/1891م)، ص 81.

* قالونيا: قرية تبعد خمسة كم شمال غربيّ مدينة القدس، على طريق يافا، أقرب قرية لها: القسطل، وهي تحريف (كولونيا) اللاتينية بمعنى (المستعمرة)، بلغ عدد سكّانها سنة 1945م (900) عربيّ، دمرها اليهود سنة 1948م، وأقاموا على أرضها المستعمرات. شراب، محمد، معجم، ص 591.

2-	ورثة بنيامين ولد شمويل اليهودي (Benjamin (Shmuel	موريس شينفو بنفسكي ولد زكريا الموسوي الشكنازي الألماني (Maurice Tenfonevsky Zakaria (Ashkenazi	القدس سجل 393، (1317هـ —/1899م)، ص 69-70، سجل القدس 395، (1318هـ —/1900م)، ص 187
3-	ولف زوسمن لبيب الموسوي الشكنازي العثماني (Wolf Zosman Labib (Abraham Moses (Mordecai الشكنازي الألماني في فكّ الرهن، ووضع يده على العقار والتصرف به	ليمات ولف ميخائيل شولمن الموسوي الشكنازي الروسي (Limat Wolf) Michael (Schulman	القدس سجل 390، (1314هـ —/1896م) ص 42

- القرض الحسن: يلجأ الدائنون إلى تقديم الأموال إلى المدينين دون رهونات أو زيادة،⁽¹⁾ ويذكر أن "ماتس نفتلي، (Mats Naftli) الشكنازي الألماني من سكان القدس الشريف، حضر وادّعى على الرجل (عيزر بن فيشل بن لبيب، Ezer Facel Labib) الشكنازي، من تبعة دولة أوستيريا (النمسا) من القدس، وقال: إنّ لوالدي (شلومو، Shlomo) الشكنازي الألماني المتوفى بزمّة هذا المدّعى عليه مبلغاً قدره ثلاثة وستون غرشاً بطريق الدين من جهة القرض"،⁽²⁾ وكما حضر الخواجة (بولص فريدلي، Paulus Fridley) البروسي، وادّعى على الخواجة (فريدمان خرستيان، Friedman Christian) البروسي، المقيم بالقدس، أنّه قد استدان مبلغ 147 قرشاً بطريق الدين من جهة القرض، من أخته المتوفاة (ماتليدة، Matlida)، وصرفه

(1) القضاة، أحمد، نصارى، ص 331.

(2) القدس سجل 382، (1308هـ/1891م)، ص 79-80.

على حياته، وهو يريد أن يستردّ المبلغ لتوزيعه على الورثة،⁽¹⁾ وكذلك باع الخواجة (داود يشوعا، David Joshua) الموسويّ العثمانيّ، من سكّان محلّة اليهود أملاكه ووكل شخصاً في دفع الدين القائم عليه، وقدره خمسة وعشرون ألف فرنك إلى الخواجة (داود، David) الموسويّ، من تبعة دولة ألمانيا الفخيمة، مال من الدين"،⁽²⁾ ومنه ما وكلّ به (داود يشوعا، David Joshua) الموسويّ العثمانيّ من القدس، الخواجة (داود لبيب، David Labib) من دولة روسيا، والمقيم في أسكلة (ميناء) يافا، بدفع 25000 فرنك إلى الخواجة (داود ولغمر، David Welgner) الموسويّ، من تبعة دولة ألمانيا، وذلك من ماله من الدين الذي بذمّته له.⁽³⁾

وتشير هذه الحجة ايضاً إنّ (أحما أغا ابن عبد الله جولي المسلم العثمانيّ) وكيل (مارية بنت سيمون، Maria Simon) البروتستانتية الألمانية، من سكّان القدس، حضر عام (1308هـ/1890م) وادّعى على (عبد الرازق أفندي ابن الشيخ حامد أفندي أبي السعود)، من أهالي القدس الشريف بمحلّة المغاربة، أنّ زوج ماريّا المتوفى (ملفيل بركم) له بذمة هذا المدّعى عليه مبلغ قدره 80 قرشاً بطريق الدين من جهة القرض، كان صرفه على نفسه، وهو يطلب تحصيل حصّة موكلّته،⁽⁴⁾ كما حضر (يشوعا مردخاي، Joshua Mordecai) الشكنازيّ، من تبعة دولة ألمانيا الفخيمة، من سكّان القدس الشريف، وادّعى على (عيزر لبيب، Ezer Labib) الشكنازيّ من تبعة دولة النمسا الفخيمة، بالقدس الشريف، وقال في دعواه: إنّ لوالدتي المتوفاة (إستير شلومو، Esther Shlomo) الشكنازية الألمانية، المتوفاة بالقدس الشريف سنة (1281هـ/1864م) بذمة هذا المدّعى عليه مبلغاً قدره اثنان وثلاثون قرشاً، بطريق الدين من جهة القرض، كان أخذه منها في حال حياته، وصرفه في أمور نفسه، وإنّ والدته توفيت قبل استيفائه، وانحصر إرثها فيه وفي إخوته.⁽⁵⁾ وبما هو معروض لجانب معالي رئاسة محكمة

(1) القدس سجلّ 378، (1307هـ/1890م)، ص 231.

(2) القدس سجلّ 398، (1323هـ/1905م)، ص 33.

(3) القدس سجلّ 397، (1322هـ/1904م)، ص 3-49.

(4) القدس سجلّ 379، (1308هـ/1891م)، ص 160.

(5) القدس سجلّ 383، (1311هـ/1894م)، ص 182.

بداية الحقوق بالقدس من اثنين من تبعة دولة ألمانيا، ومن سكان القدس، لهما في ذمة الخواجة (فريدمان) من التجار العثمانيين بالقدس مبلغ (15) ليرة فرنساوية.⁽¹⁾

البنوك

قام الألمان بتأسيس عددٍ من البنوك؛ لتسهيل المعاملات التجارية، وتولوا إدارة بعضها، ومنها:

1- البنك العثماني

تأسس عام (1279هـ/ 1862م) برأس مال إنجليزي - فرنسي مشترك، قدره عشرة ملايين ليرة إنجليزية، واتخذ البنك الأستانة مقراً له، وكانت له فروع في لندن، وباريس، ومصر، وقبرص،⁽²⁾ وفي باب الخليل بمدينة القدس،⁽³⁾ وتولى إدارته التاجر والملاك الألماني الكبير (حنا أفندي أفروتكر)،⁽⁴⁾ وساعده في إدارته الخواجة (ميخائيل اللاتيني)،⁽⁵⁾ وقد منح هذا البنك تسهيلات بإصدار الأوراق النقدية، وأصبح هذا البنك يمنح قروضاً للدولة لتسديد ديونها، إلا أن هذا البنك أعلن إفلاسه لاحقاً.⁽⁶⁾

2- بنك يوحنا أفروتكر Johannes Frutiger Bank

تأسس هذا البنك عام (1290هـ/ 1873م) تحت اسم (Bankhause j.Frutiger and Co) وأطلق عليه اسم البنك الألماني، وقد قدّم خدماته المصرفية المتعددة للطوائف المختلفة،

(1) الشناق، محمود، العلاقات، ص 180.

(2) صلاح، حنا، فلسطين، ص 69، المدني، زياد، مدينة، ص 174، القضاة، أحمد، نصارى، ص 231.

(3) القدس، سجل 379، (1307هـ/ 1890م)، ص 48، سجل 384، (1310هـ/ 1893م)، ص 76.

(4) القدس، سجل 379، (1307هـ/ 1890م)، ص 48، سجل 384، (1310هـ/ 1893م)، ص 76، المدني، زياد، مدينة، ص 174.

(5) المدني، زياد، مدينة، ص 175، القضاة، أحمد، نصارى، ص 231.

(6) القدس سجل 397، (1323هـ/ 1905م)، ص 122، سجل 398، (1324هـ/ 1906م)، ص 99-100، المدني، زياد، مدينة، ص 175.

وخاصة اليهود، لكنه انهار في عام (1311هـ / 1893م)،⁽¹⁾ وتولّى إدارته بعد إفلاسه الخواجة (سراييون أفندي ابن الخواجة يعقوب مراد الأرمني) الألماني المقدسي.⁽²⁾

3- بنك فلسطين الألماني (German Bank of Palestine)

تأسّس عام (1315هـ / 1897م - 1317هـ / 1899م)، وقيل قبل ذلك بعامين، بعد زيارة الإمبراطور غيلوم الثاني لفلسطين، واتّخذ من برلين مركزاً رئيساً له، وبلغ رأسماله 20.000.000 مارك ألمانيّ، وقد انتشرت فروعه في أكثر من مدينة فلسطينية، منها: مدينة القدس، ويافا، وحيفا، وصفد، والخليل، وغزّة، ونابلس، والناصرية،⁽³⁾ وتذكر المصادر أنّ العثمانيين قد أسهموا فيه بمبلغ قدره 100000 مارك،⁽⁴⁾ وقيل برأس مال بلغ 450.000 مارك ألمانيّ،⁽⁵⁾ وقد تولّى إدارة فرع القدس (ويلهام ماركس، Wilham Marx) الألمانيّ،⁽⁶⁾ وأنشئ لتشجيع المصالح الاقتصادية الألمانية، وشراء الأراضي، وممارسة الأعمال المصرفية،⁽⁷⁾ فقد أسهم في شراء الأملاك غير المنقولة شراءً وفائياً، وفي رهن بعض عقارات السكّان، وتركزت معظم نشاطات (ماركس، Marx) في القدس وخارج أسوارها وفي القرى القريبة منها، وقد اعتمد عليه بعض الملاكين الألمان في إفراز الأراضي وتقسيمها، سواء أكان ذلك للبيع أم الاستخدام،⁽⁸⁾ وقد أوكله (أدولف فريدريك ابن الخواجة أدولف فاير) الألماني في قسمة وإفراز

(1) Mousa, Banking in Palestine during British Mandate and before, p1-15، أوين، روجر، تاريخ الموسوعة، القسم الثاني، المجلد الأول، ص 583.

(2) القدس سجلّ 398، (1324هـ / 1906م)، ص 99 - 100.

(3) صلاح، حنا، فلسطين، ص 70، عوض، عبد العزيز، مقدمة، ص 102، غنايم، زهير، لواء، ص 528 المدني، زياد، مدينة، ص 176، نعمة الله، إبراهيم، الرملة، ص 284، هنداي، سهام، التطور، ص 137، أوين، روجر، تاريخ الموسوعة، القسم الثاني، المجلد الأول، ص 583.

(4) Mousa, Banking in Palestine during British Mandate and before, p1-15

(5) هنداي، سهام، التطور، ص 137.

(6) القدس سجلّ 407، (1330هـ / 1912م)، ص 157، سجلّ 408، (1330هـ / 1912م)، ص 90، الشناق، محمود، العلاقات، ص 331.

(7) غنايم، زهير، لواء، ص 528.

(8) الوعري، نانلة، دور، ص 166-167، الشناق، محمود، العلاقات، ص 331.

أرضه، الواقعة خارج السور، جهة باب العامود، إلى أربعة أقسام، والتي بلغت مساحتها (21168) ذراعاً مربعاً، بموجب سندٍ نظاميٍّ نمرة (103) من دفتر (1328هـ).⁽¹⁾

وتولّى إدارته بعد ماركس (إرنست تودرشميسن، Ernst Toderschmissen) اللاتينيّ الألمانيّ،⁽²⁾ أمّا في يافا، فكان يديره (فلهم بن فابر، Wilhelm Faber)،⁽³⁾ وبحكم أنّ البنك الألمانيّ مؤسّسة اقتصادية، كان يقوم ببيع الأملاك إلى الأهالي، وإلى الأجانب المقيمين في القدس، وشراء الأراضي من الرعايا الألمان،⁽⁴⁾ ونشط البنك بشكل ملحوظ في عمليات شراء محاصيل البهارات خاصّةً، ومحاصيل المزارعين عامّةً،⁽⁵⁾ لكنّه أغلق في عام (1332هـ/ 1914م)؛ بسبب الخسائر الفادحة التي مُني بها نتيجة انهيار أسعار العقارات، بفعل اندلاع الحرب العالمية الأولى.⁽⁶⁾

4- بنك آل بركم (Bank Bergerheim)

تعود هذه المؤسّسة المصرفية إلى عائلة آل بركم الألمانية الشهيرة، حيث توجّهت إلى مدينة القدس عام (1267هـ/ 1851م) وافتتحت هذه المؤسّسة، وقد بلغت قيمة استثماراتها السنوية بـ 1.5 مليون فرنك، إلّا أنّ هذه المؤسّسة تزعر أمرها، بسبب الأوضاع السيئة والصعبة، التي عصفت بها، ومنها مقتل أحد أفرادها في قرية (أبو شوشة)، فتراجعت استثماراتهم بعد ذلك في هذه القرية، وحاولوا بيعها مراراً لليهود، لإنقاذ البنك من الإفلاس، لكنّ القانون العثمانيّ، في أواخر القرن التاسع عشر الميلاديّ، الذي منع بموجه التوجّه نحو بيع الأراضي لليهود وتمليكهم، ويفيد أحد التقارير الصادرة من القنصلية الألمانية بأنّ قائم مقامية يافا العثمانيّ، كان يحرض السكّان على عدم التنازل عن أراضيهم، ومعارضة آل بركم في بيع

(1) الشناق، محمود، العلاقات، ص 331.

(2) القدس سجلّ 393، (1319هـ/ 1901م)، ص 184-185.

(3) القدس سجلّ 400، (1325هـ/ 1907م)، ص 157.

(4) الشناق، محمود، العلاقات، ص 331.

(5) AGCJ, File 542, 9, (1909AD/1327AH), p54

(6) Mousa, Banking in Palestine during British Mandate and before, p1-15

ممتلكاتهم لليهود؛ كَوْن هذه العائلة بالأساس تنتمي للديانة اليهودية، قبل أن تحوّل ديانتها إلى المسيحية البروتستنتية، ما دفع البنك عام (1309-1310هـ/1891-1892م) إلى إعلان إفلاسه، وتولّى الخواجة (سرابيون بن مراد أفندي) طابق إفلاسه.⁽¹⁾

5: صندوق القدس الاقتصادي الألمانيّ

أسّس الألمان هذا الصندوق، وتقوم فكرته على فرض مبلغ من المال تقدّر قيمته 15 فرنكاً ألمانياً سنوياً على كلّ ألمانيّ صاحب ملك في فلسطين، وقد بلغ رأس مال الصندوق ما يقارب 700 ألف فرنك، وكانت المهمة الرئيسة له تقديم القروض للألمان، بشرط تقديم المقترض إثباتاً من المجلس البلديّ في المستعمرة المنتمي إليها يثبت اقتداره على سداد القرض، مع وجود كفيلين اثنين، ولعب هذا الصندوق دوراً مهماً في المستعمرات الألمانية، وكان يقدّم تسهيلات ماليةً متعدّدة للمقترضين.⁽²⁾

⁽¹⁾ Kark, Ruthe, The Bergheim family and the farm of Abo Shusha, p33, Mousa, Banking in Palestine during British Mandate and before, p1-15، أوين، روجر، تاريخ، الموسوعة، القسم الثاني، مجلد الاول، ص 569

⁽²⁾ التميمي، ولاية، ج1، ص238-239.

الفصل الخامس

الحياة الاجتماعيّة للجالية الألمانية في لواء القدس

التعليم

حرصت ألمانيا على الاهتمام بالجانب الثقافي، وأولته عناية خاصة، من خلال إنشاء المدارس ودعمها، كونها قاعدة لنشر أفكارهم الدينية، ومعتقداتهم التبشيرية،⁽¹⁾ وسعى كريستوف هوفمان، الزعيم الروحي لجمعية الهيكل عند وصوله إلى فلسطين إلى إنشاء مؤسسة تعليمية تهيئ التلاميذ من أبناء أعضاء الجمعية إلى الالتحاق بالتعليم الجامعي في ألمانيا، وكتب هوفمان إلى رفيقه بولوس في 28 أيار (1287هـ/ 1870م) يقول: "إنّ المدارس تشغل بالي ليلاً ونهاراً"، وكان همّه ينصبّ على تنشئة أجيال جديدة مؤمنة بالرسالة، التي كرّس نفسه لها.⁽²⁾

كما اهتمّت الإرساليات التبشيرية البروتستانتية الألمانية بإنشاء المدارس في القدس، وخصوصاً بعد حصول الطائفة على الاعتراف التام بها كطائفة مستقلة، حيث علّق الأسقف صموئيل غوبات (1262-1296هـ/ 1846-1879م) أنه يرى في المدارس خير وسيلة لتتوير الشرق، ودعم نهضته الدينية،⁽³⁾ وقد عدّ إنشاء المدارس من بين أكثر المشاريع الاجتماعية إلحاحاً بالنسبة لفرسان الهيكل في المستوطنات الجديدة، التي شيّدوها، رغم تكلفتها المرتفعة، وكانت هذه المدارس مفتوحة أمام الطلاب من مختلف الجنسيات والأديان،⁽⁴⁾ وكان هدف تلك المدارس هو بناء جيل مسيحي حقيقي، يساعد المسيحيين في البلاد المقدسة.⁽⁵⁾

تنوّعت المدراس الألمانية في اللواء، حيث اشتملت على نوعين، منها: المنفصلة، ومنها المختلطة، تركّز اهتمامها على التعليم الديني، المهني، الصناعي، والعلمي، وكانت هذه المدارس تأخذ طابعاً تبشيريّاً وتعليميّاً في آن واحد، إذ أشرف على بعضها عددٌ من المبشرين والقساوسة، وتنوّع الطلبة من ناحية جنسياتهم في المدرسة، فكان منهم الألمان والعثمانيون والروس وغيرهم، وهذا يدلّ على استفادة الطوائف المختلفة من المدارس الألمانية المنتشرة في اللواء،

(1) الوعري، نائلة، دور، ص 172-173.

(2) محافظة، علي، العلاقات، ص 115.

(3) الكلداني، حنا، المسيحية، ص 337.

(4) Footprints of the templers, p 12

(5) Jakob, islar, Der Deutsch, p102

وتباينت طوائف الطلبة وأديانهم ما بين بروتستانت ويهود، ومسيحيين لاتين وروم، أما بالنسبة لطاغم إدارة هذه المدارس، فكانوا في الدرجة الأولى من الألمان، يليهم العثمانيون، وكانت تبعية تلك المدارس إلى جمعيات المانية، لكن معظمها كان تابعاً إلى جمعية الألمان البروتستانت في برلين، وكانت مرخصة من الدولة العثمانية، وكانت غالبية أبنيتها ملكاً وليس إيجاراً، وتمنح شهادة ابتدائي ورشدي، أما بخصوص دوامها، فكان فترتين نهاراً ومساءً، وكانت هذه المدارس منتشرة في معظم مناطق اللواء مثل: يافا، والقدس، وسارونا، وبيت لحم، وبيت ساحور، والخليل،⁽¹⁾ وفي الفترة ما بين (1313-1314هـ/1895-1896 م) بلغ عدد مدارس اللواء إحدى وعشرين مدرسة في تخصصاتها المختلفة،⁽²⁾ والجدول الآتي يوضح أهم المدارس الألمانية في لواء القدس⁽³⁾:

الرقم	مكان المدرسة	تاريخ التأسيس	نوع البناء	الإدارة	مدير المدرسة
1	يافا	1287هـ/ 1870م	ملك	جمعية التامل (الهيكليين)	يوحنا أ فروتكر (Johanne Frutgier)
2	يافا	1308هـ/ 1890م	ملك	جمعية البروتستانت	شنلر هو (قسيس) الجمعية الإنجيلية في يافا (Schneller)
3	سارونا	1288هـ— 1871م	ملك	جمعية التامل	إيمانويل دريها (Emmanuel Drehema)
4	القدس	1290هـ— 1873م	ملك	الجمعية الإسرائيلية الألمانية بفراנקفورت	دكتور كرونهود (Kronhood)
5	القدس	1269هـ/ 1852م	ملك	راهبات الدياكونيس	دوروتيا رينم (Dorotia Renem)

(1) AGCJ,File 427.8,(1887-1916AD/1304-1334AH),p77-82

(2) بيات، فاضل، سياسة الدولة العثمانية تجاه القدس، القدس، مؤتمر، ص 440.

(3) AGCJ,File 427,8,(1887-1916AD/1304-1334AH),p79-87

6	القدس	1288هـ- 1871م	ملك	جمعية البروتستانت الألمانية	بوكر (Poker)
7	القدس	1277هـ- 1260م	ملك	الجمعية الإنجيلية في كولونيا	ثيودور شنلر (Theodore Schenler)
8	القدس	1309هـ- 1891م	ملك	جمعية أوفوتي كاثوليك دولاتر سانت	أرشميدت (Archimede)
9	القدس	1295هـ- 1878م	ملك	جمعية التامبل	دورهر (Durhr)
10	بيت لحم	1273هـ- 1856م	ملك	جمعية القدس الألمانية البروتستانتية في برلين	القسيس فلتها (Filltha)
11	بيت لحم	1316هـ- 1898م	ملك	جمعية القدس الألمانية البروتستانتية في برلين	القسيس فلتها (Filltha)
12	بيت ساحور	1319هـ- 1901م	ملك	جمعية القدس الألمانية البروتستانتية في برلين	القسيس فلتها (Filltha)
13	الخليل	1308هـ- 1890م	إيجار	جمعية القدس الألمانية البروتستانتية في برلين	ضاهر بواشي (Dahir Bawashi)
14	بيت جالا	1273هـ- 1856م	ملك	جمعية القدس البروتستانتية في برلين	القسيس فلتها (Filltha)

المدارس الألمانية في مدينة القدس

بلغ عدد مدارس الجمعيات الألمانية في القدس ما بين عامي (1267-1295هـ/1851-1878 م) خمس مدارس، يدرس فيها 308 طُلاب، منهم 222 تلميذاً، و96 تلميذة، و30 معلماً⁽¹⁾ وعند حلول عام (1300هـ/1882م) ظلَّ عددها كما هو خمس مدارس، بينما ارتفع عدد التلاميذ إلى 239، وعدد التلميذات إلى 110، وبقي عدد المعلمين ثابتاً 30،⁽²⁾ ومن أبرز تلك المدارس:

(1) لندمان، شمعون، إحياء، ص 95.

(2) أبو جابر، رؤوف، الوجود، ص 1.85.

أولاً: مدرسة دار الأيتام السورية

تعدّ أهمّ مدارس اللواء، تتبع المجمع اللوثرّي العربيّ الألمانيّ، تقع إلى الشمال الغربيّ من مدينة القدس،⁽¹⁾ في منطقة نائية، لكنّ المنطقة ازدهرت مع قدوم الألمان، وتشبيدهم للمدرسة عام (1277هـ/1860م)، فانتشر بها العمران، واحتوت المدرسة على دور للمعلمين والموظفين، ومشاعل للطلبة، وشيّدت فيها الأبنية الجميلة، وانتشرت حولها الحقول والكروم،⁽²⁾ وقد أنشئت بدعم حكومة (بروسيا- ألمانيا)، وبشكل خاصّ من المساعدات التي كانت ترسل إليها من ألمانيا، وأخذت المدرسة اسمها من أول مؤسّسيها، فدعيت بمدرسة شنلر (Schneller).⁽³⁾

وتولّى الخواجة يوحنا يعقوب شنلر ابن كرسيتيان (Johanne Jacob Shneller) الألمانيّ،⁽⁴⁾ المولود في 15 كانون الثاني سنة (1236هـ/1820م) في قرية اربفتغن من أعمال روتمبرج والملقب (بأبي الأيتام) إدارتها،⁽⁵⁾ وكان لدراسته الدينية والتاريخية أثر في حياته، حيث عمل معلماً في مدرسة تبشيرية في سويسرا مدة أربع عشرة سنة، مارس فيها أعمال النقشّ والتعبّد، وسعى خلالها إلى تأسيس الجمعيات الدينية، وفي سنة (1271هـ/1854م) عينته جمعية المرسلين رئيساً لدار الإخوة في الأرض المقدسة (فلسطين)، وكان عضواً في هذه الجمعية، وعند قدومهم إلى فلسطين استقبلته الطائفة الإنجيلية الألمانية وأنزلوهم في "دار الإخوة"، قرب حيّ النصارى، وعُهِدَ إليهم تنظيم شؤون هذه الدار، والاهتمام بتمرين الإخوة المذكورين على التبشير؛ ليتمكنوا من السفر بعد سنة أو سنتين إلى أفريقيا للقيام بهذه المهمة، ولم يكن شنلر والإخوة الستة يتقاضون رواتب، لكنّ الجمعية ضمنت لهم ما يلزمهم من النفقة وقت

(1) العارف، عارف، الفصل، ص538، و، المسيحية، ص 176، صبري، بهجت، لواء، ص 316، أوين، روجر، تاريخ، الموسوعة، القسم الثاني، المجلد الأول، ص 569.

(2) بيدس، خليل، النفائس العصرية، ج12، ص 505.

(3) صلاح، حنا، فلسطين، ص 104، العارف، عارف، المسيحية، ص 176، رفيق، فرح، تاريخ، ج1، ص 141، أبو جابر، رؤوف، الوجود، ص 71، المدني، زياد، مدينة، ص248، القضاة، أحمد، النصارى، ص 263-264.

(4) القدس سجلّ 379، (1307هـ/1890م)، ص 17، سجلّ 388، (1313هـ/1895م)، ص 23-24، الدباغ، بلادنا، ج10، ق2، ص 140، المدني، زياد، مدينة، ص248.

(5) بيدس، خليل، النفائس العصرية، ج12، ص 505-507.

الشدة، وقد اختصّ رفاق شنلر بمهن مختلفة منها: الحدادة، والهندسة، والنجارة، وغير ذلك، وبعد ذلك وفّرت لهم الآلات، وأخذوا يشتغلون بها، وأظهروا من البراعة والتفنّن في الإجابة، ما جعل محبّتهم تعلق في قلوب الناس، وأطلق الألسنة بالثناء عليهم.⁽¹⁾

وفي شهر تشرين الأول سنة (1272هـ/1855م) شرع شنلر في شراء قطعة أرضٍ خارج أسوار القدس، في الجهة الشمالية الغربية منها، وبنى عليها بيتاً له ولزوجته، وكانت حالتها حينئذٍ بسيطةً، وتصف المصادر المنطقة بأنها نائيةٌ ومخيفةٌ ومليئةٌ بالحيوانات المفترسة، واللصوص، وقطّاع الطرق، وفي عام (1273هـ/1856م)، ولد له تيودور (تيودور)، الذي تولّى إدارة المدرسة بعد وفاة والده،⁽²⁾ وبيّنت القنصلية الألمانية أنّ (الخواجة يوحنا ابن يعقوب شنلر) الألمانيّ، كان متصرفاً بجميع أرض (خربة بدر) الأميرية، من أراضي قرية لفتا، منذ عام (1279هـ/1862م)، البالغة مساحتها (19522) ذراعاً، قد غرسها بأشجار متنوعةً، وأحدث فيها آباراً للماء، وبنى داراً كبيرةً احتوت على (125) أوضةً سفليةً وعلويةً، لتكون معهداً لتربية وتعليم الأيتام السوريين، وبقي مشرفاً عليها مدّة أربعين عاماً، وحين توفيّ انتقلت إلى ابنه (تيودور) بمقتضى الأمر الصادر من نظارة الداخلية الجليلية، بتاريخ (1318هـ/1900م).⁽³⁾

وبالعودة إلى تفاصيل بناء دار الأيتام السورية، فقد بدأ شنلر في بنائها عام (1277هـ/1860م)، حيث سافر في تلك السنة إلى جهات بيروت وصيدا، لجلب الأطفال الأيتام، الذين خلّفهم الفتنة الأهلية في جبل لبنان، حيث تمكّن بعد عناءٍ طويلٍ من جمع تسعة أولادٍ أيتامٍ، فعاد بهم إلى داره في القدس، وكانت بداية دار الأيتام السورية،⁽⁴⁾ وبلغ عدد الأولاد الأيتام في مدرسة شنلر، في سنتها الأولى 41 ولداً، وبلغ دخلها لهذه السنة خمسةً وثلاثين ألف فرنك، وكانت المساعدات المالية ترد إليها من روتمبرج وبادن، وجمعية المرسلين في كريشونا وبازل

(1) سنو، عبد الرؤوف، المصالح، ص 63-64، بيدس، خليل، النفائس العصرية، ج12، ص 506-510.

(2) رفيق، فرح، تاريخ، ج1، ص141، بيدس، خليل، النفائس العصرية، ج12، ص 509-510.

(3) الشناق، محمود، العلاقات، ص 333.

(4) الدباغ، بلادنا، ج10، ق2، ص 140، محافظة، علي، العلاقات، ص 55 رفيق، فرح، تاريخ، ج1، ص141، سنو، عبد الرؤوف، المصالح، ص65، هندواي، سهام، التطور، ص180، الراهب، متري، ميلاد، ص 18، بيدس، خليل، النفائس العصرية، ج12، ص 510.

بسوبرا، وقد حرص شنلر على ديمومة المدرسة، فكلّما توفّر لديه فائضٌ من الأموال ابتاع أرضاً جديدةً، أو زاد في بناء المدرسة، ما أسهم في ازدياد أعداد الطلبة فيها،⁽¹⁾ وكان الأطفال ينامون على مساند من قشٍّ، يتّسع كلٌّ منها لأربعة أطفالٍ، ويتولّى شنلر بنفسه تعليمهم القراءة والكتابة باللغتين العربية والألمانية، بينما يقوم رهبان آخرون بتدريبهم على بعض الحرف اليدوية،⁽²⁾ كالحدادة، والخرطة، والأفران، وقام شنلر بإرسال بعض الطلبة المتفوقين إلى ألمانيا لتعلّم المهن.⁽³⁾

وفي أواخر عام (1306هـ/1888م) رأى شنلر أنّه من الضروريّ انتخاب عمدةٍ في بلاد الغرب، تأخذ على عاتقها الاهتمام بشؤون دار الأيتام السورية وإدارتها؛ لضمان بقائها واستمرارها، ومع حلول عام (1307هـ/1889م) أصبح للمدرسة عمدةٌ، فدُعيت "عمدة دار الأيتام السورية"، واتّخذت شتوتغارت مركزاً لها، ثمّ نقلت إلى كولونيا، وابتاعت من شنلر الدار بجميع أقسامها ومحتوياتها بمبلغ سبعين ألف فرنك.⁽⁴⁾

توفي شنلر في القدس عام (1314هـ/1896 م)، ودفن بالمقبرة الإنجيلية في جبل صهيون، ثمّ تولّى إدارتها ابنه القسّ (ثيودور شنلر Theodore Shneller)،⁽⁵⁾ الذي تخرّج من جامعة توبنغن في الفلسفة واللاهوت،⁽⁶⁾ واتّسع نطاق المدرسة في عهده، وكثرت دورها، ومزارعها، وأملكها في القدس وخارجها،⁽⁷⁾ وتولّت الرابطة الإنجيلية، التي أنشأها شنلر المؤسّس عام (1307هـ/1889 م) في كولون بألمانيا، تمويلَ المدرسة، والإشرافَ على تطويرها، فغدّت المدرسة مع نهاية القرن التاسع عشر الميلاديّ أكبر مؤسّسة تعليميّة إنجيليّة في

(1) بيدس، خليل، النفائس العصرية، ج12، ص 510.

(2) محافظة، علي، العلاقات، ص56، خلف، تيسير، وصف، ص.171

(3) الدجاني، أحمد، التعليم، ص 206، سنو، عبد الرؤوف، المصالح، ص.67.

(4) بيدس، خليل، النفائس العصرية، ج12، ص 511.

(5) القدس، سجلّ 395، (1318هـ/1900م)، ص 85، العارف، عارف، المسيحية، ص 176، محافظة، علي، العلاقات، ص56، أبو جابر، رؤوف، الوجود، ص 71، سنو، عبد الرؤوف، المصالح، ص 79، بيدس، خليل، النفائس العصرية، ج12، ص 509-513.

(6) بيدس، خليل، النفائس العصرية، ج12، ص 514.

(7) بيدس، خليل، النفائس العصرية، ج12، ص 514.

فلسطين،⁽¹⁾ كما أسهمت هذه الجمعية في تسديد ديون مدرسة دار الأيتام، ووضعت يدها على جميع ممتلكات الدار، وسارت على طريق شنلر في الاستعمار والتبشير.⁽²⁾

وكان شنلر قد خطط في حياته لإقامة مستوطنتين: الأولى زراعية، والثانية حرفية تجارية؛ ليستوطن بها خريجو الدار بعد أن يتزوجوا من فتيات بروتستانت من خريجات مدرسة طاليطا قومي، التابعة لشماسات جمعية الكيزرزفرت، فكانت أنظاره تتجه نحو الاستيطان التقني والاقتصادي، وليس الديني فقط، وبذلك استغل شنلر أزمة الفلاحين في فلسطين، بسبب القحط والجفاف، فأخذ يبتاع الأراضي منهم بأبخص الأسعار، وبلغت الأراضي التي امتلكها شنلر، أو ورثته في القدس، ما يعادل 55 هكتاراً، دفع ثمنها 113371 ماركاً، بعد ذلك بدأ عام (1295هـ/1878م) محاولاته لشراء أراضٍ بالرملة، كما حاول إنشاء مستعمرة إنجيلية لخريجي دار الأيتام، وبعد بحثٍ طويلٍ استقرَّ على قطعة أرضٍ بالقرب من الرملة، غير أن السلطات العثمانية لم توافق له على ذلك، وبعد محاولاتٍ دامت سنةً كاملةً، وبعد تدخل القيصر الألماني فيلهلم الأول، وافق الباب العالي على تأجير شنلر قطعةً من الأرض، مساحتها 585 هكتاراً، أي ما يقارب (6000) دونم، مدة أربعين سنةً، مقابل أن تدفع دار الأيتام مبلغاً يقدر بـ (65000) قرشٍ من حاصلات الأرض نفسها، وفي عام (1307هـ/1889م) افتتحت المدرسة في بير سالم،⁽³⁾ وفي عام (1324هـ/1906م) أضيف إليها فرعٌ زراعيٌّ كان والده ألحق بالمدرسة مزرعة بير القريبة من الرملة، وأقام فيها عام (1330هـ/1912م) مدرسةً زراعيةً بلغ عدد طلبتها ثلاثين طالباً، وأتبعها بمزرعةٍ أخرى في الخيمة*، ثم اشترى أرضاً في الناصرة ليشيد فيها مدرسة باسم مدرسة الأيتام الجليلية.⁽⁴⁾

(1) محافظة، علي، العلاقات، ص56-57، كلداني، حنا، المسيحية، ص 354.

(2) هنداي، سهام، التطور، ص181.

(3) محافظة، علي، العلاقات، ص56، الشناق، محمود، العلاقات، ص 335، سنو، عبد الرؤوف، المصالح، ص 69-72، هنداي، سهام، التطور، ص 180-181.

* الخيمة: قرية تقع إلى الجنوب الغربي من مدينة الرملة، ترتفع (100م) عن سطح البحر، تشغل زراعة الحبوب مساحة واسعة من أرضها، وتعتمد على الأمطار وبعض الآبار القليلة، دمّرت في عام 1948م، وطرد أهلها منها. شراب، محمد، معجم، ص 366.

(4) العارف، عارف، المسيحية، ص176، محافظة، علي، العلاقات، ص57، رفيق، فرح، تاريخ، ج1، ص142، بيدس، خليل، النفائس العصرية، ج12، ص 514.

واتّجه نشاطها نحو المزروعات الجنائنية، والشجرية؛ لأنّ المستوطنة لم تكن تعاني نقصاً في المياه، وفي السنوات الأولى واجهتهم بعض المشكلات، التي تمّ التغلّب عليها من خلال اقتلاع الأشواك، والأعشاب، ومكافحة الجراد، وحماية المزروعات من رياح الخماسين، إضافةً إلى الكلفة الباهظة لعملية الميكنة، وأخيراً مشكلات الريّ وحفر الآبار.⁽¹⁾

وكان شنلر قد شرع بإقامة محلّ لتعليم العميان صبياناً وإناثاً العلوم والصناعة، وقد أكملها ابنه القسّ (ثيودور)، وقد احتوت على قسم ثانويّ، وآخر لتدريب المعلمين،⁽²⁾ وقد أقيمت مدرسة العميان عام (1329هـ/1911م) بمساعدة (كريستوف فون مونخ، Christoph von Munch) أحد نبلاء الألمان، الذي وهب لها كافة ممتلكاته، وبلغ عدد الأيتام الذين استفادوا منها نحو ألفٍ وأربعمئةٍ وثلاثةٍ وثمانين يتيماً، منهم 68 مكفوفاً، و44 مكفوفةً، تعلّموا القراءة والكتابة بالحروف الناتئة، وصناعة الحصر، والمكانس، والفراشي، والقفّ،⁽³⁾ وهي الأولى التي عُيّنَت بالمكفوفين في فلسطين.⁽⁴⁾

وقد تعرّضت مدرسة شنلر عام (1327هـ/1909م) لحريق،⁽⁵⁾ وفي عام (1328هـ/1910م) احتُفل بيوبيلها الذهبيّ، وأقيم بهذه المناسبة احتفالٌ ضخمٌ بالقدس، حضره (فرتس إينل) نجل الإمبراطور الألمانيّ، ورجال حاشيته، وجمعٌ غفيرٌ من النزلاء الألمان، وأعيانُ القدس وأدباؤها.⁽⁶⁾

كما أسّس فيها مطبعة عرفت بمطبعة دار الأيتام السورية،⁽⁷⁾ تميّزت بحدائث أدواتها ومعدّاتها، وما جهّزت به من الحروف الإفرنجية والعربية، وأدوات التجليد، والخياطة، والكبس، والقطع، وطابعين كبيرين، وثلاثة طابع صغيرة، كلّها تدار بالبخار، ويُذكر أنّ معظم دول

(1) سنو، عبد الرؤوف، المصالح، ص 72.

(2) العارف، عارف، المسيحية، ص 176، بيدس، خليل، النفائس العصرية، ج 12، ص 511-514.

(3) العارف، عارف، المسيحية، ص 177، محافظة، علي، العلاقات، ص 57.

(4) سنو، عبد الرؤوف، المصالح، ص 78.

(5) جوهريّة، القدس، ج 1، ص 126.

(6) بيدس، خليل، النفائس العصرية، ج 12، ص 514.

(7) المدني، زياد، مدينة، ص 267، بيدس، خليل، النفائس العصرية، ج 12، ص 516.

الجوار تردّدت عليها للطباعة، ومن أشهر المجلّات التي طُبعت فيها مجلّة النفائس العصرية،⁽¹⁾ إضافةً إلى إصدارها عام (1303هـ / 1885 م) دورية "رسول من صهيون، بالألمانية، لنقل أخبار الدار والأرض المقدسة إلى الناطقين بالألمانية،⁽²⁾ وكان في المدرسة فانوسٌ سحريٌّ (مكبّر صور) يعرض صورةً مكبّرةً على الحائط على شاشةٍ ملوّنةٍ بالألوان الطبيعية، ولكن دون حركة، وكانت تشرف عليه إدارة مدرسة شنلر، ويستخدم لعرض الأماكن الأثرية.⁽³⁾

ضمّت المدرسة منذ بداياتها الذكور والإناث، وكان طلابها من السوريين؛ لذا سمّيت بذلك، وبعد ثورة الأرمن عام (1307هـ / 1889 م) فتحت أبوابها لهم،⁽⁴⁾ وتكوّنت المدرسة من أربعة فروع: فرع للتعليم الابتدائي، وفرع لتدريب المعلمين، وفرع للصناعة، وفرع للتبشير، فقد جاء في تقارير المدرسة أنّ غاية هذه المؤسسة الخيرية هي نشر العقيدة الإنجيلية بين سكّان الأرض المقدسة"، وكانت ما بين عام (1277هـ / 1860 م) حتى عام (1307هـ / 1889 م) تدار بأدمغةٍ ألمانيةٍ.⁽⁵⁾

كانت دار الأيتام السورية أوّل مدرسةٍ صناعيةٍ في البلاد،⁽⁶⁾ وهدفت إلى تعليم الأيتام الذين ليس لهم من يعيّلهم، وتركّز التعليم فيها في السنوات الأولى على إعطاء دروسٍ في الدين، وتعليم القراءة والكتابة باللغتين الألمانية والعربية، وجرى تطويرٌ على مناهج التدريس فيها، فأدخلت موادّ جديدةً: كالحساب، والخطّ، والأنشيد، في الصفوف الأولى، أمّا طلبة الصفوف المتقدّمة، فكانوا يدرسون الإنجليزية، والجغرافيا، والتاريخ، ونصوصاً باللغتين العربية والألمانية، أمّا المتفوّقون من التلاميذ، فكانوا يتلقّون تدريباً خاصاً ليصبحوا نواة الهيئة التعليمية

(1) بيدس، خليل، النفائس العصرية، ج12، ص 516.

(2) محافظة، علي، العلاقات، ص57.

(3) جوهريّة، القدس، ج1، ص 130.

(4) العارف، عارف، المسيحية، ص176، محافظة، علي، العلاقات، ص57، بيدس، خليل، النفائس العصرية، ج12، ص 513.

(5) العارف، عارف، المسيحية، ص177.

(6) صلاح، حنا، فلسطين، ص 104، المدني، زياد، مدينة، ص 248.

في المستقبل،⁽¹⁾ وحرص شنلر على تأمين الطلاب من خلال إيجاد عمل مستقل لهم، فرفع سنّ التدريس من 14 سنة إلى 20 سنة،⁽²⁾ ليتمكنوا من تعلّم مهنة، تؤمّن حياتهم، وأنشأ عدداً من المشاغل الحرفية لإنتاج: الخياطة، والنجارة، والحدادة، وتجليد الكتب، والطباعة، وصناعة الأحذية، والخراطة، وصناعة الفخار، والخزف، والقرميد،⁽³⁾ وبلغ عدد الطلاب فيها عام (1314هـ / 1896م) 218 تلميذاً، وعدد العاملين فيها (إدريين، ومعلمين، وحرفيين) 65 موظفاً،⁽⁴⁾ وكان على رأسهم المعلم جرجيس أفندي ابن يوسف منصور،⁽⁵⁾ والمعلم بشارة بن قسطندي يوسف، وكلاهما من القدس، من طائفة البروتستانت.⁽⁶⁾

ثانياً: مدرسة طاليطا قومي* للبنات (Tilitha Kumi the Girls)⁽⁷⁾

ذكرت في سجلّات محكمة القدس الشرعيّة باسم مدرسة (شلوطة)، تقع خارج القدس في الجهة الغربية، من باب الخليل على طريق يافا،⁽⁸⁾ بدأت مدرسة صغيرة عام (1267هـ /

(1) العارف، عارف، المسيحية، ص 177، ابو جابر، رؤوف، الوجود، ص 71، القضاة، احمد، النصارى، ص 263-264.

(2) العارف، عارف، المسيحية، ص 177، محافظة، علي، العلاقات، ص 5، ابو جابر، رؤوف، الوجود، ص 71، القضاة، احمد، النصارى، ص 263-264.

(3) العارف، عارف، المسيحية، ص 177، محافظة، علي، العلاقات، ص 56، رفيق، فرح، تاريخ، ج 1، ص 142، ابو جابر، رؤوف، الوجود، ص 71، القضاة، احمد، النصارى، ص 263-264، خلف، تيسير، وصف، ص 171، هنداوي، سهام، التطور، ص 181، بيدس، خليل، النفائس العصرية، ج 12، ص 511.

(4) القضاة، احمد، النصارى، ص 263-264.

(5) القدس سجل 404، (1323هـ / 1905م)، ص 89، المدني، زياد، مدينة، ص 248.

(6) القدس سجل 404، (1323هـ / 1905م)، ص 89.

* طاليتا قومي: كلمتان سريانيّتان، وردتا في الإنجيل، وتعنيان: يا صبية قومي، فقد جاء في إنجيل مرقس (الإصحاح الخامس: 41) وأمسك بيد الصبية وقال لها طليطا قومي، الذي تفسيره يا صبية لك أقول قومي، وذلك بعدما أعاد فتاة ميتة إلى الحياة، ودلالتها إلى مساعدة المرأة العربية على النهوض الاجتماعيّ. محافظة، علي، العلاقات، ص 62، رفيق، فرح، تاريخ، ج 1، ص 139، سنو، عبد الرؤوف، المصالح، ص 94.

(7) صلاح، حنا، فلسطين، ص 104، العارف، عارف، المسيحية، ص 178، صبري، بهجت، لواء، ص 315، لنسيمان، شمعون، إحياء، ص 94، المدني، زياد، مدينة، ص 248، القضاة، أحمد، النصارى، ص 263-264، سنو، عبد الرؤوف، المصالح، ص 93.

(8) القدس سجل 362، (1290هـ / 1873م)، ص 101، سجل 368، (1296هـ / 1879م)، ص 238، سجل 379، (1308هـ / 1891م)، ص 188، ص 398، (1324هـ / 1906م)، ص 130، سجل 400، (1324هـ / 1906م)، ص 6، العارف، عارف، المفصل، ص 538، محافظة، علي، العلاقات، ص 62، بنورة، توما، تاريخ، ص 194، المدني، زياد، مدينة، ص 248.

1851م)، وكانت ملجأً لليتيمات، ثمّ توسّعت بعد أن اشترى ثيودور فليدندر عام (1273هـ/ 1856م) قطعة أرض بمساعدة الملكة إليزابيث، ملكة (بروسيا)، وجمعية شماسات الكيزر فرت، وعندما زار الإمبراطور الألمانيّ فلسطين، تبرّع بمبلغ من المال، ساعد على توسّعها، وبعد عشر سنوات تمّ تدشينها تحت اسم طاليطا قومي.⁽¹⁾

كان الهدف من تأسيسها خدمة فتيات الجماعة الإنجيلية الألمانية، واليهود المنتصرين، ثمّ تحولت إلى مؤسسة تُعنى بتعليم المرأة العربية في فلسطين،⁽²⁾ وتسلمت إدارتها الراهبة شارلوطة بليتس أو بلز (Charlotte Pilz)،⁽³⁾ وبعد وفاتها عام (1322هـ/ 1904م) استلمت إدارتها الشماسة دوروثيا راش، حتى وفاتها عام (1337هـ/ 1918م).⁽⁴⁾

وانقسم التعليم فيها إلى ثلاثة فروع: الأول لتعليم اللغات الإنجليزية، والألمانية، والعربية، والجغرافيا، والتاريخ، والعلوم الطبيعية، والثاني: للأشغال اليدوية، والثالث: للأشغال المنزلية،⁽⁵⁾ وبلغ عدد طالباتها عام (1316هـ/ 1898م) 117 تلميذة، منهنّ سبع عشرة تلميذة أرمنية، وكانت المدرسة تتقاضى من أولياء أمور التلميذات مبلغاً سنوياً يتراوح بين عشرين إلى ثلاثين فرنكاً فرنسياً،⁽⁶⁾ وضمت المدرسة بنات من الطوائف الأخرى، ثمّ ارتفع عدد الطالبات عام (1321هـ/ 1903م) ليصل إلى 523 فتاة، منهن 306 أرثوذكسيات، و92 بروتستانتات، و19 يهوديات، و13 أرمنية، و8 قبطيات، و3 حبشيات، و55 فتاة مسلمة،⁽⁷⁾ وأضيفت للمدرسة عام (1320هـ/ 1902م) حديقة للأطفال لمن هم دون السنّ المدرسيّة، في دارٍ مستأجرة، وفي عام

(1) العارف، عارف، المسيحية، ص 178، صبري، بهجت، لواء، ص 315، محافظة، علي، العلاقات، ص 62-63، بنورة، توما، تاريخ، ص 194، كلداني، حنا، المسيحية، ص 349-354، رفيق، فرح، تاريخ، ج 1، ص 139، المهدي، عبلة، القدس، ص 386، أبو جابر، رؤوف، الوجود، ص 71، القضاة، أحمد، النصارى، ص 263-264، المدني، زياد، مدينة، ص 248، سنو، عبد الرؤوف، المصالح، ص 94-95.

(2) سنو، عبد الرؤوف، المصالح، ص 95.

(3) العارف، عارف، المسيحية، ص 178، محافظة، علي، العلاقات، ص 62-63، كلداني، حنا، المسيحية، ص 349، رفيق، فرح، تاريخ، ج 1، ص 139.

(4) رفيق، فرح، تاريخ، ج 1، ص 139.

(5) القضاة، أحمد، النصارى، ص 263-264.

(6) محافظة، علي، العلاقات، ص 63، القضاة، أحمد، النصارى، ص 263-264.

(7) القضاة، أحمد، النصارى، ص 263-264.

(1322هـ / 1904م) افتتحت صفوفٌ لتدريب المعلمات العربيات الإنجليات، وللتدبير المنزلي، ولفنّ الخياطة، وعرفت المدرسة بجمال بنائها، وحدائقها المنسقة، وبنظامها الصارم،⁽¹⁾ وفي عام (1335هـ / 1917 م) استولى عليها الجيش البريطاني، لكنها استمرت في تدريب الطالبات، بعد تدخل الجنرال اللنبي.⁽²⁾

ثالثاً: مدرسة شميدت للبنات

أسستها "الجمعية الألمانية الكاثوليكية للأرض المقدسة"،⁽³⁾ عام (1304هـ / 1886م)، واتخذت اسم مدرسة شميدت (Schmidt Schule)، نسبةً إلى أول مدير لها الأب العازري فيلهلم شميدت، وتطوّرت المدرسة بين عامي (1326-1337هـ / 1908-1918م)، بضمّ مبنى النزل الألماني القديم الواقع أمام باب يافا لها، وبلغ عدد التلميذات فيها عام (1325هـ / 1907م) ثمانين تلميذة، وارتفع إلى مئةٍ وعشرين تلميذة عام (1332هـ / 1914 م)، كانت تدرّس الطالبات الأشغال اليدوية، والرسم، والعلوم النظرية،⁽⁴⁾ علاوةً على تعليم الطالبات وتدريبهن على الشؤون المنزلية؛ للوصول إلى المستوى الثانوي العالي، وفي عام (1364هـ / 1945 م) تجاوز عدد الطالبات أربعمئة وخمسين طالبة، قسمٌ منهن كان يقيم في القسم الداخلي التابع للمدرسة.⁽⁵⁾

رابعاً: مدرسة ترازيا

أسستها ترازيا سكس الألمانية حوالي سنة (1288هـ / 1871 م)، تقع إلى الغرب من بركة مامبلا (شمال غرب باب الخليل)، بعد دير راهبات القديس شارل بوروميوس، وكان المجمع الألماني يتولّى الإنفاق عليها، لكنها أغلقت مع الزمن.⁽⁶⁾

(1) رفيق، فرح، تاريخ، ج1، ص 139-140.

(2) رفيق، فرح، تاريخ، ج1، ص 140.

(3) العارف، عارف، المسيحية، ص186، محافظة، علي، العلاقات، ص84، أبو جابر، رؤوف، الوجود، ص 72.

(4) محافظة، علي، العلاقات، ص84.

(5) العارف، عارف، المسيحية، ص186، أبو جابر، رؤوف، الوجود، ص 72.

(6) العارف، عارف، المفصل، ص538، و، المسيحية، ص 179.

خامساً: المدرسة اللوثرية

أسسها اللوثريون في القدس عام (1290هـ/1873م)، وهي مدرسة ابتدائية، تقع في شارع الأنبياء، وظلت قائمة حتى أوائل الاحتلال البريطاني (1337هـ/1918م)، وهناك مدرسة ثانوية في ذات المكان، أسست عام (1323هـ/1905م)، وبقيت حتى أوائل الاحتلال الإنجليزي كذلك، (1337هـ/1918م)، وكان للعرب اللوثرين مدرسة ابتدائية في البقعة، المعروفة بالمارستان، أسسها القائمون على دار الأيتام السورية (1320-1335هـ/1902-1917م).⁽¹⁾

سادساً: مدرسة الدباغة

أسسها الألمان بجانب كنيسة الألمان داخل سور القدس، تلقى فيها الطلاب الدراسة الابتدائية، وشهدت إقبالا كبيرا من أبناء طائفة الروم العرب (المسيحيين العرب من الطائفة الأرثوذكسية)، كانت تعلم اللغتين: العربية والألمانية، والرياضيات، والتعليم الديني، وكانت تسير ضمن خطة البروتستانت، وبقيت هذه المدرسة حتى عام (1327هـ/1909م).⁽²⁾

المدارس الألمانية في بيت لحم، وبيت ساحور

أولاً: مدرسة البنين والبنات في بيت لحم

تأسست عام (1281هـ/1864م) تولّى إدارتها صموئيل موللر (Samuel Muller)* عام (1288هـ/1871م)،⁽³⁾ وتولّى هندستها كونراد شيك (Konrad Schick)، حيث بلغ

⁽¹⁾ العارف، عارف، المسيحية، ص175.

⁽²⁾ جوهريّة، القدس، ج1، ص 20-21.

* صموئيل موللر: ولد عام 1823 في مقاطعة Baden بالغابة السوداء، كان والده مدرّساً، أمّا صموئيل نفسه، فقد تعلّم صناعة الساعات كمهنة أولى، وأتقن تعليم هذه المهنة، تعلّم اللغة الإنجليزية، على يد شبتلر، الذي عزم على أن يرسله في مهمة تبشيرية إلى شرق الهند بعد اتقانه اللغة، إلا أنه في نهاية المطاف أرسله إلى فلسطين عام 1848م. وفي عام 1884م ترك صموئيل موللر فلسطين، بعد خدمة دامت 36 سنة، بعد أن أصابته حالة اكتئاب مرضية، توفي بعدها عام 1891م. الراهب، متري، ميلاد، ص 20-29.

⁽³⁾ كلداني، حنا، المسيحية، ص 355، القضاة، أحمد، النصاري، ص 263-264، الراهب، متري، ميلاد، ص 20-23.

طولها 64 قدماً، وعرضها 22.5، وارتفاعها 34 قدماً، ويتألف المبنى من طابقين، في كل طابق عقدٌ عربيٌّ، اشتمل الطابق الأرضي على مكانٍ للعبادة (Chapel)، له بابٌ خاصٌّ،⁽¹⁾ وبعدها أسست جمعية بيأت المقدس، مدرسة للبنات في كانون الثاني من عام (1281هـ/ 1864م)، وأوكلت إدارة شؤونها في بيت لحم للمبشر صموئيل موللر (Samuel Muller)، اهتمت المدرسة بتدريب الفتيات على فنون الخياطة والتطريز،⁽²⁾ وأكد هذا الاهتمام طلبُ القسّيس لودفيك شنلر (Ludwig Schneller)* من متصرفية لواء القدس الحصول على رخصة بناء دورٍ للمعلمين في بيت لحم، في محلّة الفواغرة، والمقيّدة باسم القنصلية الألمانية، بموجب سندٍ خاقانيٍّ مؤرّخ في 3 ربيع الآخر سنة (1302هـ/ 1884م) وهو ما سارعت القنصلية إلى توجيه الخطاب المتكرّر إلى المتصرفية للحصول على الموافقة،⁽³⁾ فحصلوا على الموافقة ببناء المدرسة، وسكن للمعلمين عام (1303هـ/ 1885م).⁽⁴⁾

ثانياً: دار الأيتام في بيت لحم

أنشأتها جمعية بيت المقدس في بيت لحم، لإيواء أطفال الأرمن، بعد مذابح الأرمن في تركيا عام (1314هـ/ 1896م)، وشيّدت في الجنوب الغربي من بيت لحم، على قاعدة جبل الظاهر، من الشمال الشرقي منها، دشّنها الإمبراطور الألمانيّ فيلهلم أثناء زيارته مع زوجته إلى بيت لحم عام (1316هـ/ 1898م)،⁽⁵⁾ وأنشئت دار الأيتام على أرضٍ موقوفةٍ من أراضي

(1) الراهب، متري، ميلاد، ص 24.

(2) كلداني، حنا، المسيحية، ص 355، المدني، زياد، مدينة، ص 249، القضاة، أحمد، النصاري، ص 263-264، سنو، عبد الرؤوف، المصالح، ص 200-202، الراهب، متري، ميلاد، ص 28.

* القس لودفيك شنلر (1884-1888م): هو ابن مؤسس دار الأيتام السورية، يوحنا لودفيك شنلر، من مواليد القدس عام 1858م، وكان قد درس اللاهوت في كلٍّ من توبنجن وبرلين، قبل أن يصبح قسّيسياً، ويرسل إلى بيت لحم، وهو أول قسّ إنجيليٍّ في بيت لحم، وهو الذي بدأ التبشير والخدمة الدينية فيها، وكان يتلقّى الدعم من الجمعية الإنجيلية. بنورة، توما، تاريخ، ص 135، الراهب، متري، ميلاد، ص 30.

(3) AGCJ,File 440,6,(1886AD/1303AH), p3

(4) AGCJ,File 440,6,(1886AD/1303AH),p54

(5) بنورة، توما، تاريخ، ص 79-136، سنو، عبد الرؤوف، المصالح، ص 131، كلداني، حنا، المسيحية، ص 355، الدجاني، أحمد، التعليم، ص 213.

خاصكي سلطان، وتكوّن البناء من ثلاثة طوابق، و 45 غرفة⁽¹⁾ وذلك بعد مذبحة الأرمن الشهيرة عام (1312-1314هـ/1894-1896م)، ومن أجل احتضان هؤلاء الأيتام، فقد قرّرت جمعية بيت المقدس التبشيرية أن تقيمها على الكرم الذي كان الواعظ صموئيل مولر قد اشتراه، حيث بدأ العمل به عام (1284هـ/1867م)، وتمّ تدشينه عام (1316هـ/1898م)، إبّان زيارة القيصر الألمانيّ فيلهلم الثاني إلى فلسطين، وكان جلّ طلابه في السنوات الأولى من الأرمن، ولكن بعد أن منعت السلطات العثمانية استقطاب الأرمن إلى فلسطين، فتح الميتم أبوابه للطلاب الفلسطينيين، وصار الميتم الإنجيليّ مدرسةً للكنيسة الرئيسة، وبقي حتى عام (1337هـ/1918م)، حيث حولته السلطات البريطانية إلى مستشفى للأمراض العقلية والنفسية، وهو لا يزال قائماً حتى يومنا هذا، وبعد خروج البريطانيين تمّ تسجيله باسم خزينة المملكة الأردنيّة الهاشميّة إلى أن استطاعت الكنيسة استعادة حوالي 26 دونماً من الأراضي المحيطة بالمبنى من الرئيس الراحل ياسر عرفات عام (1418هـ/1997م)⁽²⁾.

وقام الخوري أنطوان بن يوسف بلوني، رئيس مدرسة الأيتام المسيحية في قصبة بيت لحم بشراء أرض، قدرها نصف سهم واحد من سهمين في جميع أرض حريقة الناموس، المشجرة بالعنب والتين، الكائنة في أراضي قرية الولجة⁽³⁾، وأقام عليها داراً للبنات اليتيمات في بيت لحم، وضمت آنذاك 11 طالبة⁽⁴⁾.

ثالثاً: مدرسة بيت ساحور

قدّم الألمان في بيت ساحور عدداً من الطالبات للحكومة العثمانية، من أجل الحصول على رخص بناء للمدارس، ففي عام (1308هـ/1890م) تقدّموا بطلب للحصول على رخصة بناء

(1) شوكة، خليل، بيت لحم، ص 62.

(2) سنو، عبد الرؤوف، المصالح، ص 132-133، الراهب، متري، ميلاد، ص 31-33-62.

* الولجة: تقع إلى الجنوب الغربي من القدس، في منتصف المسافة بين قريتي الجورة وبتير، تحيط بها أراضي قرية الجورة، والمالحة، وبيت جالا، وبتير. الدباغ، بلادنا، ج 8، ق 2، ص 178-179.

(3) القدس سجلّ 383، (1310هـ/1893م)، ص 96.

(4) المدني، زياد، مدينة، ص 249.

مدرسة للحكومة السنية، على الأرض المسجلة باسم الألمانيّ (إيمانويل تتجير، Emmanuel Tanger) لغايات تعليم الأولاد والبنات،⁽¹⁾ وما يزيد على البناء المطلوب سوف يستغلّ للحديقة والمشتلات الأخرى للمدرسة، وحصلوا على الموافقة عام (1322هـ/ 1904م)،⁽²⁾ وأشارت مصادر أخرى إلى أنّ جمعية القدس الألمانية، قامت بشراء قطعة أرضٍ واسعةٍ، إلى الجنوب من كنيسة الآباء والأجداد للروم الأرثوذكس، وأقامت فوقها مركزاً لها، ومدرسةً لأبناء البلدة عام (1319هـ/ 1901م).⁽³⁾

رابعاً: المدارس الألمانية في يافا

أنشأ الهيلكيون الألمان في يافا مدرسةً سنة (1291هـ/ 1874م)، وفي عام (1318هـ/ 1900م) أنشأوا مدرستين مختلطتين: واحدة تقع في مستعمرة يافا، والأخرى في مستعمرة سارونا، وأسست أيضاً مدرسة ابتدائية مختلطة سنة (1307هـ/ 1889م) في مستعمرة يافا، وبلغ عدد الطلبة فيها سنة (1318هـ/ 1900م) عشرة طلاب، وثلاث طالبات.⁽⁴⁾

كما قامت جمعية الهيلكيين الألمان في يافا برئاسة (كريستوف هوفمان) بشراء مستشفى ومدرسة في الكولونية، التي كانت تابعةً للأمريكان، ومدرسة في سارونا، ودفع ثمن المستشفى والمدرستين أربعة وثلاثين ألف فرنك، ونظراً لازدياد أعداد الطلاب والإقبال عليها، أضافوا إليها غرفاً بلغت ثمانى عشرة أوضة، ويذكر هوفمان أنّ المدارس التي تمّ تأسيسها لم تكن خاصةً بأبناء الألمان فقط، بل لجميع الملل والمذاهب، بغضّ النظر عن اختلاف مذاهبهم وعوائدهم من بروتستانت، وروم، وكاثوليك، وأرمن، ويهود، وقدمت المدارس تعليمًا مجانيًا للأولاد الفقراء، وأمّا المقتدرون، فدفَعوا مبالغ رمزية للمدرسة، وتمّ تدريس الطلاب التاريخ، والجغرافيا، والحساب، والهندسة، واللغة الجرمانية، والعربية، واللغة التركية، واللغة الإنجليزية، واللغة

(1) AGCJ,File 441,2,(1900AD/1318AH),p8 أبو حسين، عبد الرحيم، سعداوي، صالح، السجل الكنسيّ، ص 72.

(2) أبو حسين، عبد الرحيم، سعداوي، صالح، السجل الكنسيّ، ص 72.

(3) بنورة، توما، تاريخ، ص 226.

(4) محافظة، علي، العلاقات، ص 110-111، الدجاني، احمد، التعليم، ص 209.

الفرنسية، واللغات القديمة: كالاتينية، واليونانية، والموسيقى، والترتيل، والتصوير، واحتوت المدرسة الموجودة في الكولونية الألمانية وسارونا على محلّ للعبادة،⁽¹⁾ والجدول الآتي يوضّح أعداد بعض موظفي مدارس يافا⁽²⁾:

الرقم	المدرسة	معلمون	معلمات	تلاميذ
1	مدرسة الجمعية الإنجيليّة بيافا	2	1	70
2	المدرسة الإنجيليّة بسارونا	2	–	59

ولضمان ديمومة الإنفاق على المدارس، لجأ الألمان إلى نظام الوقف، فوقفوا عدداً من العقارات والأراضي، من أجل تحسين العملية التعليمية وتطويرها، وكان تركيزهم منصباً على مكاتب التعليم التي تهتم بتدريس أولاد الشكناز، التي كان من أبرزها: مكتب التلمود المهمّ بتدريس التوراة (الكتاب المقدس) لليهود داخل قومية بيت إسرائيل، ومكتب بير رعيص حاييم، الكائن في قومانية مئة شعاريم، وكان قسم من الأوقاف ينفق على ريع الوقف ذاته، وقسم آخر إلى المعلمين القائمين بالعملية التدريسية، ومؤدبي الأطفال، وهذه المكاتب كان مصادقاً عليها من متصرف لواء القدس.⁽³⁾

قطاع الصحّة

عنيّ الألمان بقطاع الصحّة، واهتمّوا بمتابعة صحّة أفراد الطائفة الألمانية، فحرصوا على سلامتهم من كافّة الأمراض، التي قد تؤدي بهم إلى الهلاك، وتمثّل ذلك في اختيار أمهر الأطباء من ذوي الاختصاص، الذين أسهموا إلى حدّ كبير في نهضة قطاع الصحّة، فأنشأوا المستشفيات، والعيادات، والصيديات، على النمط الأوروبي الحديث، التي سرعان ما بدأت تقوم بعملها في مكافحة بعض الأمراض السارية، التي فتكت فتكاً ذريعاً بالسكّان المحليين

⁽¹⁾ AGCJ,File 536,12,(1872AD/1288AH), p12، محافظة، علي، العلاقات، ص 115. انظر الملاحق شكل رقم (12).

⁽²⁾ AGCJ,File 536,12,(1890AD/1307AH, p118

⁽³⁾ القدس سجلّ 388، (1313هـ/1895م)، ص 23-24.

والمستوطنين الألمان، في بداية استيطانهم في فلسطين،⁽¹⁾ وعملوا على إقامة مستشفى أو مستوصف في كل تجمع ألماني كبير، أو مستوطنة، ففي مستعمرة يافا شيدوا مستشفى.⁽²⁾

وبسبب الوضع الصحي السيئ الذي أصاب الألمان في مستوطنة سارونا، نتيجة تفشي الأمراض، مثل: الملاريا*، والتيفوئيد، والإسهال، الناجمة عن المستنقعات،⁽³⁾ إذ تشير المصادر إلى أن هذه الأمراض فتكت بثمانية وعشرين شخصاً، من مجموع سكان المستعمرة البالغ عددهم حوالي 100-125 نسمة،⁽⁴⁾ وحتى عام (1290هـ / 1873م) توفي حوالي 55 شخصاً بتلك الأمراض، خلال أقل من ثلاث سنوات،⁽⁵⁾ وبسبب التذمر الذي رافق هذا الوضع الصحي وفي سبيل معالجة الأمراض الناجمة عن المستنقعات، قام الألمان بجلب أشجار (الكينا، الأوكالبتوس)، التي تتميز بالقدرة على امتصاص عشرة أضعاف وزنها من ماء التربة، وتم جلبها من بيروت، والجزائر، والقسطنطينية، وأستراليا، وزرعوها حول المستنقعات، وسكبوا مادة الكيروسين (مادة نفطية) في أماكن انتشار البعوض في المستنقعات، ومن ثم أجبروا السكان على تناول مادة الكوينين (quinine)، وهي مادة خافضة للحرارة، ومعالجة للملاريا،⁽⁶⁾ ولولا معالجة مشكلة الأمراض، وخصوصاً الملاريا، ومشكلة المستنقعات، لكان مصير مستوطنة سارونا الفشل.⁽⁷⁾ كما قاموا بفتح مستشفى عام (1291هـ / 1874م)،⁽⁸⁾ وعانت مستوطنة سارونا كذلك من الضباع، والكلاب، فقد فتك داء الكلب بالكثيرين، ونقل بعضهم للعلاج في مصر.⁽⁹⁾

(1) Footprints pf the templers, p 6

(2) محافظة، علي، العلاقات، ص. 111

* الملاريا: تعرف عند العامة بالدورية، أو الحمى البردية، تصيب الجهاز المناعي، وهي من الأمراض الفتالة، وتورث المصاب بها الخمول والكسل، وهي تكثر في فلسطين، وتنتقل بواسطة البعوض "البرغش". صلاح، حنا، فلسطين، ص 123.

(3) Jakob, islar, Der Deutsche, p100, Glenk, Helmut, From Desert, p13

(4) Glenk, Helmut, From Desert, p13، ص 111، العلاقات، ص 111

(5) Glenk, Helmut, From Desert, 15

(6) Glenk, Helmut, From Desert, p13-15-19

(7) Aaronsoh, Ran, Rothschild, p40-41، Glenk, Helmut, From Desert, p13-15-19

(8) Jakob, islar, Der Deutsche, p100

(9) Glenk, Helmut, From Desert, p 19

وكذلك الأمر في المستوطنة الزراعية في (قبيبة -عمواس)، اشترى أرضاً عام (1293هـ/ 1876 م) من أجل بناء مستوصفٍ للراهبات والرهبان، العاملين في مدرسة شميدت للبنات، ونزل القديس بولس*، بإشراف راهبات القديس بورميوس عام (1328هـ/1910م)،⁽¹⁾

أما المستشفى الذي أقيم في مستعمرة (فالهاالا) في يافا، فكان الأشهر، حيث أقيم بها مستشفى لمعالجة الألمان المقيمين في المستعمرات الألمانية في جنوب فلسطين (يافا، وسارونا، وفيلهما)،⁽²⁾ وفي بيت لحم أقاموا مستشفى، أطلقوا عليه مستشفى الطنطور (jahannitier Hospital Tantur)،⁽³⁾ وعمد الخواجة لودفيك شنيالر، قسيس الجمعية الإنجيلية في بيت لحم إلى تقديم طلب بتاريخ 25 تموز (1304هـ/ 1886م) إلى متصرفية لواء القدس، من أجل الحصول على رخصة لإنشاء خستخانة** على قطعة الأرض الواقعة في جبل الباطن في بيت لحم، والمقيدة باسم قونسلاتو دولة ألمانيا بالقدس، كمقبرة للبروتستنت، بموجب سند خاقانيٍّ مؤرخ في 15 ربيع الأول (1301هـ/ 1884م)، فأنشئ هذا المستشفى عام (1305هـ/ 1887م)، على نفقة الراهب (لودفيك) للمنافع العامة، ولمعالجة المرضى والفقراء، وقدم خدماته إلى 5523 شخصاً، منهم 129 بروتستانتياً، إضافةً إلى أهالي بيت لحم، وبيت جالا، البالغ عددهم 8298 نسمة بالمجان،⁽⁴⁾ وفي العادة كانت الدولة تمنح تراخيص المباني الصحية والتعليمية. وفق مقاييس محدّدة في الطول والعرض والارتفاع، مع الإشارة إلى منعهم من استقبال مرضى من

* القديس بولس (Saint Paul) (؟5-؟67): أحد دعائم الكنيسة المسيحية القدامى، اضطهد النصارى في بادئ الأمر ثم تنصر وانصرف إلى التبشير بالديانة الجديدة وبخاصة في آسيا الصغرى واليونان، اعتقل في بيت المقدس ومن ثم حوكم وأحتز رأسه في رومة في عهد نيرون، ويعرف أيضاً بـ(بولس الرسول) (Paul the Apostle). البعلبكي، منير، معجم، ص 121.

(1) محافظة، علي، العلاقات، ص 85

(2) محافظة، علي، العلاقات، ص 111

(3) Jackob, islar, Der Deutsche, p110

** خستخانة: لفظ فارسي معناه: مشفى، شاع استعماله في البلاد العربية منذ بداية العهد العثماني. الخطيب، مصطفى، معجم، ص 162

(4) AGCJ, File 440,6, (1886AD/1303AH), p3-13-54، أبو حسين، عبد الرحيم، سعداوي، صالح، السجل الكنسي،

ص 57.

غير الطائفة المذكورة، أو استخدام الدعاية للضغط على الناس للدخول في المذهب البروتستانتي⁽¹⁾.

أما أبرز المستشفيات التي أقامها الألمان، تركّز وجودها في القدس؛ بسبب الوجود الكثيف للجالية الألمانية فيها من ناحية، ومن ناحية أخرى بسبب التنافس بين الدول العظمى: بريطانيا، وفرنسا، وروسيا، التي عمدت كلٌّ منها إلى تدشين مستشفيات ومراكزٍ صحيّة فيها، ولهذا الغرض شيّد الألمان بالقدس عام (1267هـ/1851م) فخر مستشفياتهم وأهمّها على الإطلاق "المستشفى الألماني" أو "المستشفى البروسي"، وأطلق عليه بدايةً مستشفى "الدياكونيس"،⁽²⁾ وتبرّع بجزءٍ من نفقات بنائه ملك (بروسيا - ألمانيا)، ووزارة الأديان في برلين،⁽³⁾ وكانت فكرة إنشائه تعود إلى جمعية الشماسات في كيزفريت على الراين (الشماسات الألمانية)،⁽⁴⁾ فعندما نزل القسّ (فيلندر) القدس في 17 نيسان (1267هـ/1851م) استأجر بدعمٍ من ملك بروسيا، ووزارة الأديان في برلين، بيتاً في المدينة القديمة داخل السور، واتّخذهُ مستشفى في 2 أيار (1267هـ/1851م)، وكان فيه يومئذٍ عشرة أسرّة، وتوافد إليه المرضى من أنحاء فلسطين وشرق الأردن، وعرف من أطبائه الدكتور (مك كوفان، Mc Kovan) الإنجليزي،⁽⁵⁾ طبيب مستشفى جمعية لندن اليهودية،⁽⁶⁾ والدكتور الألماني (كميلن، Camelin)، وتجدر الإشارة إلى أنّ المستشفى كان مهيباً للعمليات الجراحية.⁽⁷⁾

وبقي المستشفى يقدّم خدماته داخل المدينة، إلى أن تمّ شراء أرضٍ مساحتها 12966م، بثمان 65500 مارك، بدعمٍ من أفروتكر، بعد منافسة اليهود لهم عام (1308-1312هـ/1890-

(1) أبو حسين، عبد الرحيم، سعداوي، صالح، السجل الكنسي، ص 57، شوكة، خليل، بيت لحم، ص 59.

(2) محافظة، علي، العلاقات، ص 62، كلداني، حنا، المسيحية، ص 327، رفيق، فرح، تاريخ، ج 1، ص 135-138، أبو جابر، رؤوف، الوجود، ص 71، المدني، زياد، مدينة، ص 270، سنو، عبد الرؤوف، المصالح، ص 89.

(3) رفيق، فرح، تاريخ، ج 1، ص 138، أبو جابر، رؤوف، الوجود، ص 71.

(4) محافظة، علي، العلاقات، ص 62، كلداني، حنا، المسيحية، ص 349، رفيق، فرح، تاريخ، ج 1، ص 135-138، سنو، عبد الرؤوف، المصالح، ص 88-89، شيوخ، ولاء، القدس، ص 78.

(5) العارف، عارف، المسيحية، ص 179، محافظة، علي، العلاقات، ص 62، رفيق، فرح، تاريخ، ج 1، ص 138.

(6) كلداني، حنا، المسيحية، ص 349، رفيق، فرح، تاريخ، ج 1، ص 138.

(7) جوهريّة، القدس، ج 1، ص 100.

1894م)، وذلك خارج القدس بالجهة القبلية، في حيّ "الشيخ عكاشة"، وكان المقدسيون يطلقون عليه المستشفى المجيديّ؛ لأنّ الألمان كانوا يطلبون من كلّ مريضٍ دفع ريالٍ مجيديٍّ عثمانيٍّ، مقابل الدخول بغض النظر عن مدّة إقامته،⁽¹⁾ واستقبل المستشفى الجديد المرضى من كافّة الطوائف الدينية في القدس، وبلغ عدد رواده في السنة الأولى مئة مريضٍ،⁽²⁾ وبعد الاحتلال الإنجليزيّ (1337هـ/1918م) قاموا بتحويله إلى مستشفى عسكريٍّ، ثمّ أعادوه إلى أصحابه عام (1343هـ/1924م)، وعندما اندلعت الحرب العالمية الثانية عام (1358هـ/1939م)، أغلق واستعمل ككتّنةٍ للجنود،⁽³⁾ وفي إحصائية عام (1328هـ/1910م) بلغ عدد المرضى الذين عولجوا في المستشفى المذكور 600 مريضٍ داخليٍّ، و7000 مريضٍ في العيادات الخارجية،⁽⁴⁾ وتابّع له صيدلية خاصّة به،⁽⁵⁾ وكانت الصيدليات جزءاً من أهتمامهم، فقدم العديد منهم طلباتٍ للحصول على رخصٍ من الدولة لأنشائها، من أجل ذلك، قدّم الخواجة كولوب بولص الألمانيّ عام (1296هـ/1879م) طلباً لأخذ رخصةٍ من أجل افتتاح أجزاخانة خارج القدس، بالقرب من باب الخليل.⁽⁶⁾

ومن المستشفيات الأخرى التي أنشأها الألمان في القدس، دار مرض للشكناز البروشيم، المسمّى بقور حوليم (بكور حوليم) الألمانيّ، الكائن داخل القدس الشريف، بمحلّة الشرف،⁽⁷⁾ وقيل في محلّة الأرمن،⁽⁸⁾ الذي أقامته شركة بيقور حوليم عام (1274هـ/1857م) كان فيه 12 سريراً، واعتمد على التبرعات من الأسخياء اليهود، لكنّه أغلق عدّة مرات، ولعب المستشفى

(1) القدس سجل 392، (1317هـ/1899م)، ص 26، العارف، عارف، المسيحية، ص 179-180، محافظة، علي، العلاقات، ص 63، كلداني، حنا، المسيحية، ص 354، رفيق، فرح، تاريخ، ج 1، ص 138، سنو، عبد الرؤوف، المصالح، ص 93-107، شيوخ، ولاء، القدس، ص 78

(2) العارف، عارف، المسيحية، ص 179-180، محافظة، علي، العلاقات، ص 62-63، كلداني، حنا، المسيحية، ص 349

(3) العارف، عارف، المسيحية، ص 179-180، رفيق، فرح، تاريخ، ج 1، ص 138

(4) محافظة، علي، العلاقات، ص 64

(5) المدني، زياد، مدينة، ص 272

(6) AGCJ, File 442,3, p90

(7) القدس سجل 397، (1323هـ/1905م)، ص 87، ص 105، المدني، زياد، مدينة، ص 271، ربايع، ابراهيم، طائفة، ص

121

(8) القدس سجل 379، (1307هـ/1890م)، ص 35، المدني، زياد، مدينة، ص 271، ربايع، ابراهيم، طائفة، ص 121

الذي تولّى إدارته الحاخام يوشل موسى بن مردخاي دوراً مهماً في القضاء على وباء الكوليرة، الذي انتشر في القدس عام (1282هـ/1865م)،⁽¹⁾ ويلحظ أنّ بعض السكّان أوقفوا الأوقاف لعلاج المرضى في هذا المستشفى.⁽²⁾

وبعد انتشار بعض الأمراض السارية والمعدية، أقامت جمعية المرسلين المورافيين مستشفى للبرص في القدس عام (1284هـ/1867م)، ومع حلول عام (1296هـ/1879م) تمّ نقله إلى بناية خارج أسوار القدس،⁽³⁾ كما عملوا على فتح مأوى لمرضى الجذام، ومستشفى لهم في المدينة، وبدأ الاهتمام الألمانيّ بالمجذومين في القدس عام (1284هـ/1867م)، بعد قدوم البارون الألمانيّ فون كيفنبرنك-أشرادن وزوجته إلى مدينة القدس حاجّين، فتأثّرا بمنظر المجذومين وهم يتسوّلون على أبواب القدس؛ لذا بدأت زوجته بجمع التبرّعات لإنشاء مأوى بالتنسيق مع عدّة جمعيات خيرية بألمانيا ومع المطران غوبات، فتمّ شراء قطعة من الأرض خارج باب يافا، وبني عليها المستشفى، وسمّي بـ(معونة يسوع) للدلالة على معجزة المسيح كشافٍ للأمراض، في حين أطلق عليه العرب اسم "دار المساكين" وبسبب كثرة المجذوميين، وضيق المكان القديم، تمّ شراء قطعة أرضٍ جديدةٍ خارج السور بالقرب من مستوطنة الهيكليين الألمان بالقدس عام (1305هـ/1887م)، وبنوا عليها مبنىً جديداً يتّسع لستين مريضاً.⁽⁴⁾ ورغم الدور الصحيّ الذي لعبه المستشفى، فإنّ التبشير كان أحد أهمّ رسائله ومن الملاحظ أنّ مرضى المصحّ الألمانيّ كانوا يمارسون الزراعة، وخاصة العنب، إلى جانب رعي الماشية الذي أدّر ربحاً مادياً عليه.⁽⁵⁾

كما أقام الألمان مستشفى الأطفال تحت إشراف الدكتور م. ساندركزي خارج أسوار القدس غرب بوابة الخليل وبالقرب من المسكوبية مركز الإرسالية الروسية إذ تبرّع ببناؤه

(1) القدس سجل 397، (1323هـ/1905م)، ص 88، ص 105، لندمان، شمعون، احياء، ص 77

(2) القدس سجل 392، (1317هـ/ ص 26، سجل 397، (1323هـ/1905م)، ص 105، سجل 397، (1324هـ/1906م)، ص 123

(3) كلداني، حنا، المسيحية، ص 356، رفيق، فرح، تاريخ، ج 1، ص 172، المدني، زياد، مدينة، ص 270

(4) محافظة، علي، العلاقات، ص 69، كلداني، حنا، المسيحية، ص 356، سنو، عبد الرؤوف، المصالح، ص 141-148.

(5) سنو، عبد الرؤوف، المصالح، ص 145-148.

ميكلنبورغ شفرين إثر زيارته للقدس برفقة زوجته عام (1289هـ / 1872م)، وافتتح رسمياً عام (1292هـ / 1875م)، وعرف بمؤسسة ماريّا الخيرية نسبة إلى زوجته.⁽¹⁾ وكان هذا المستشفى أول مستشفى في الشرق لمعالجة الأطفال المرضى من الفقراء، وكان يسمح للأمهات إذا دعت الضرورة النوم في المستشفى مع أطفالهنّ. ونتيجة للحروب والظروف الصحيّة والاقتصادية السيّئة، أصبحت هناك زيادة في عدد الأطفال المرضى؛ لذا أضيفت إليه مبانٍ أخرى وألحقت به.⁽²⁾ ومع نهاية القرن التاسع عشر الميلاديّ كان المستشفى يعالج حوالي مئة وخمسين امرأة حاملاً، وخمسمائة وخمسين طفلاً بالعام.⁽³⁾

إلا أنّ إنشاء مركزٍ ودارٍ للعجزة في أراضي البقعة بقرية المالحه،⁽⁴⁾ يعدّ قفزة كبيرة سبقت بها الدولة الألمانية باقي الدول الأخرى. ففي الوقت الذي كانت فيه ألمانيا تمتلك داراً للعجزة، لم تكن دولٌ أخرى تمتلك مثل هذا المشروع الصحيّ الكبير. فقد جرت مراسلات بين الألمان والدولة العثمانية لغاية إنشاء المستشفى بقرية المالحه. أرسلت خلالها ألمانيا مخطّط البناء،⁽⁵⁾ الذي أقيم على أرضٍ بلغت مساحتها 5600 ذراعٍ بإشراف ودعم المسيو ماكس بن كارل القنصل الألمانيّ في القدس وجمعية الراهبات الألمانية المعروفة باسم سور دوس شارل بوروم (Soeurs de Saint – Charles Borrome)، وكان مخطّط البناء بطول 50م، وعرض 31م، وارتفاع 17م وقدّرت نفقات إنشائه بنحو أربعين ألف فرنك تكفّلت بها الجمعية المذكورة،⁽⁶⁾ فأسّس عام (1314هـ / 1896م) من الألمان الكاثوليك، وجرت توسعته في عام (1323هـ / 1905م)، وارتفع عدد العاملين فيه إلى 12 موظفاً، إضافةً إلى وجود صيدلية ومستوصفٍ⁽⁷⁾ وتولّت إدارته ليزا بنت لويس.⁽⁸⁾

(1) محافظة، علي، العلاقات، ص 68-69، كلداني، حنا، المسيحية، ص 356، رفيق، فرح، تاريخ، ج 1، ص 189، سنو، عبد الرؤوف، المصالح، ص 150-153.

(2) رفيق، فرح، تاريخ، ج 1، ص 189.

(3) محافظة، علي، العلاقات، ص 68-69، كلداني، حنا، المسيحية، ص 370-371.

(4) القدس سجلّ 393، (1319هـ / 1901م)، ص 184.

(5) القدس طابو 226/5/83 لعام (1309-1310هـ / 1892-1893م)، ص 21-22.

(6) أبو حسين، عبد الرحيم، سعداوي، صالح، الكنائس، ص 310-311.

(7) سنو، عبد الرؤوف، المصالح، ص 202.

(8) القدس سجلّ 393، (1319هـ / 1901م)، ص 184-185.

وكان سكان الكولونيات من الألمان يخشون على أنفسهم من انتقال عدوى الأمراض من جيرانهم العرب، وكانت تجري مراسلات بين رئيس الكولونيات والقنصلية الألمانية بيافا لمتابعة ذلك. أذ تشير الوثيقة المرسلة إلى قائممقامية يافا من القنصل الألماني ولس في يافا (أنه بناءً على إفادة رئيس كوبانية فيلهلما الألمانية أنه في قرية الطيرة، المجاورة للكوبانية والتابعة لقضاء يافا يوجد منذ ثلاثة أسابيع مرض سار توفي لسببه ثمانية عشر شخصاً من أهالي القرية المذكورة، ويظن أنه مرض حمى التيفوس*، وفي ذلك خطر لانتشاره ونرجو من معزكم إرسال طبيب البلدية إلى قرية المذكورة من أجل إجراء التحقيقات، وأخذ التدابير اللازمة لمنع انتشار المرض إلى الجوار، وتزويد رئيس الكوبانية بنتائج التحقيقات الطبية، والتدابير المتخذة حتى يتمكنوا من التنبيه على أهالي الكوبانية. حرر في ذلك 9 حزيران (1330هـ/ 1912م).⁽¹⁾

وبناءً على هذه التوصية قامت القائممقامية بإرسال أطباء مركز القدس وبلدية يافا وطبيب أحضر لهذا الخصوص من إستانبول إلى الطيرة، وأفادت الفحوصات بأن جميع بيوت الطيرة خالية من المرض، وليس بها وباء، وأنّ الوباء المنتشر هو مرض الحمى والإسهال، وهو من الأمراض غير المعدية ويضيف التقرير إنهم وجدوا شخصاً مصاباً بالجذري، وأرسلت التحقيقات والنتائج إلى القنصلية، حرر التقرير في 17 حزيران (1330هـ/ 1912م).⁽²⁾

وفي مراسلات أخرى جرت بين كل من المتصرفية بالقدس والقائمقامية بيافا والقنصلية الألمانية بخصوص انتشار أحد الأوبئة في اللواء (1330هـ/ 1912م)، قام وفدٌ متخصص برئاسة أحد الأطباء بفحص بعض المرضى، وتبين لهم أنه وباءٌ شديدٌ. وعممت القائممقامية إلى القنصلية بيافا بضرورة أخذ الحيطة والحذر، واتّباع مجموعة من الإجراءات منها: منع الأشخاص من مغادرة يافا، ووضعهم تحت (الحجر الصحي) لمدة ثلاثة أيام، ويجب تطهيرهم،

* التيفوس: مرض خبيث، ينقله القمل والبق من العليل إلى الصحيح. صلاح، حنا، فلسطين، ص 122.

(1) AGCJ,File 543,3,(1912AD/1330AH),p132

(2) AGCJ,File 543,3,(1912AD/1330AH),p133 أنظر الملاحق شكل رقم (13).

أما في مدينة القدس، فقد تم تأسيس كرائنتينا في محلّة باب الواد وبتيّر*، ومعاينة جميع المحلّات وتفتيشها من طرف الأطباء من أجل إخراج الوقائع المشبوهة والمخفية، وتسهيل دخول الأطباء إلى الدور والمحلات، والتنبيه على أفراد الطائفة الألمانية عدم معارضة الأطباء في الدخول إلى أماكنهم، بالإضافة إلى الاعتناء بالنظافة، والطهارة، والقضاء على الفئران، وإرشاد الأهالي حول ذلك.⁽¹⁾

كذلك كانت الدولة الألمانية تشرف على أصحاب العاهات، والمرضى المزمنين، وفاقدي الأهلية. ففي حالة وجود شخص مريض وله أملاك، كانت القنصلية حريصة على متابعته. حيث لا يمكن لأحد التصرف بأملكه بيعاً وشراءً إلّا بعد الحصول على إذن من القنصلية. وبخصوص ذلك تشير الحجة التالية إلى أنّ السيد هوكو بن هينسلري بن كال البورسيانيّ التاجر بالقدس، والمنصوب وصياً شرعياً على بايي بن حنا البورسيانيّ المقيم بالقدس المصاب بداء الجنون، لم يتمكن من التصرف بأملكه إلّا بعد الحصول على إذن من القنصلية، وبشهادة أشخاص ألمان. لذا تظهر سجلّات المحكمة الشرعية السماح له بالتصرف بأملكه التي قدّرت بسبعمئة ذراع، جهة باب الخليل لما في ذلك مصلحة تامّة للمريض، وذلك من أجل الإنفاق عليه، كونه لا مال له.⁽²⁾

أخيراً لعب الألمان دوراً مهماً في نهضة قطاع الصحّة في فلسطين من خلال إنشاء العيادات والمستشفيات الحديثة. فلم تكن هذه المؤسسات الصحيّة قبل قدوم الألمان موجودة أو مزوّدة بأطباء متخصصين.⁽³⁾ وقد كسب الأطباء الألمان في يافا وبيت لحم ثقة العرب، في وقت كان ينظر إليهم نظرة شكٍّ وريبة، وكان تمويل تلك المستشفيات يتمّ معظمه من خلال

* بتيّر: قرية تقع على بعد ثمانية كم إلى الجنوب الغربيّ من القدس، في منتصف المسافة بين قريتي الولجة والقبو، وهي المحطة الأولى لسكة حديد القدس - يافا، وترتفع (2075) قدماً عن سطح البحر، احتلها اليهود عام النكبة، وأنشأوا بالقرب منها مستعمرة سمّوها (هيفوبيتار). الدباغ، بلاندا، ج8، ق2، ص 182-184، شراب، محمد، معجم، ص 142.

⁽¹⁾ AGCJ,File 543,3,(1912AD/1330AH), p116-120. انظر الملاحق شكل رقم (14).

⁽²⁾ القدس سجلّ 378، (1308هـ/1891م)، ص 79.

⁽³⁾ Jackob, islar, Der Deutsche, p100.

التأمينات الصحيّة، ودفع ثمن العلاج الرمزيّ، الذي كان يدفعه المرضى، بغض النظر عن جنسيّاتهم.⁽¹⁾

دور العبادة والأوقاف

دور العبادة ونزلهم

سهّل الحكم المصريّ لفلسطين الحضور المتزايد للجهات الدينيّة الأوروبيّة بطرق متعدّدة، ومن أهمّ مظاهر هذا الحضور ازدياد عدد الحجّاج المسيحيين، وبناء الأديرة وأماكن العبادة، خاصّة تلك التي تعود إلى الكنائس البروتستانتيّة البريطانيّة والألمانيّة، فقد اهتمّ الألمان بإقامة دور العبادة ودعمها، ووقف الأوقاف عليها، وتشير المصادر إلى قوافل الزوار والحجّاج الألمان لغايات الزيارة أو المشاركة في الاحتفالات الدينيّة فيها،⁽²⁾ وقد مارست الطائفة الألمانيّة، سواءً الكاثوليك أم البروتستانت، شعائرّها الدينيّة في مجموعة من الكنائس والأديرة التي شيّدها في أماكن وجودهم في اللواء. ولا بدّ أن نشير إلى أبرز المذاهب الدينيّة الألمانيّة:

أولاً: الألمان الكاثوليك

امتلك الألمان الكاثوليك في لواء القدس عدداً من الكنائس، ودور العبادة، كان من أهمّها:

أولاً: كنيسة الدبّاعة: (كنيسة المخلّص): تقع في منطقة الدبّاعة قرب كنيسة القيامة. بنيت على أرض كانت في الأصل جزءاً من المارستان الصلاحيّ، وقد أهداها السلطان العثمانيّ عبد العزيز (1278-1284هـ/1861-1867م) إلى وليّ عهد بروسيا فردريك فيلهلم⁽³⁾ عندما زار القدس عام (1284هـ/1868م)، وبعد ذلك وهب البطريرك كيرلس مئة وخمسين ذراعاً مربّعة

⁽¹⁾ Jakob, islar, Der Deutsche, p110-111

⁽²⁾ جوهريّة، القدس، ج1، ص 60، أوين، روجر، تاريخ، الموسوعة، القسم الثاني، المجلد الأول، ص 563.

⁽³⁾ القدس سجلّ 403، (1328هـ/1910م)، ص 96-97، سركيس، خليل، جلاله، ص 13، الأسود، إبراهيم، الرحلة، ص 130، جوهريّة، القدس، ج1، ص 20، العارف، عارف، المفصل، ص 538، محافظة، علي، العلاقات، ص 64،، كلداني، حنا، المسيحية، ص 371، القضاة، أحمد، النصاري، ص 393-394.

من أراضي البطريركية لبناء الكنيسة عليها،⁽¹⁾ حيث يعتقد الألمان أنه كانت تقوم في تلك البقعة، التي أُسِّت عليها كنيسة الدبّاعة كنيسة قديمة، بناها شارلمان (124-199هـ/742-814م)* بإذن من الخليفة هارون الرشيد (146-193هـ/763-809م)**⁽²⁾ شرع الألمان في بنائها عام (1311هـ/ 1893 م)، وجعلوا لها برجاً يُصعد إليه في 180 درجة، وجعلوا بابها من الحجارة،⁽³⁾ وجرى تدشينها بحضور الإمبراطور غيلوم الثاني عام (1316هـ/ 1898م)،⁽⁴⁾ الذي زار المدينة خصيصاً لهذه الغاية برفقة زوجته الإمبراطورة أوغستا فكتوريا، ورئيس وزرائه غراف ميرباخ، ووزير خارجيته دوبولوف، وعدد كبير من رجال الدولة، ودشنت الكنيسة في 21 تشرين الأول بحضورهم، إضافةً إلى عددٍ كبيرٍ من الجند، والجالية الألمانية، والكهنة الألمان. وكان بين الحاضرين كذلك عددٌ من الوزراء العثمانيين، والضباط التابعين لكلا الجيشين بلباسهم الرسمي. كانت هذه الكنيسة مخصصة لعبادة الألمان. وفي الحرب العالمية الثانية (1358هـ/ 1939م) استعملها الإنجليز للعبادة. وبعد انتهاء الانتداب البريطاني على فلسطين (1367هـ/ 1948 م) صار اللوثرّيون العرب يستعملونها لعبادتهم.⁽⁵⁾ وتعدّ كنيسة المخلص أول كنيسة إنجيليّة للطائفة الألمانية في بيت المقدس.⁽⁶⁾

(1) العارف، عارف، المسيحية، ص 180.

* شارلمان Charlemagne also Charles I (814-742): ملك الفرنجة (768-814) وإمبراطور الغرب (800-814) وسّع رقعة دولته، تحالف مع الكرسي البابوي ضدّ بيزنطة، فتوجّه البابا ليو الثالث Leo III إمبراطوراً، أصبح بلاطه في أكس لا شابيل Aix-La Chapelle مركزاً فكرياً وسياسياً وإدارياً مرموقاً بعد عام 794 م، ويعُرف أيضاً بـ(شارل الكبير). البعلبكي، منير، معجم، ص 256.

** هارون الرشيد (146-193هـ/763-809م): خامس الخلفاء العباسيين (170-193هـ/786-809م) وأبرزهم شهرةً، ابن الخليفة العباسي الثالث المهدي، ووالد الخلفاء الأمين والمأمون والمعتصم، يعدّ عهده في رأي جمهرة كبيرة من المؤرخين، أزهى عصور التاريخ الإسلامي على الإطلاق، تبادل السفراء والهدايا مع إمبراطور الغرب شارلمان (Charlemagne)، حكم إمبراطورية واسعة، امتدّت من سواحل البحر الأبيض المتوسط الغربية إلى الهند، باستثناء بيزنطة، التي كانت تدفع له الجزية. البعلبكي، منير، معجم، ص 465.

(2) عارف، العارف، المسيحية، ص 180، الدباغ، بلادنا، ج10، ق2، ص 90.

(3) العارف، عارف، المسيحية، ص 181، القضاة، أحمد، النصاري، ص 393-394.

(4) العارف، عارف، المسيحية، ص 181، محافظة، علي، العلاقات، ص64، القضاة، أحمد، النصاري، ص 393-394، قائمة، مجناح، العلاقات، ص22-23.

(5) سركيس، خليل، جلالة، ص 13، العارف، عارف، المسيحية، ص 181-182.

(6) محافظة، علي، العلاقات، ص66.

ثانياً: كنيسة نياحة العذراء: تقع على جبل صهيون، بالقرب من مقام النبي داود، إلى الجنوب من سور القدس،⁽¹⁾ وهي من أملاك الألمان الكاثوليك، بُنيت فوق أرض مساحتها ألفاً متر مربع، أهداها لهم السلطان عبد الحميد،⁽²⁾ وكانت الجمعية الألمانية للأرض المقدسة تطمح في شراء هذا الموقع المقدس، الذي يعتقد بأن مريم العذراء، ويوحنا المعمدان* أقاما فيه، فلما علمت الجمعية بزيارة القيصر الألماني فيلهلم الثاني للشرق ولفلسطين عام (1316هـ/ 1898م) طلبت منه أن يتوسط لدى السلطان عبد الحميد الثاني (1293-1327هـ/ 1876-1909م) للموافقة على شراء الموقع، ولما زار القيصر مدينة القدس في 16 جمادى الآخرة (1316هـ/ 1898م) قدم إليه متصرف القدس سند التملك، وخاطبة قائلاً: "بناءً على الصداقة بين جلالتك وعظمة متبوعنا الأعظم، فإننا نقدّم لجلالتكم هذه الأرض، ونحملكم على الراحة"، فأجابه القيصر: "إنّ جناب السلطان عبد العزيز خان أهدى المرحوم والدي قطعة الأرض المعروفة باسم الدبّاعة (المخلص)، وأمّا عظمة صديقي السلطان عبد الحميد، فقد أهداني هذه الأرض، التي نقف عليها الآن"، ومنح القيصر قطعة الأرض لممثّل الجمعية الألمانية في الأرض المقدسة فيلهلم شميدت، بعد أن أرسل إلى البابا ليون الثالث عشر (Leo XIII) ** (1225-1321هـ/ 1810-1903م) برقية بذلك جاء فيها: "بكل سرور أبشّر قداستكم بأنني قد نلت من الحضرة العلية السلطانية الأرض، وقرّرت أن أخصّ رعاياي الكاثوليك، ولا سيّما الرهبان الكاثوليك الألمان، المقيمين في

(1) العارف، عارف، المفصل، ص538، الدباغ، بلادنا، ج10، ق2، ص90-91، محافظة، علي، العلاقات، ص83، المدني، زياد، مدينة، ص290، القضاة، أحمد، النصارى، ص393-394، سنو، عبد الرؤوف، المصالح، ص207-210

(2) سركيس، خليل، جلاله، ص36-37، الاسود، خليل، الرحلة، ص129، العارف، عارف، المفصل، ص538، والمسيحية، ص187، الدباغ، بلادنا، ج10، ق2، ص90-91.

* يوحنا المعمدان: القديس (Saint Johanne the Baptist) (حوالي 4 ق. م - حوالي 30م)، نبي يهودي، ورد ذكره في القرآن الكريم باسم (يحيى) بشّر بمجيء المسيح، وعمّده في نهر الأردن، اعترض على زواج هيرودس أنتيباس (Herod Antipas) من (هيرودياس) (Herodias) فما كان من هيرودياس، وابنتها سلومية (Salome) إلا أن أغرتا هيرودس بقتله ففعل. البلبيكي، منير، معجم، ص508.

** ليو الثالث عشر (Leo XIII) (1810-1903م): بابا رومة (1878-1903م) كان أول بابا يرتقي الكرسي الرسولي، بعد ضمّ (المقاطعات البابوية) إلى إيطاليا عام 1870م، ومن أجل ذلك قضى ولايته كلها، التي استمرت خمساً وعشرين سنة، (أميراً للفاثيكان) رمزاً لاحتجاجه على ذلك الضمّ، نفخ في البابوية روحاً جديدة، جعلتها أكثر استجابة لمطالب العصر وحاجاته الاجتماعية. البلبيكي، منير، معجم، ص401.

القدس الشريف، بهذه الأرض المباركة، فأرجو من قداستكم قبول ذلك"،⁽¹⁾ وتمّ البناء عام (1318هـ/1900م)، ودشّنت عام (1328هـ/1910م) بحضور الأمير إيتل فريتس، الابن الثاني للقيصر نيقولا الثاني،⁽²⁾ جاء البناء المعماريّ بطول 60 م، وعرض 60 م، وارتفاع 38 م، وألحق بها برجٌ للساعة بارتفاع 47 م، إضافةً إلى دارٍ للضيافة، خاصّةً بإيواء الزوار والرهبان الألمان، تكون بطول 100 م، وعرض 93 م، وارتفاع 12 م.⁽³⁾

ثالثاً: كنيسة مريم ودير البندكتيين على جبل صهيون: أنشأ الألمان الكاثوليك كنيسة مريم، ودير البندكتيين على جبل صهيون، وصدر فرمان السلطانيّ بالبدء في بناء الكنيسة، في نهاية تشرين الأول عام (1319هـ/1901م)، واحتفل بالصلاة فيها في 21 آذار (1324هـ/1906م)، وتسلم البندكتيون مفاتيح الدير، وجرى تدشينها رسمياً في 10 نيسان (1328هـ/1910م) بحضور نحو سبعمائة وعشرين حاجاً ألمانياً كاثوليكياً.⁽⁴⁾

ثانياً: الطائفة البروتستانتية

بعد عام (1257هـ/1841م) أخذت الحكومة البريطانية بالضغط على الحكومة العثمانية، من أجل بناء كنيسةٍ لهم، حتى جاءت الموافقة من الباب العالي، وأصدر فرماناً أوائل أيلول عام (1261هـ/1845م) إلى والي صيدا، وحاكم القدس، جاء فيه: "لقد عُرض سواء الآن أو من قبل، من جانب السفارة البريطانية، المقيمة في بلاطي، أن الرعايا البروتستانت البريطانيين والبروسيين، الذين يزورون القدس يواجهون صعوباتٍ وعقباتٍ، لعدم امتلاكهم مكاناً للعبادة، ولمراعاة الشعائر البروتستانتية، ينبغي الاستجابة لطلبات تلك الحكومة إلى المدى الممكن". ومنذ ذلك الوقت بُنيت كنائس البروتستانت،⁽⁵⁾ كانت بدايتها بالشراكة مع الكنائس الإنجليكانية.

⁽¹⁾ الدباغ، بلادنا، ج10، ق2، ص 91، محافظة، علي، العلاقات، ص82-83، القضاة، أحمد، النصارى، ص 393-394.

⁽²⁾ العارف، عارف، المسيحية، ص 189، الدباغ، بلادنا، ج10، ق2، ص 91، محافظة، علي، العلاقات، ص82-83.

⁽³⁾ الدباغ، بلادنا، ج10، ق2، ص 91، محافظة، علي، العلاقات، ص84.

⁽⁴⁾ أبو حسين، عبد الرحيم، سعداوي، صالح، الكنائس، ص 286.

⁽⁵⁾ القضاة، أحمد، النصارى، ص 395.

وحرصت الدولة العثمانية على عدم بناء كنائس بغير رخص نظامية من الحكومة، فقد أوقفت أحد رعايا الدولة الألمانية بالقدس، عند ضبطه وهو يبني بيتاً خاصاً به على أنه كنيسة،⁽¹⁾ ولذلك كان على الألمان سواء البروتستانت أم الكاثوليك الحصول على رخصة سنوية، توجب بها قيامهم بإنشاء كنيسة، وتجلّى ذلك من خلال طلب القسيس لودفيك شنلر، قسيس الجمعية الإنجيلية في بيت لحم عام (1304هـ/ 1886م) من متصرفية اللواء في الموافقة على بناء كنيسة لهم في بيت لحم بمحلة الفواغرة،⁽²⁾ وبعد ذلك صدرت الموافقة بتاريخ 24 ربيع الآخر سنة (1307هـ/ 1889م) بإنشاء كنيسة للزوار البروتستانت بقصبة بيت لحم، الأمر الذي دفع لودفيك شنلر إلى إرسال طلب في 11 شباط (1308هـ/ 1890م)، إلى المجلس البلدي في بيت لحم، من أجل الاستعجال بإعطاء الرخصة المحلية لإنشاء الكنيسة،⁽³⁾ ودشنت الكنيسة فعلياً عام (1311هـ/ 1893م)،⁽⁴⁾ وتعرف اليوم باسم كنيسة الميلاد اللوثرية، وكان قد تبرّع بجزء كبير من بنائها الإمبراطور الألماني فيلهلم، عندما قام بزيارتها عام (1316هـ/ 1898م) أثناء زيارته للقدس، ويذكر أنّ مهندس ومقاول بنائها كان بول فاديناند بالمر الألماني.⁽⁵⁾

وقام شنلر (Shneller) بطلب آخر يقصد به بناء معبد، ليكون مخصصاً لسكن القسيسين والمعلمين، ومكان اجتماع، وتأدية فروض العبادة، وذلك في الجزء الغربي من بيت جالا، التابعة للقدس،⁽⁶⁾ فقد أكمل فيها بناء مدرسة ذكور عام (1287هـ/ 1870م)، وبدأ ببناء مدرسة إناث عام (1307هـ/ 1889م) ومسكن للمعلمين.⁽⁷⁾

وفي يافا حصل الإنجلييون الألمان على رخصة سنوية بإنشاء كنيسة وبرج للناقوس، على طريق الطاحونة خارج قصبة يافا، تحت إشراف الخواجة لورخ، والخواجة مبتوس فرنك

⁽¹⁾ AGCJ,File 442,3,p180

⁽²⁾ AGCJ,File 440,6, (1886AD/1303AH),p3

⁽³⁾ AGCJ,File 440,6, (1890AD/1307AH),p73

⁽⁴⁾ سنو، عبد الرؤوف، المصالح، ص114، كلداني، حنا، المسيحية، ص355.

⁽⁵⁾ بنورة، توما، تاريخ، ص 79-136

⁽⁶⁾ AGCJ,File 440,5,(1885-1895AD/1302-1312AH),p16

⁽⁷⁾ بنورة، توما، تاريخ، ص 135.

الألمانين، فأقيمت على أرض ملك، يبلغ طولها 17 م، وعرضها 10.5 م، وارتفاعها 14.50، أما برج الناقوس، فكان بطول 29 م، وقدرت نفقات إنشائها المتوقعة ثلاثين ألف فرنك، تكفلت بها (جمعية فلسطين الألمانية) في برلين، وحذرت الدولة العثمانية متصرفيها في القدس بعدم القيام بجمع الأموال عنوةً من طائفة البروتستانت، أو إزعاجها بأي صورة كانت، وجاءت الموافقة على إنشاء الكنيسة عام (1322هـ / 1904م)⁽¹⁾، وسارت الكنيسة على المذهب البروتستانتي، وقدر عدد نفوس الطائفة الإنجيلية في يافا بـ 107 أشخاص، منهم 47 ذكراً، و60 أنثى، وتجدر الإشارة إلى أن جميع أدوات بناء الكنيسة تم إحضارها من أوروبا، وهي طوب محروق، عدد 25.000، وقرميذ للسقف 8.000، وجرسان، وساعة كبيرة، وشبابيك زجاجية عدد 4، وأورغون كبير، و160 كيلو براويز حديد للشبابيك.⁽²⁾

وجاءت موافقة أخرى لبناء وإنشاء كنيسة للبروتستانت الألمان في قصبة يافا، على أرض مساحتها 461.5 م، وبطول 16م، وعرض 11م، وارتفاع 8م، وتحتوي على برج ناقوس طوله 30م، وصدرت الإرادة السلطانية بذلك في 20 ذي الحجة، كانون الثاني (1328هـ / 1910م).⁽³⁾

ومن الملاحظ أن الإنجليتين الألمان نجحوا في ثلاثة مدن هي: القدس، وحيفا، ويافا، وكانت الطائفة قبل ذلك تقيم الصلاة في "كنيسة المسيح"، بعد ظهر الأحد حسب الكنيسة الأنجليكانية، وبعد عام (1283هـ / 1866 م)، تولّى القس هوفمان "Hoffmann" أمور الطائفة، فنمت الجماعة في عهده، وأبطل الصلاة في كنيسة المسيح، وأصبح يقيمها في خرائب نزل القديس يوحنا - المارستان -، التي منحتها الحكومة العثمانية هدية لولي عهد بروسيا، الذي زار فلسطين سنة (1286هـ / 1869 م).⁽⁴⁾

⁽¹⁾ AGCJ, File 536, 13, (1903AD/1320AH), p259 أبو حسين، عبد الرحيم، السعداوي، صالح، الكنائس، ص73.

⁽²⁾ AGCJ, File 536, 13, (1903AD/1320AH), p259-374

⁽³⁾ أبو حسين، عبد الرحيم، السعداوي، صالح، الكنائس، ص88.

⁽⁴⁾ محافظة، علي، العلاقات، ص65، كلداني، حنا، المسيحية، ص370-371.

النزل

بسبب زيادة أعداد الحجاج الألمان القادمين إلى فلسطين والقدس، اتجه الألمان إلى بناء النزل لاستقبال الحجاج، ولهذه الغاية اشترى المبشر لاديسلاوس شنايدر (Ladyslaus Schneider) عام (1293هـ/1876م) أرضاً في القدس، أمام باب يافا، بمبلغ 26500 فرنك فرنسي، وبوشر ببناء النزل عام (1303هـ/1885م)، واكمل البناء عام (1305هـ/1887م)، وتولى إدارته الراهب الألماني يوسف شتاين، وبعد ذلك افتتحت إلى جانبه كنيسة صغيرة، وأصبح ملتقى للكاتوليك الألمان في القدس، وجرت توسعته في عام (1315هـ/1897م)،⁽¹⁾ إلا أن قدرته الاستيعابية ظلت محدودة، كما قاموا ببناء نزل القديس بولس بدعم من الجمعية الألمانية للأرض المقدسة، وبوساطة القنصل الألماني في القدس، اشترت الجمعية أرضاً، تبعد مائة متر إلى الشمال من باب العامود، ودفع ثمنها خمسين ألف مارك عام (1316هـ/1898م)، من أجل بناء نزل ومدرسة للصبيان ملحقه به، ويتسع لمائة وستين حاجاً، وتتسع المدرسة لمائة تلميذ داخلي، وقدرت تكاليف البناء بأكمله بأربع مائة ألف مارك، واحتوى النزل على معهد لإعداد المعلمين التابعين للبطريركية اللاتينية، الذي افتتح عام (1326هـ/1908م)، وكانت مدة الدراسة فيه أربع سنوات، وقد أغلق المعهد لفترات متقطعة، أثناء الحرب العالمية الأولى.⁽²⁾

كما شرع الألمان الكاثوليك في بناء نزل أوغستا فكتوريا، على قطعة أرض وقفية، مساحتها 90 دونماً، باسم (المطلع)، على جبل الزيتون عام (1323هـ/1905م). وكان الهدف منها إنشاء مسافر خانة مع معبد ومشتلاته لصالح حضرة الإمبراطورة أوغستا فكتوريا. وكانت الأرض مسجلة باسم الدكتور مكس بن كارل هيسر الألماني بموجب سند طابو مؤرخ في (1323هـ/1905م) على أرض نمرة 80 والبناء الذي أقيم عليها يتبع الجمعية الخيرية (قايزر أوغستا فكتوريا إشتيفتونغ) في برلين.⁽³⁾ وفي عام (1332-1337هـ/1914-1918م)، اتخذ

(1) محافظة، علي، العلاقات، ص78-79، سنو، عبد الرؤوف، المصالح، ص 198-199.

(2) العارف، عارف، المفصل، ص 538، محافظة، علي، العلاقات، ص83، سنو، عبد الرؤوف، المصالح، ص 199.

(3) AGCJ, File 435,2, (1907AD/1325AH), p28، العارف، عارف، المفصل، ص538، الدباغ، بلادنا، ج 8، ق2،

نزلاً للحجاج الألمان، واتّخذته القوّات العثمانية والألمانية بعد ذلك مقرّاً لعملياتها أثناء الحرب العالمية الأولى، ومن ثم اتّخذته المندوب السامي البريطانيّ منزلاً له بين عامي (1339-1346هـ/1920-1927م).⁽¹⁾

وتجدر الإشارة إلى أنّ قرية الطور، التي يقع عليها النزل بكاملها وقفٌ شرعيٌّ على ذريّة الشيخ المجاهد عليّ الهكاريّ، أوقفها عليه السلطان صلاح الدين الأيوبيّ، وأرض النزل لا تزال موقوفةً، وأصدر عبد الحميد الثاني سنة (1326هـ/1908م) فرمانٌ سلطانيّ بتحكير أرض الوقف المذكور رسمياً، والتحكير شرعاً: هو تأجير أرض الوقف لمدةٍ طويلةٍ، قد تصل إلى مئة عامٍ، بأجرةٍ زهيدةٍ، مقابل مبلغٍ من المال، يُدفع عند العقد، وهذا النزل اليوم هو مستشفىٌ يديره الاتحاد اللوثريّ في فلسطين.⁽²⁾

كما أسهمت الطائفة البروتستانتية عام (1266هـ/1850م) من إنشاء نزل القدس، بدعمٍ من ملك بروسيا، وبمساعدة القنصل البروسيّ في القدس، والمطران غوبات (Gubat)، ليكون نزلاً خاصاً لرعاياها وحجاجها، وفي عام (1267هـ/1851م) افتتح النزل على جبل صهيون، وكانت غايته استقبال العمّال البروتستانت بالدرجة الأولى، وقد تولّى رهبان فرسان القديس يوحنا إدارة النزل فيما بعد. وجرت توسعته عام (1283-1290هـ/1866-1873م).⁽³⁾ وانسجماً مع السياسة الألمانية العامة بعد عام (1288هـ/1871م)، تمّ تسجيل ممتلكات جميع المؤسسات الألمانية في أراضي السلطة العثمانية على اسم الرايخ الألمانيّ. ففي عام (1301هـ/1883م) تمّ تسجيل النزل في دوائر الطابو من اسم داود الكرديّ لاسم القنصل الألمانيّ في القدس، وكان هذا التعديل إجراءً شكليّاً، إذ إنّ رهبنة فرسان القديس يوحنا قد حصلت من القنصلية على مستندٍ يفيد بأنّها المالك الشرعيّ للنزل، ولها حقّ التصرف فيه.⁽⁴⁾

(1) العارف، عارف، المفصل، ص538، الدباغ، بلادنا، ج8، ق2، ص22، محافظة، علي، العلاقات، ص84، هنداوي، سهام، التطور، ص181.

(2) هنداوي، سهام، التطور، ص182.

(3) سنو، عبد الرؤوف، المصالح، ص137-141، هنداوي، سهام، التطور، ص181-182.

(4) سنو، عبد الرؤوف، المصالح، ص140.

وقد أسهمت هذه النزل في زيادة أعداد السائحين الألمان إلى فلسطين، مما مكّنهم من مشاهدة الأماكن الدينية والسياحية، وكان الحجاج يزودون بدليلٍ سياحيّ يتحدث باللغة الألمانية، وبخارطةٍ للبلاد، وبمستنداتٍ تسهّل انتقالهم في الأراضي المقدّسة.⁽¹⁾

وتجدر الإشارة إلى أنّ المتصرفيّة كانت تطلب من الرعايا الألمان والحجاج القادمين إلى فلسطين توخي الحذر في مناسبات المسلمين، وعدم الاحتكاك معهم فعلى سبيل المثال، كان الألمان يُمنعون في موسم النبي موسى* من الحصول على تراخيص حتى انتهاء هذا الموسم.⁽²⁾

الأوقاف**

قام الألمان كباقي الطوائف في وقف العقارات المختلفة، وقد حدّدت الحجج الشرعيّة نوعين من الأوقاف وهما:

- الوقف الخيري***: وهو ما يُحبس للإنفاق على الكنائس والأديرة، والمؤسّسات الخيرية الأخرى، بهدف عمارتها والصرف عليها لدى أهل الذمّة⁽³⁾ وقد تمّ استخلاص مجموعة من هذه الأوقاف، وفق الجدول الآتي:

(1) سنو، عيد الرؤوف، المصالح، ص 200.

* موسم النبي موسى: كان موسماً فلسطينياً تقليدياً قديماً منذ عهد الظاهر بيبرس، ثمّ استمر في العهد التركي، وفي هذا الموسم يتجمّع آلاف المسلمين بالاستمرار نظراً للطابع الديني الذي يحمله، كما يحيي هذه المناسبة المفتي ممّطياً جواده، فتقاليد الموسم كانت تقتضي دوماً بأن تتوجّه الجموع إلى مقام "النبي موسى" القريب من أريحا. أبو شمالة، مروان، الاستراتيجية، ص 32.

(2) AGCJ,File 442,3,(1837AD/1290AH),p26

** الوقف: يعني الحبس والمنع عن التصرف مطلقاً، حبس الشيء ومنعه، فلا يباع ولا يورث، وإنّما تملك غلّته ومنفعته. الصالح، محمد، الوقف، ص 19.

*** الوقف الخيري: وهو ما كان ابتداءً على جهة من جهات البرّ والخير، التي لا تنقطع، وهو الذي يقوم على حبس عين معيّنة على ألا تكون ملكاً لأحدٍ من الناس، وجعل ريعها لجهة من جهات البرّ؛ لتعمّ جميع المسلمين، فيدخل في هذا الوقف الفقراء، والمساكين، واليتامى، وبناء المساجد، والمدارس، والمشافي، وكلّ ما يحقّق الخير لعامة المسلمين. الصالح، محمد، الوقف، ص 53.

(3) القضاة، أحمد، نصارى، ص 401.

الرقم	الواقف	الموقوف عليه	نوع العقار	الموقع	سجل
1-	حنّا أفروتكر (Johanne Frutiger)	دير رهبان، وفقراء ملة الحبش الأرثوذكس بالقدس	دار ومخزن ودكان	محلة النصارى /القدس	سجل القدس 379،(1308 هـ/1891م) ، ص 187
2-	زلمن نحوم الألمانيّ (Zlman Nahoum) وحاييم ولد أبراهام (Chaim Abraham) من تبعة دولة أوستيريا	المعلمين والمؤدبين، والأماكن التعليمية، المقيمين داخل قومبانية بيت إسرائيل، ومكتب التلمودة، والتوراة، وعلى مكتب بير رعيص، في قومبانية ميه شعاريم.	أرض مساحتها 750 ذراعاً، مشملة على بناء وبئر ماء.	داخل قومبانية بيت إسرائيل /خارج القدس	سجل القدس 388،(1313 هـ/1895م) ، ص 23- 24
3-	نحوم بن يودا بركمان ابن العيزر (Nahoum Youda Borkman) الموسويّ الشكنازيّ الألمانيّ	طائفة السكناج في القدس والقادمين إليها منهم	دار وبئر ماء	خارج باب العامود، قرب تلول المصابين /القدس	سجل القدس 383،(1311 هـ/1894م) ، ص 144
4-	زلمن ولد نحوم (Zlman Nahoum) الشكنازيّ الألمانيّ	فقراء حاخامية الشكناز بالقدس، ثمّ الشكناز، ثمّ الحريدیم.	أرض مساحتها أربعمئة وأربعين ذراعاً، عليها أوضتان.	باب العامود من تلول المصابين /خارج القدس	سجل القدس 391،(1316 هـ/1898م) ، ص 162

5-	حاييم زوتفلت ولد شلومو (haim Zutfelt Shlomo) من دولة أوستيريا، وزلمن ولد نحوم ولد أبراهام الألماني (Zlman Nahoum)	فقراء مجمع الخيرية الإسرائيلية المسيحية، ومن ثم طائفة الموسوية البروشيم والشكناز، ومن ثم جميع الفقراء بالقدس.	بيت ومطبخ مرفق بها، وساحة مساحتها مائتان وخمسة أذرع.	جهة باب العامود بقومبانية بيت إسرائيل	سجل القدس 390، (1315 هـ/ 1897م)، ص 171-172
6-	راحيل روفائيل هرش الألماني (Rahel Rafael Hersh)	فقراء الشكناز في مكتب تلمودة، والحاخامية، والبروشيم.	دار ومخزن، وثلاث آبار معدة لجمع ماء الأستية، وساحة سماوية.	محلة اليهود / القدس	سجل القدس 390، (1315 هـ/ 1897م)، ص 96-98
7-	ولف زيل شومخر (Wolf Zell Schumacher) الموسوي العثماني، ويوشع يوحنا مردخاي (Joshua Johanne Mordecai) من تبعة ألمانيا، شموئيل داود (Shmuel David) من النمسا	على فقراء الأولاد والمعلمين، الموجودين في مكتب ومدرسة تلمودة وتوراه هكلاليت، وشيبان عيص لعموم طوائف الشكناز البروشيم، ومن ثم على ملّة الإسرائيلية الشكناز بالقدس، ومن ثم على فقراء المدينة.	أوضتان	جهة باب الخليل / خارج القدس	سجل القدس، ص 407، (1330 هـ/ 1912م)، ص 139-140

- الوقف الذريّ*: وهو ما يوقف على ذرية الواقف وزوجته وأولاده وأحفاده، فإن انقرضوا فيؤول إلى جهةٍ خيريةٍ بحسب شروط الواقف.⁽¹⁾ وقد تمّ إحصاء عددٍ من الحجج والوقفات الخاصة بالألمان على النحو الآتي:

أوقف إسرائيل حاييم زلمن (Israel Chaim Zalmaneh) الشكنازيّ، من تبعة دولة ألمانيا جميع قطعة الأرض، التي مساحتها 8981 ذراعاً مربعاً، مشتملة على أربعة عشر بيتاً، وثلاثة مخازن الكائنين خارج سور القدس على الخواجة دوب بير نفتي الشكنازيّ، من تبعة دولة روسيا الفخيمة مدّة حياته، ينتفع بها سكناً وإسكناً، وغلاً واستغلالاً، وسائر الانتفاعات الوقفية، ومن بعده إلى فقراء طائفة إكولنل إلين الشكنازيّ الموسويين، والمحافظين على التلمودة، والمتمسكين بأحكامه في جميع أماكن وجودهم الذين يتبعون الحاخام يعقوب فريد الموسويّ العثمانيّ، من أعمال دولة أوستيريا، ومن ثمّ على فقراء اليهود والشكناز مطلقاً. واشترط الواقف أنّ أول ما يبدؤون من ريع الوقف عمارته؛ لما فيه بقاء عينه، ودوام منفعتة، ودفع ما هو مرتّب عليه من ضريبة لجهة الخزينة العامرة، وحدّد بعد ذلك من يكون متولّي الوقف.⁽²⁾

وأوقف حاييم زوتفلت شلومو (Chaim Zutfelt Shlomo) الموسويّ، من تبعة دولة أوستيريا، وزلمن نحوم أبراهام (Zlman Nahoum) الموسويّ الشكنازيّ الألمانيّ من محلّة اليهود، أرضاً مساحتها خمسمائة ذراع، مشتملة على بيتين وبئر ماء، الكائنين خارج القدس، جهة باب العامود، قرب تلّول المصابين، داخل قومبانية بيت إسرائيل، على إنير يهودا (Ener Yehuda) الشكنازيّ، من تبعة دولة أمريكا، ينتفع بها مدّة حياته، سكناً وإسكناً، وغلاً واستغلالاً، ومن بعده يكون أحد البيتين، وهو الغربيّ مع البئر وقطعة من الأرض الواقعة أمامه من الجهة القبليّة، التي مساحتها 410 أذرعٍ مربّعةٍ وقفاً على أولاد فقراء الشكناز البروشيم،

* الوقف الذريّ: يُعرف بالاسلام أيضاً بالوقف الأهليّ، وهو ما جعل أول الأمر على شخصٍ معيّن، سواء أكان واحداً أم أكثر، وسواء أكانوا معيّنين بالذات كزيد وعمر، أو معيّنين بالوصف كأولاده وأحفاده، ثمّ من بعدهم على الفقراء؛ ولذا يُطلق عليه اسم (الوقف الذريّ) نسبةً إلى الذريّة، ويقوم على أساس حبس العين، والتصدّق بريعتها وثمارها في وجوه الخير، في الحال أو المآل. الصالح، محمد، الوقف، ص 54.

(1) القضاة، أحمد، نصارى، ص 397.

(2) القدس سجلّ 403، (1328هـ/1910م)، ص 96-98.

الموجودين بالمدرسة المسماة تلمودا وتورا، الواقعة داخل القدس بمحلة اليهود، والبيت الثاني مع باقي قطعة الأرض وفقاً على فقراء الشكناز، والملة الموسوية⁽¹⁾.

واستغلّ الألمان بعض الأراضي الموقوفة من خلال استئجارها. حيث استأجر لودفيك شنلر (Ludwig Schneller) البورسياني من المرأة صبورة بنت يعقوب ولد مردخاي الموسوي العثمانية متولية وقف الخواجة ميمون حاييم ولد شمعون الموسوي الشكنازي العثماني، وهو الداران المذكورتان الواقعتان خارج القدس الشريف ويافا مدة أربع سنوات، من غرة محرّم سنة (1320هـ/1902م) لنهاية (1323هـ/1905م)، ببذل قدره 600 ليرة ذهب فرنساوية، بحساب البذل عن كل سنة 150 ليرة فرنساوية، وينتفع بها سكناً وإسكناً⁽²⁾.

وتورد السجلات بعض حالات التعدي على الأملاك الوقفية، والسيطرة عليها من الألمان أو غيرهم، حيث "حضر السيد شمس الدين أفندي من أهالي القدس، من محلة الواد، وأقام دعوى على بايير هينيريه (Bayer Henrié) البورسياني اللوكاندي، المشهور المقيم بالقدس، الواضع يده بطريق الغصب، بدون حق على دار الوقف الكائنة بالقدس، الواقعة برأس عقبة الظاهريّة، المشتملة على بيوت، وبئر ماء، ومرافق ومنافع شرعية، الجارية بوقف جدّي المرحوم السيد مصطفى بن عبد الرحيم أبو النصر، بموجب كتاب الوقف الموجود المؤرخ (1182هـ/1768م)، وعلى من يشهد عليه بايير المذكور كائناً من كان من قنصل دولة بروسيا الفخيمة، أو غيره، وطلب تخلية الدار وتسليمها إليه بالوجه الشرعي"⁽³⁾. وفي المقابل اعتمدت بعض الطوائف الأخرى على الألمان في رعاية أوقافها وتعميرها، حيث تمّ توكيلهم بذلك. كما أشارت إحدى الحجج: "إنّ المدعو أبراهام مولش (Abraham Molsh) الموسوي، من تبعة دولة روسيا، قام بتوكيل كل من داود مردخاي، وأشير العيزر (Asher Eliezer)، وكلاهما من طائفة الشكناز الموسوية، ومن تبعة دولة ألمانيا، ومن سكّان القدس بتولي الوقف، الذي يرجع

(1) القدس سجلّ 395، (1318هـ/1900م)، ص 69.

(2) القدس سجلّ 395، (1319هـ/1901م)، ص 160.

(3) القدس سجلّ 381، (1308هـ/1891م)، ص 27.

لوالده مولش (Molsh)، وهو جميع البيت الكائن خارج القدس الشريف، جهة باب الخليل، وتأجير به بالبدل، الذي يرغبه، وتعمير ما يلزم تعميره من العمارة الضرورية".⁽¹⁾

وتولّى كذلك يشوعا شلتك يوحنا مردخاي (Johanne Mordecai) الشكنازيّ، من تبعة دولة ألمانيا متابعة وقف دكانين، ومخزنين بالقدس، كائنين بمحلة الواد، بخطّ الشوايين، يعود وقفه إلى المرأة صبورة بنت إسرائيل ولد إبراهيم شورا الشكنازيّة العثمانيّة، وقام بإجراءات الوقف زوجها ماير يعقوب موسى (Meyer Jacob) الشكنازيّ العثمانيّ.⁽²⁾

الاستبدال*

ظهرت الحاجة إلى استبدال الوقف بسبب سوء حالة العقار الموقوف، أو قلّة العائد الماديّ منه؛ لهذا الغرض لجأ متولّي الوقف إلى شراء عقارٍ آخر، واستبدال الوقف القديم؛ لضمان العائد الماديّ للجهة الموقوفة. كما أنّ الاستبدال محاولةً فقهيةً للتغلب على معضلة بيع الموقوفات غير المجزية ماديّاً، للحفاظ على مصادر الربح الخاصة بالأوقاف للقيام بدورها الاجتماعيّ.⁽³⁾ وبناءً على ذلك، حرصت الجالية على استبدال بعض الأراضي والعقارات الموقوفة. وكانت أحياناً تحت إشراف القنصل الألمانيّ، نيابةً عن الإمبراطور الألمانيّ، ويظهر الجدول الآتي بعض الأمثلة على ذلك:

الرقم	صاحب الملك	نوع العقار /المستبدل	الشخص المستبدل	قيمة البدل	المصدر
1-	عبد الوهاب ابن الشيخ صالح الدجانيّ، والأرض تعود	نصف حاكورة داخل القدس، بأول سوق	غيليوم الثاني إمبراطور ألمانيا،	3000 ليرة فرنساويّ.	سجلّ القدس 391، (1316هـ/ـ) 1898م، ص 134، وسجلّ

(1) القدس سجلّ 397، (1322هـ/1904م)، ص 35.

(2) القدس سجلّ 392، (1317هـ/1899م)، ص 132-133.

* الاستبدال: هو بيع العين الموقوفة، وشراء عينٍ أخرى، وجعلها وقفاً بدلاً منها، أو هو نقل الوقف من عينٍ إلى أخرى. الصالح، محمد، الوقف، ص 131.

(3) المدني، زياد، مدينة، ص 117، القضاة، أحمد، نصارى، ص 407.

	ملكيّتها لآل الداوديّ	اللّحامين، بالجهة القبليّة، بسويقة باب العامود.	ووكّل عنه القنصل الألمانيّ بالقدس.	392، (1317هـ/ 1899م)، ص 25-24
-2	عبد المعطي ابن الشيخ حسن الترك، ابن الشيخ سعيد ابن الشيخ مصطفى الترك الدنف من القدس	أرض خربة، لا يوجد بها أشجار، وغير قابلة للزراع، خارج القدس، في جبل الطور.	حضرة صاحب الرتبة موسيو إدموند شميد (Edmund Schmid) ابن الخواجة شميد قونسلوس دولة ألمانيا بالقدس.	مقابل جميع دار الملك المبنيّة المشتملة على بيوت ومنافع وحقوق شرعيّة، قيمتها تساوي مبلغ 12960 قرشاً، الكائنة داخل القدس، بمحلّة الواد، وجميع الحصّة قدرها 22 سهماً من أصل 24 سهماً، في جميع الدار الكائنة بالمحلّة المذكورة، التي تقدّر قيمتها بـ 31000 قرش، وإنّ إيجارها بالسنة يساوي 20 ليرةً فرنساويةً.

وكانت عمليات الاستبدال لا تتم إلا بالحصول على إذن شرعيٍّ من المحكمة الشرعية،⁽¹⁾ وغالباً يلجأ الناس للاستبدال عندما يكون الوقف بحاجةٍ إلى تعمیر، ويكون البناء قديماً ومتراًهلاً، وفي هذه الحالة، يقوم أصحاب الشأن برفع تقرير بحالة البناء كله إلى القاضي، الذي بدوره يكلف أشخاصاً من ذوي الخبرة، لفحص الأمر وتدقيقه، ومن ثم يصدر القرار،⁽²⁾ وعادةً ما يكون المستبدل أرضاً تابعةً لجهة وقف، ولكنّها بور، غير صالحةٍ للزراعة، كما ورد في إحدى الحجج ما نصّه: "أنّ الأرض لا يوجد بها أشجار، وغير قابلةٍ للزرع، ولا يحصل منها غلةٌ لجهة الوقف سوى القليل، لقلّة ترابها، وكثرة صخورها". وأحياناً لفقر الحال لدى متولّي الوقف، ما يمنع عمارها "فلا يوجد مال لديه ليعمل على إعمارها، وإن بقيت كذلك يضيع الوقف"،⁽³⁾ وغالباً ما كانت القنصلية تبعث مهندسين ألماناً، لديهم خبرةٌ للكشف عن الأراضي والعقارات، ولبيان المساحة والثلث التقديري، فقد أرسل القنصل الألماني المهندس صندل (Sandell) الألماني إلى أرض خربة، خارج القدس، تقع في جبل الطور؛ من أجل استبدالها، حيث أورد في تقريره أنّه "وجد مساحتها خمسة عشر ألفاً وسبعماية وخمسين متراً مربّعاً، وهي بالحقيقة خربةٌ بعيدةٌ عن العمارات، وخالية من الأشجار، وترابها قليل، وصخورها كثيرة، وأنّ أجرتها المثليّة سنوياً، تساوي ليرة، وقيمتها تساوي خمسة آلاف قرش"،⁽⁴⁾ والملاحظ أنّ الألمان دفعوا مبالغ طائلةً أضعافاً مضاعفةً، عن قيمة الشيء، وهذا يدلّ على مدى التنافس الشديد، من أجل الاستيلاء على الأرض، ويدلّ على مدى قوتهم الماليّة.⁽⁵⁾

المقابر

حرصت كلّ طائفةٍ على أن تكون لها مقبرةٌ خاصّةٌ لدفن موتاهها، واهتمّت الجالية الألمانية بهذا الأمر، وعمدت مراراً إلى رفع طلباتٍ إلى المتصرفيّة في القدس، من أجل الحصول على رخصةٍ لشراء أرضٍ لإقامة مقبرةٍ عليها، حيث قدّمت القنصلية عام (1319هـ/

(1) القدس سجلّ 395، (1318هـ/1900م)، ص 24-25.

(2) القدس سجلّ 392، (1317هـ/1899م)، ص 166.

(3) القدس سجلّ 397، (1324هـ/1906م)، ص 124، سجلّ 400، (1324هـ/1906م)، ص 38.

(4) القدس سجلّ 400، (1324هـ/1906م)، ص 38-39.

(5) القدس سجلّ 397، (1324هـ/1906م)، ص 124، سجلّ 400، (1324هـ/1906م)، ص 38-39.

1901م) الى المتصرفية طلباً لاتخاذ الأرض المشجرة في منطقة الزقاق في بيت لحم، وتقدر مساحتها بثلاثة دونمات و 400 ذراع كمقبرة للطائفة البروتستانتية⁽¹⁾. وكانت لها أيضاً مقبرة بالقدس، عرفت بالمقبرة الإنجليزية الألمانية، تقع على جبل صهيون الجنوبي⁽²⁾.

وفي رسالة وجهها القنصل الألماني في يافا ولس إلى قائممقامية يافا عزتلو أفندي، يبين فيها مقابر الألمان في يافا، حيث اتخذت أول مقبرة للجالية الألمانية في منطقة أرض ملك مساحتها أربعمئة ذراع مربعة واقعة في ظاهر يافا، كانت في الأساس مدفنًا لجمعية أميركانية أخذها الألمان، وسجلت باسم الخواجه كريستوف هوفمان، رئيس جمعية التامبل (الهيكلين) في يافا، وبعد ذلك اضطر الألمان للحصول على قطعة أخرى لدفن أمواتهم. وتلك القطعة مساحتها دونم واحد، أفرزت من أراضي إسكندر بك روك وشركاه، وتم شراؤها باسم جمعية التامبل الألمانية سنة (1287هـ/1870م). وبسبب امتلائها قام الخواجه هرتك الألماني في يافا بشراء قطعة أرض مساحتها دونمان، ووهبها لجمعية التامبل. وهذه الأراضي الثلاث الواقعة في يافا كانت لجمعية التامبل، إضافة إلى مقبرة قومبانية الألمان، المعروفة باسم (فيلهلما) بالقرب من قرية اليهودية، والقطعة التي بتصرف الخواجه كريستوف هوفمان، ومساحتها 16 دونماً⁽³⁾.

وكانت جمعية التامبل الألمانية اشترت أرضاً لها على طريق الطواحين، خارج قصبة يافا بمبلغ 1500 قرش، وطالبت بتحويلها إلى مقبرة، وهي من الأراضي الأميرية، وصدرت الإرادة السنية بتحويلها إلى مقبرة بنسبة بدل العشر، البالغة 45 بارة*، والذي يجب تقديره بمعدل 30 بارة في الألف، من قيمة الأرض أن تجري زيادته إلى عشرة أمثال، طبقاً للقرار المخصوص، ليصبح 11 قرشاً وعشر بارات، وهو القيمة الإيجارية التي يلزم تسديدها سنوياً عن الأرض⁽⁴⁾.

(1) AGCJ,File 440,6, (1900AD/1318AH),p125-150، شوكة، خليل، بيت لحم، ص 63.

(2) القضاة، أحمد، نصاري، ص 426.

(3) BOA,SD,2309,15

* البارة: وهي كلمة فارسية، تعني شقة أو قطعة أو جزء، تعد أصغر وحدة نقدية في الدولة العثمانية، وكل أربعين بارة تساوي قرشاً واحداً. الحزماوي، محمد، التاريخ، ص 50.

(4) أبو حسين، عبد الرحيم، السعداوي، صالح، الكنائس، ص 89.

العلاقات الألمانية العربية

اتّسمت العلاقات بين المستعمرين الألمان والسكان العرب (المسلمين) في فلسطين بالشكّ والريبة والحذر، وقد أدرك ذلك قادة الهيكلين في فلسطين، أمثال كريستوف هوفمان، الذي زار فلسطين برحلة استطلاعية عام (1275هـ/1858م)، وقال إنّ مشروعه لن يحظى بتأييد السلطات العثمانية فحسب، وإنّما سيواجه مقاومة حقيقية من جانب السكان العرب، الذين يشكّل المسلمون منهم أكثر من 90%،⁽¹⁾ وتوصّل عام (1299هـ/1882م) إلى استنتاج مفاده أنّ إقصاء العرب، أمرٌ غير مستطاع؛ لأنّهم يشكّلون الأكثرية الساحقة، وهم أصحاب البلاد الشرعيون، وليسوا بالعزل، بل هم مدعومون من تركيا عسكرياً، بحيث تستطيع أن تمنع أيّ عملٍ عنيفٍ ضدّ السكان الأصليين،⁽²⁾ خاصّة أنّ فرسان الهيكل منذ البداية احتقروا السكان المحليين، ونظروا إليهم نظرة دونية.⁽³⁾

لذلك خشي العرب المسلمون من المؤسّسات الألمانية، التي تعمل في فلسطين ورأوا فيها عيوناً للتبشير، وتردّدوا في دمج أبنائهم فيها، إلّا أنّ نجاح المؤسّسات التبشيرية الألمانية، المتمثّلة بالمدارس والمستشفيات، جعلها محطّ أنظار المجتمع المحافظ التقليديّ، بالإضافة إلى الدولة العثمانية، لكن نجاح مدرسة طاليطا قومي بتتصير بعض البنات المسلمات، دفع الدولة العثمانية إلى اتخاذ قرار عام (1286هـ/1869م) بإغلاقها، كما أمرت المحكمة العثمانية في القدس جميع العائلات الإسلامية بسحب بناتها من طاليطا قومي، إلّا أنّ هذه الإجراءات كانت غير كافية، خاصّة بعد إعادة افتتاح المدرسة، إذ عاودت بعض العائلات إرسال بناتهم إليها، في ظلّ غياب مدارس لتعليم الإناث، ولكنّ حوادث التنصير تجددت، ممّا جعل الدولة تصدر قراراً عام (1301هـ/1884م) بمنع مدرسة طاليطا قومي من استقبال البنات، وقامت الدولة العثمانية في نفس العام بفتح مدرسة للبنات، داخل المدينة.⁽⁴⁾

(1) محافظة، علي، العلاقات، ص 128-130.

(2) الكزاندر، شولش، تحولات، ص 89-90.

(3) يزبك، محمود، النظم، ص 331-332.

(4) سنو، عبد الرؤوف، المصالح، ص 102.

ومع ذلك، فقد استفاد المجتمع الفلسطيني بشكل كبير من المؤسسات التبشيرية التي أنشئت، فتشير الإحصائيات المسجلة مع نهاية القرن التاسع عشر إلى تخرج أكثر من 1000 طالبة في مدرسة طاليطا قومي، وفي المجال الصحي، تمت رعاية ما لا يقل عن 20 ألفاً من المرضى في المستشفيات، بالإضافة إلى عشرات الآلاف من المرضى، الذين تلقوا العلاج في العيادات الخارجية، ونظراً لنشاط الشماسات الألمانيات بين العرب ولتأثيرهم الواضح عليهم في مجال التعليم والثقافة، وبفضل الجهود المبذولة منهن على المرأة العربية، أصبح لديها إدراك حقيقي لقيمتها، وثقة بنفسها مما ساعدها على تطوير نفسها، لتلعب دوراً نشطاً في المجتمع المحلي، ومن الملاحظ أنّ الشماسات لم يقمن باختراق الحواجز بين العائلات العربية بسهولة، أو التأثير عليهم بشكل جذري⁽¹⁾.

ومع مرور الوقت، أدرك العرب أنّ مشروع الهيكلين الألمان ليس خيرياً كمشاريع الإرساليات التبشيرية المنتشرة في البلاد، وأنّ الألمان الذين تركوا أوطانهم جاؤوا لهدف واحد، هو الاستيلاء على أراضيهم، وامتصاص دمائهم، وأنّ المشاريع الألمانية في فلسطين، لم تستطع كسب القلوب، وإنّما بنتت الكراهية بينهم، كما نظر الألمان إلى العرب نظرة استعلاء وتفوق، وحملوا أفكاراً معادية للعرب، وكان القادة الهيكليون يخشون من الاختلاط بالسكان العرب، والذوبان في المجتمع المحلي، فالشرقيّ في نظرهم: "وقح متعجرف بالطبيعة، يمارس السرقة والاستجداء، ولا يحني هامته إلّا للقوة والمال"، وكان يحذرون أيضاً من التزاوج مع العرب، يقولون: "من الأفضل للألمانيات أن يبقين عوانس من أن يلقين بأنفسهن في أحضان الرعاع"، وكانوا يسمّون أنفسهم بشعب الله المكلف: لبناء مملكة الربّ في القدس؛ لذلك تحاملوا على العرب⁽²⁾، وكان العرب يرون في الهيكلين أنّهم يرغبون في الثراء على حساب السكان الأصليين، الذين تولوا الزراعة والصناعة، وعانوا الفقر والهجرة من السكان، إضافة إلى الخلافات الدائمة مع الألمان، حول قضايا ملكية الأراضي⁽³⁾.

(1) سنو، عبد الرؤوف، المصالح، ص 108.

(2) محافظة، علي، العلاقات، ص 128-130، نعمة الله، إبراهيم، الرملة، ص 95.

(3) Kark.Ruth.Technological. p 6-7

ونتيجة لذلك، خشي المستعمرون الألمان من اعتداء المسلمين عليهم أثناء الحرب البلقانية عام (1292-1295هـ/1875-1878م)، وطلبوا الحماية من حكومتهم، فرأت أن تبعث ببوارج حربية إلى الشواطئ الفلسطينية في خطوة غير مسبقة، رغم ذلك، فقد شعر المستعمرون الألمان بضيق شديد، عندما أخذ العرب ينافسونهم في الميدان الاقتصادي، فقد حلّ العرب محلّ سائقي الشاحنات الألمان بالعمل على طريق حيفا - عكا، كما ألحقوا أضراراً كبيرة بشركة السفريات الألمانية على طريق يافا - القدس، من خلال تخفيض أجور السفر، وواجه الحرفيون الألمان منافسةً مماثلةً كذلك.⁽¹⁾

وقد جاءت هذه الخشية على شكل عدم ثقة في الوكالات التجارية الألمانية، التي كانت قليلةً مع العرب المسلمين، مقارنةً مع اليهود والمسيحيين، فعندما كان يتوفّر بديلٌ للعرب، كان الألمان يلجأون إلى وكيلٍ من النصارى، أو الجالية الأوروبية والروسية واليهود، والحجة الآتية تدعم ذلك، إذ تذكر أنه "بعدما قام البارون بلاطون أوستينوف بن غريغوري، من تبعة دولة ألمانيا بتوكيل الحاج محمد أفندي أبي جياب، برهن كافة أملاكه المقيّدة باسمه وبيعها، وجميع الاشتمالات والعقارات الموجودة داخل القالونية الألمانية، من قطع أراضٍ وبساتين، الموجودة بالقدس تحت يد الدكتور فرنكله الأمريكي، وبيع جميع المنقولات الموجودة بالقدس من أدوات اللوكاندة والأحجار الموجودة بالعمارة ومياه الآبار، إلّا أنه تمّ عزله، وتوكيل التاجر الألمانيّ المسيحيّ، المقيم في يافا الخواجه داود هال بن مورييس هال، التاجر المسيحيّ، من تبعة دولة ألمانيا الفخيمة وكالةً مطلقةً عامّةً".⁽²⁾

وفي بعض الأحيان، كانت تحدث مشكلات بين الألمان والعرب، وكثيراً ما أوردت سجلّات القنصلية بعض الشكاوى، التي رفعت إلى قائممقامية يافا، بخصوص تعديّ سكّان القرى العربية المجاورة للكولونيات الألمانية على الألمان، ومثال ذلك: ما رفعته القنصلية من شكوى مفادها أنّ بعض أهالي قرية الطيرة، القريبة من المستعمرة الألمانية (ويلهلما) في يافا، كانوا قد

(1) محافظة، علي، العلاقات، ص 128-130.

(2) القدس سجلّ 400، (1324هـ/1906م)، ص 47-48.

تعرّضوا لبعض الألمان في المستعمرة، وضربوهم بالأحجار، وهدّوهم بالقتل والنهب والسلب، وبخصوص ذلك تطلب القنصلية إجراء التحقيقات وإرسال الشرطة، والطلب من بلدية يافا التنبيه على مختاري القرية حول ذلك،⁽¹⁾ وتكرّرت الرسائل التي تستعرض حالات التعدي، الحاصلة من أهالي القرى الواقعة على طريق قومبانية (ويلهلما)، القائمة على أراضي قرية اليهودية، فتذكر أنه كلما مرّت عربات المانيّة، كان يتمّ التعرّض لها من شبّان وصبيان القرى المجاورة، وكانوا يركبون تلك العربات، وينزلونهم عن الخيل، وأكثر تلك التعرّضات، كانت من أهالي كفر عانة* وسلم**، بالإضافة إلى منعهم من المرور بالطريق السلطاني، من خلال وضع محصولات أراضيهم بوسط الطرق المعدّة لمرور العموم، وتطلب منه إرسال أوامر إلى مختير تلك القرى؛ لمنع الأهالي من الاعتداء على الألمان (1328هـ/ 1910م).⁽²⁾

أمّا علاقة الألمان مع النصارى المسيحيين من الطوائف الأخرى، فكانت علاقة مصالح ومنافع، وجرى بينهم عددٌ من الوكالات، فتولّى الألمان إدارة شؤون وأملاك بعض النصارى،⁽³⁾ إضافةً إلى الاستعانة بهم في بعض الوظائف، فقد ضمّت القنصليات الألمانية عدداً من المترجمين النصارى، حيث يرد ذكر فرنسيس أفندي ابن متيا مروم،⁽⁴⁾ وابنه فضل الله أفندي ابن الخواجة فرنسيس مروم اللاتينيّ العثمانيّ مترجمين في القنصلية الألمانية في القدس.⁽⁵⁾

(1) AGCJ,File 542,9, (1910AD/1328AH),p84 -85

* كفر عانة: قرية في الجهة الشرقية من يافا، على بعد أحد عشر كم، وعلى بعد ثلاثة كم من العباسية، وعانة تعني الغنم والضأن، دمرها اليهود في عام 1948م، وأقاموا على أرضها مستعمرة (أونو)، و (أور يهودا)، و (هيميد). شراب، محمد، معجم، ص 624.

** سلم: وهي سلمة: قرية تقع على بعد خمسة كم إلى الشرق من مدينة يافا، يذكر أنها منسوبة إلى الصحابي سلمة بن هشام بن المغيرة، ترتفع القرية (27) متراً، يجري بالقرب منها وادي سلمة، الذي يرفد من نهر العوجا، وأكثر مزارعها من الحمضيات، شراب، محمد، معجم، ص 450-451.

(2) AGCJ,File 544, 8,(1910AD/1328AH), p247

(3) القدس سجل 397،(1322هـ/1904م)، ص 27

(4) القدس سجل 402،(1326هـ/1908م)، ص 152.

(5) القدس سجل 381،(1309هـ/1892م)، ص 69.

علاقة الألمان مع اليهود

استغلَّ اليهود دعم المؤسَّسة الرسميَّة الألمانيَّة لهم، في اتِّخاذ موطنٍ قدم في فلسطين، إذ لقي اليهود تشجيع رجال الدين الألمان، الذين كانوا يهدفون إلى تنصير اليهود وتوطينهم في فلسطين، وتطلَّع المهاجرون اليهودُ الألمانُ من خلال قدومهم إلى لواء القدس واستيطانهم فيه، إلى تحقيق حلمهم في العودة إلى مملكة داود وبناء الهيكل، فتشير السجَّلات إلى عددٍ من الأفراد الألمان المنتمين إلى الديانة اليهودية، الذين عملوا تحت الحماية الألمانية، بموجب المعاهدات الدولية، فاستغلَّوا ذلك بشراء الأراضي والعقارات في الأماكن المهمَّة من مدينتي القدس ويافا، وكان من أملاكهم دورُ عبادةٍ، وأوقافٌ، ومدارسٌ، ومستشفياتٌ، وأحياءٌ خاصَّةٌ، فشكَّلوها نسبةً عاليةً من المستوطنين الألمان، وتمتَّعوا بالحماية الألمانيَّة، واستفادوا من الامتيازات المقدَّمة لهم، حتى هزيمة ألمانيا في نهاية الحرب العالميَّة الأولى، لتبدأ السجَّلات بالإشارة إليهم باليهود الإسرائيليين، وليس الألمان، وكانت ألمانيا تتبنَّى - بصورةٍ غير مباشرةٍ - منح الحماية الواسعة لليهود، الذين يخدمون الفكرة الألمانيَّة، من خلال فرض حمايتها لعددٍ من المؤسَّسات اليهودية في البلاد المقدَّسة، ويتَّضح ذلك من خلال عبارات الاحترام والتبجيل، التي أطلقها القيصر الألمانيّ، خلال زيارته الأخيرة إلى فلسطين، تجاه (هيرتزل)، رئيس الحركة الصهيونيَّة.⁽¹⁾

وفي بدايات استيطان (الهيكلين الألمان)، فقد اتَّخذت جمعية الهيكل موقفًا عدائيًا من اليهود واليهوديَّة، قبل استيطان أفرادها في فلسطين لاعتبارات دينيَّةٍ محضةٍ، غير أنَّ هذه المواقف قد تبدَّلت بعد استيطان الهيكلين في فلسطين، ولم يتردَّدوا في التعاون مع المهاجرين اليهود ومستعمراتهم، لمواجهة المجتمع العربيِّ المناهض لهم،⁽²⁾ واتفقت النظرة اليهوديَّة مع الهيكلية (الألمانيَّة) ضدَّ العرب والفلسطينيين.⁽³⁾

(1) القدس، سجِّل 381، (1309هـ/1892م)، ص 89، سجِّل 382، (1308هـ/1891م)، ص 79، سجِّل 388، (1313هـ/1895م)، ص 35، سجِّل 390، (1314هـ/1896م)، ص 42، سجِّل 393، (1319هـ/1901م)، ص 184. ملف محكمة بداية القدس الشريف، رقم 1/1 لعام (1336-1337هـ/1918-1919م)، ص 59، الكيالي، عبد الوهاب، تاريخ، ص 95، الشناق، محمود، العلاقات، ص 169، سنو، عبدالرؤوف، ألمانيا، ص 290-294، والمصالح، ص 45.

(2) محافظة، علي، العلاقات، ص 130-131.

(3) نعمة الله، إبراهيم، الرملة، ص 95.

حاول اليهود الاستفادة من تجربة المستعمرين الألمان الزراعية، وأصبحوا فيما بعد، ينافسونهم في ذلك،⁽¹⁾ خاصة في مجال مقاومة أمراض العنب، وفي تربية الطيور، وزراعة الخضروات في المنازل والحدائق، وفي بعض التطورات التكنولوجية، وأصبحوا ينافسون الألمان في مجال النقل على الطرقات بين يافا والقدس،⁽²⁾ لعل المستعمرات الألمانية قدّمت بصورة غير مباشرة دعماً كبيراً لليهود، ومهّدت لهم الطريق نحو بناء مستعمراتهم المتطورة والحديثة، حيث استفاد اليهود، كما أشرنا سابقاً، من التجارب الألمانية، ووطّدت ألمانيا علاقاتها بهم، من خلال قنصلها في القدس ويافا.⁽³⁾

وتظهر السجّلات والوثائق مدى عمق العلاقة بينها، إذ عاش الألمان، وسكنوا إلى جانب اليهود في نفس أحيائهم وأماكنهم في مدينة القدس، وتعاملوا مع بعضهم بعضاً في الأمور العقارية والاقتصادية والوكالات، حيث امتلك إبراهيم زكي موسى مردخاي الموسوي الشكنازي الألماني داراً في محلة اليهود، وقام ولف ولد زوسمن ولد ليبيب الموسوي الشكنازي العثماني اليهودي في توكيله في فكّ رهن بيته، القائم بنفس المحلة من ليميات ولف ميخائيل شولمن الموسوي الشكنازي، من تبعة دولة روسيا،⁽⁴⁾ بالمقابل، أوكل الألمان عقاراتهم، ورهنوها لأشخاص يهود،⁽⁵⁾ كما يظهر بعض القضايا لدى المحكمة، كتوكيل ماريا بنت الخواجة سيمون بن إبراهيم لوزنتال البروتستانتية، من سكّان القدس زوجة الخواجة بركم، صاحب المعزة استريادي أفندي، من أعضاء لواء القدس الشريف ابن إستاربو الرومي، في حصّتها البالغة ثمن سهم واحد من ثمانية أسهم، في جميع أرض الطالبيّة، الكائنة خارج القدس، الواقعة بأرض البقعة، المشتملة على بناء، ودار، وبئر معدّة لجمع ماء المطر، وأشجار منوعة، وعلى جدران من جهاتها الأربع، ومنافع شرعية، بموجب سند نظامي سنة (1294هـ / 1877م)،⁽⁶⁾ وقام استريادي ببيع جميع الحصّة وقدرها 12 قيراطاً، من أصل 24 قيراطاً، في جميع أرض الجيزية

(1) محافظة، علي، العلاقات، ص 130-131.

(2) Kark.Ruth.Technological. p 9

(3) الوعري، نائلة، دور، ص. 172.

(4) القدس سجلّ 390، (1314هـ/1896م)، ص 42.

(5) القدس سجلّ 388، (1313هـ/1895م)، ص 35.

(6) القدس سجلّ 379، (1308هـ/1891م)، ص 126.

إلى المشتري حنا أفروتكر بالقدس، مقابل 4000 غرش،⁽¹⁾ وحتى أن اليهود قاموا بتوكيل الألمان في عمليات البيع لهم، حيث وكل استريادي أفندي الرومي، أحد أعضاء إدارة لواء القدس، بتوكيل الخواجة جورجى بن يعقوب، من تبعة دولة ألمانيا الفخيمة، وسكان يافا، في بيع خمس دور يملكهن خارج يافا، على طريق القدس،⁽²⁾ وقام كذلك ببيع دور وبيارات كائنات في يافا.⁽³⁾

كما أسهم القنصل الألمان في الدفاع إلى حد كبير عن اليهود، والاحتجاج لدى الدولة العثمانية لصالحهم، إذ احتج القنصل الألماني في القدس لصالح أحد رجال اليهود، الذي كاد يفقد ممتلكاته، التي أنشأها بالقرب من يافا؛ لأنه قام بإنشائها دون الحصول على رخصة من المتصرف، ونجح في منع معاقبته، بحيث أبلغ سفارة حكومته في القسطنطينية للوقوف إلى جانب اليهودي، وكان له ما أراد،⁽⁴⁾ وكانت القنصلية الألمانية تقوم بإبلاغ الحكام الإداريين في المتصرفية، حول الاعتداءات التي تلحق باليهود من ضرب وقتل وسرقة، من أجل مجازاة مرتكبيها من العرب، فعلى سبيل المثال: تقدمت القنصلية بشكوى حول اعتداء على أحد رعايا الألمان اليهود ليلاً، داخل سور القدس، جهة باب العامود، من ثلاثة أشخاص، وسلبوا منه ساعة وقلادة ذهبية، وقد تمكن رجال البوليس من إلقاء القبض عليهم، واسترداد المسروقات، وفي شكوى أخرى مقدمة لجناب قنصل إمبراطورية ألمانيا في يافا، أن مصطفى ابن الحاج حسن الطري اعتدى على زوجة (فابري)، من تبعة ألمانيا، وضربها بسكين في ظهرها، على كتفها الأيسر، وتم إلقاء القبض على المجرم، ويطلب الزوج إجراء التحقيقات القانونية بحق الفاعل،⁽⁵⁾ وفي شكوى أخرى مقدمة من ممثلي يهود الشكناز، من مختلف الجنسيات الأجنبية في مدينة الخليل إلى قنصل ألمانيا في القدس، يعلمونه بأنهم في هذه البلدة مسلوبو الأمن، ويعانون من السرقة والقتل، إذ قتل ليلة أمس شخص من طائفتنا، وسط السوق، داخل دكانه، وعلاوة على

(1) القدس سجل 381، (1308هـ/1891م)، ص 29.

(2) القدس سجل 384، (1311هـ/1894م)، ص 97.

(3) القدس سجل 384، (1311هـ/1894م)، ص 98.

(4) الوعري، نانلة، دور، ص 214.

(5) الشناق، محمود، العلاقات، ص 486.

ذلك، منذ أسبوع أخرجت جثة من قبر أحد تابعية دولة إنجلترا، وقطع رأسها، ولم يزل الرأس مفقوداً إلى الآن، الحاصل أنّ الإهانة والسرقة والقتل، أحاطت بنا وبأطفالنا، ونسترحم المحافظة على أرواحنا، توافيق يهود تابعية، إنجلترا، وفرنسا، والنمسا، وألمانيا، وروسيا، وأمريكا.⁽¹⁾

اتبعت الدولة العثمانية في بادئ الأمر إجراءاتٍ مشددةً لمنع دخول اليهود إلى فلسطين، إثر الهجرة اليهودية من روسيا عام (1299هـ/1881م)، وأرسلت تعميماتٍ إلى القنصليات العثمانية في الدول الأوروبية، وإلى الحكام الإداريين في فلسطين لتطبيق ذلك، ليقوم المتصرفون في فلسطين بإبلاغ القناصل الأجانب بهذه الأوامر برسائل رسميةٍ للاطلاع عليها، فقد بعث المتصرف (رؤوف باشا) إلى قنصل دولة ألمانيا في القدس يعلمه بقرار منع اليهود من التوطن على أرض فلسطين، ويسمح لهم فقط بالزيارة، وإقامة مؤقتةٍ لمدة شهر، وبعدها يخرجون من فلسطين، وطلب معاونة القناصل بهذه الأمور، وتقديم تسهيلاتٍ لهم عند المغادرة من ميناء يافا، وتطبيقاً لذلك، فقد أعلم قائمقام يافا وكيل القنصل الألماني في يافا "بأنّ (بير كرينمان) الموسوي، أحد متبوعي الإمبراطورية الفخيمة، وهو من ممنوعي الإقامة، حضر بخصوص تلغراف من القدس؛ لأجل إعادته لوطنه توفيقاً للأصول، وعند وصوله إلى يافا يؤخذ منه الباسبورت، وبعد إركابه ببابور يسلم الباسبورت،⁽²⁾ وكانت السلطات المحلية ممثلةً بالمتصرف تخاطب القنصليات في أمور يهود بلادهم، خاصة المخالفين منهم لأنظمة الإقامة في فلسطين، إذ بعث متصرف القدس الشريف (كاظم بك) برسالةٍ إلى قنصلية ألمانيا في القدس، يطلب من القنصل المصادقة على إجبار بعض رعايا الدولة الألمانية (اليهود) على مغادرة البلاد؛ لأنهم يقيمون على أرض فلسطين بصورة غير مشروعة، بناءً على الكشوفات المحررة في ميناء يافا باليهود الداخلين إلى البلاد، منهم رعايا ألمان، وذلك بعد انتهاء مدة زيارتهم، وكانت مثل هذه الطلبات لا تؤخذ بالحسبان من ناحية القنصل، ويبقى اليهود في فلسطين،⁽³⁾ وخلال عام (1317هـ/1899م)، كان 350 يهودياً ممن يحملون الجنسية الألمانية في القدس وحدها.⁽⁴⁾

(1) الشناق، محمود، العلاقات، ص 486.

(2) الشناق، محمود، العلاقات، ص 119.

(3) الشناق، محمود، العلاقات، ص 130.

(4) رافق، عبد الكريم، فلسطين، ج2، ص 872.

وفي عام (1324هـ/1906م) اشترى الألمان 340 دونماً في يافا للمهاجرين اليهود، وهذا يعكس مدى الدعم الذي تلقته الحركة الصهيونية في اللواء من الألمان،⁽¹⁾ وبذلك شكّل الرايخ الألماني منافساً جدياً لإنجلترا لحماية اليهود،⁽²⁾ وتجدر الإشارة إلى أنّ عدداً كبيراً من اليهود، كانوا يحملون الجنسية الألمانية.⁽³⁾

ونظراً لدور اليهود، واحتمال تأثيرهم في مسألة انحياز أميركا لأحد الطرفين في الحرب، فقد قام السفير الألماني بالضغط على حكومته لمنح اليهود ما يطلبونه في عدّة مناسبات، وعلى هذا الأساس تدخل سفير ألمانيا في إستانبول للضغط على الدولة العثمانية لإعادة فتح بنك الإنجلو - فلسطين، وكان أحد أهمّ مؤسسات الحركة الصهيونية، كما حالت السفارة الألمانية في فلسطين، دون تسفير اليهود الروس منها، ولا شكّ في أنّ النفوذ الألماني القويّ في العاصمة العثمانية، أسهم إسهاماً حاسماً في حماية الجالية اليهودية في فلسطين، وحال دون اتّخاذ إجراءات ضدها من العثمانيين، كما استخدم اليهود الشيفرة اللاسلكية الألمانية للاتّصال بين برلين وفلسطين، وأعلنت ألمانيا خلال الحرب تعاطفها مع النشاط اليهودي، الذي يهدف إلى تحسين أحوال اليهود الاقتصادية، وتقديمهم الثقافيّ في تركيا، وأنّ الحكومة الألمانية تنتظر بعين العطف إلى استيطان اليهود، وهجرتهم من البلدان الأخرى، وبعد الحرب العالمية الأولى، اتّجهت أنظارهم للسيطرة على أملاك الألمانين، الذين خرج معظمهم من البلاد، بعد انهزام الدولة الألمانية.⁽⁴⁾

وفي النهاية، اتّخذ العثمانيون موقفاً سلبيّاً من استيطان الهيكليين؛ بسبب أفكارهم وإيمانهم بقرب نهاية العالم، وكذلك لاعتقادهم بنهاية الحكم الإسلاميّ في فلسطين، وكانت السلطات

(1) BOA,BEO,3549,266130. انظر الملاحق شكل رقم (15).

(2) الكزاندر، شولش، تحولات، ص 91.

(3) القدس سجلّ 380، (1307هـ/1890م)، ص 48.

(4) القدس، سجلّ 381، (1309هـ/1892م)، ص 89، سجلّ 382، (1308هـ/1891م)، ص 79، سجلّ 388، (1313هـ/1895م)، ص 35، سجلّ 390، (1314هـ/1896م)، ص 42، سجلّ 393، (1318هـ/1900م)، ص 184. ملفّ محكمة بداية القدس الشريف، رقم 1/1 لعام (1336-1337هـ/1918-1919م)، ص 59، الكيالي، عبد الوهاب، تاريخ، ص 95، سنو، عبد الرؤوف، ألمانيا، ص 290-294، والمصالح، ص 45.

تتخوَّف من أيّ استعمارٍ أوروبيٍّ في الأراضي المقدَّسة،⁽¹⁾ إضافةً إلى تشكيلهم عبئاً على الدولة، تمثِّل في رفضهم دفع الضرائب، في بعض الأحيان، وكانوا عنصراً مزعجاً كذلك للعلاقات الألمانية العثمانية، وكان للباب العالي تحفّظاتٌ جوهريةٌ حول ذلك، رغم قانون تملك الأجانب (1284هـ/ 1867 م)، الذي أتاح للأجانب حقَّ التملك في الدولة العثمانية، فكانت السلطات تماطل طويلاً في منح سندات الملكية إلى الهيكليين، خوفاً من أن يستقلَّ هؤلاء بأنفسهم عن سلطات البلاد، ولهذا السبب رفضت الدولة العثمانية الاعتراف بوكيل القنصل الألماني في حيفا كير،⁽²⁾ لهذا الأمر أثار توسُّع الألمان في شراء الأراضي قلقَ الدولة العثمانية من ازدياد نفوذهم في فلسطين؛ ولذا رفضت الحكومة العثمانية الموافقة على تسجيل بعض الأراضي، التي اشترتها جمعية استعمار فلسطين الألمانية على سبيل المثال في بيت لحم، إلّا أنَّها عادت فوافقت على عملية البيع، وأقيمت عليها مستعمرةٌ ألمانيةٌ، لأنَّ الحكومة العثمانية خشيت أن يؤثّر امتناع تسجيل الأرض على علاقتها الحسنة بألمانيا.⁽³⁾

(1) مناع، عادل، تاريخ، ص 189.

(2) ألكزاندر، شولش، تحولات، ص 91.

(3) غنايم، زهير، لواء، ص 357.

النتائج

بعد الانتهاء من كتابة هذه الرسالة يمكن الخروج بالنتائج الآتية:

- تعد سجلات محكمة القدس الشرعية العثمانية، والإرشيف العثماني في استانبول، وملفات الطابو، وإرشيف القنصلية الألمانية في فلسطين، من أهم المصادر الأولية التي يمكن الاعتماد عليها في كتابة تاريخ الألمان ومستوطناتهم في لواء القدس.
- بدأ التواجد الفعلي للجالية الألمانية في فلسطين عامة ولواء القدس خاصة بعد تأسيس القنصلية الألمانية في القدس عام 1842م.
- اتخذ الهيكليون والمهاجرون الألمان القادمين الى فلسطين من الدافع الديني سبباً لاستيطانهم في فلسطين.
- استطاع المستوطنون الألمان من خلال مستوطناتهم التي شيدها ترسيخ دعائم الوجود الألماني على أسس إعمارية في حقل (الاستيطان والزراعة).
- حرص المستوطنون الألمان على إمتلاك مساحات شاسعة من الاراضي لاجل البناء عليها، وبالتالي تحقيق نظرية الاستقرار الفعلي.
- عمل قادة الألمان منذ بداية هجرتهم الى فلسطين على استقطاب النخب، والرأسماليين، والعمال المهرة، والصناع، والمزارعين القادرين على الاستقرار.
- اعتمدت المستوطنات على الزراعة كدخل رئيسي، وشوهدت نجاحات متعددة حققتها تلك المستوطنات كان ابرزها مستوطنة سارونا الزراعية، اما المستوطنات الحضرية في يافا والقدس فاعتمدت بالدرجة الاولى في تمويل نفسها على ما تقدّمه من خدمات للسكان.
- كانت المستوطنات تتمتع باستقلال ذاتي فلها مؤسساتها الخاصة كالبليدية والمستشفى والمدرسة والمعبد.

- اتخذت العلاقات العثمانية الالمانية طابعاً ايجابياً تمثل بالتعاون الاقتصادي والعسكري والسياسي، فقد شهدت حقبة الدراسة زيارات متعددة لكبار المسؤولين الالمان لفلسطين، أهمها: زيارة الامبراطور الالمانى غيليوم الثاني، إضافة إلى التعاون العسكري بينهما والمتمثل بدخول الدولة العثمانية الى جانب المانيا في الحرب العالمية الاولى.
- استفادت الحركة الصهيونية من الجالية الالمانية في تثبيت أقدامها في فلسطين إذ تمتع عدد كبير من اليهود بالجنسية الألمانية مما أكسبهم حق حماية المانيا لهم.
- استفاد المجتمع الفلسطيني من التطور الاقتصادي والاجتماعي والصناعي الذي جلبه الالمان معهم خلال فترة تواجدهم في فلسطين، فقد شهد لواء القدس تطور في بناء المدراس، والمستشفيات، والصناعات التي دخل معظمها أول مرة إلى فلسطين.
- تعد الجالية الألمانية من أهم الجاليات الأوروبية التي استوطنت لواء القدس وأقواها، فقد كان استيطانهم مدعوماً بالمال والعقول واصحاب الخبرات ورؤوس الاموال.

قائمة المصادر والمراجع

أولاً: السجلات والوثائق والأرشيف

سجلات محكمة القدس الشرعية:

- سجل محكمة القدس الشرعية رقم 360، تاريخه 1288-1290هـ / 1871-1873م.
- سجل محكمة القدس الشرعية رقم 361، تاريخه 1290-1291هـ / 1873-1874م.
- سجل محكمة القدس الشرعية رقم 362، تاريخه 1290-1293هـ / 1873-1876م.
- سجل محكمة القدس الشرعية رقم 364، تاريخه 1291-1292هـ / 1874-1875م.
- سجل محكمة القدس الشرعية رقم 368، تاريخه 1294-1296هـ / 1877-1878م.
- سجل محكمة القدس الشرعية رقم 369، تاريخه 1297-1298هـ / 1879-1880م.
- سجل محكمة القدس الشرعية رقم 370، تاريخه 1299-1301هـ / 1881-1883م.
- سجل محكمة القدس الشرعية رقم 373، تاريخه 1301-1303هـ / 1883-1885م.
- سجل محكمة القدس الشرعية رقم 374، تاريخه 1303-1305هـ / 1883-1887م.
- سجل محكمة القدس الشرعية رقم 376، تاريخه 1305-1306هـ / 1883-1887م.
- سجل محكمة القدس الشرعية رقم 377، تاريخه 1305-1306هـ / 1883-1888م.
- سجل محكمة القدس الشرعية رقم 378، تاريخه 1305-1307هـ / 1883-1889م.
- سجل محكمة القدس الشرعية رقم 379، تاريخه 1307-1308هـ / 1889-1890م.
- سجل محكمة القدس الشرعية رقم 380، تاريخه 1307-1308هـ / 1889-1890م.

- سجل محكمة القدس الشرعية رقم 381، تاريخه 1308-1309هـ/1890-1891م.
- سجل محكمة القدس الشرعية رقم 382، تاريخه 1308-1309هـ/1890-1891م.
- سجل محكمة القدس الشرعية رقم 383، تاريخه 1309-1313هـ/1891-1895م.
- سجل محكمة القدس الشرعية رقم 384، تاريخه 1309-1315هـ/1891-1897م.
- سجل محكمة القدس الشرعية رقم 388، تاريخه 1313-1314هـ/1895-1896م.
- سجل محكمة القدس الشرعية رقم 390، تاريخه 1314-1315هـ/1896-1897م.
- سجل محكمة القدس الشرعية رقم 391، تاريخه 1315-1316هـ/1897-1899م.
- سجل محكمة القدس الشرعية رقم 392، تاريخه 1316-1317هـ/1898-1899م.
- سجل محكمة القدس الشرعية رقم 393، تاريخه 1316-1318هـ/1898-1899م.
- سجل محكمة القدس الشرعية رقم 394، تاريخه 1325-1336هـ/1907-1917م.
- سجل محكمة القدس الشرعية رقم 395، تاريخه 1317-1319هـ/1899-1901م.
- سجل محكمة القدس الشرعية رقم 396، تاريخه 1318-1323هـ/1900-1904م.
- سجل محكمة القدس الشرعية رقم 397، تاريخه 1319-1324هـ/1901-1906م.
- سجل محكمة القدس الشرعية رقم 398، تاريخه 1322-1324هـ/1904-1906م.
- سجل محكمة القدس الشرعية رقم 400، تاريخه 1324-1326هـ/1906-1908م.
- سجل محكمة القدس الشرعية رقم 401، تاريخه 1334_1326هـ/1906_1908م.
- سجل محكمة القدس الشرعية رقم 403، تاريخه 1327-1329هـ/1909-1911م.

- سجل محكمة القدس الشرعية رقم 407، تاريخه 1326-1331هـ/1908-1912م.

- سجل محكمة القدس الشرعية رقم 408، تاريخه 1329/1330هـ/ 1911-1912م.

سجلات محكمة حيفا الشرعية:

- سجل محكمة حيفا الشرعية رقم 31/2/6، ارشيف بلدية نابلس فلسطين.

سجلات الطابو:

- سجل رقم 226/5/83، الصادر في عام 1309-1310هـ/1892-1893م، ارشيف " اسرائيل " القدس.

محكمة بداية القدس:

- ملف رقم 1/1، الصادر في عام 1332-1337هـ/ 1914-1919م، ارشيف "اسرائيل _ القدس.

الدستور العثماني، ترجمة: نوفل افندي، لبنان، بيروت، المطبعة الادبية، (ب، ط)،
(1301هـ/1884م)

الأرشيف العثماني: Başbakanlık Osmanlı Arşivi (BOA)

- BOA, BEO, 3549, 266,130

- BOA,SD,2309,15

-BOA,PRK,UM,4,3

Archive Of The German Consulate in Jerusalem (AGCJ):

- 435/8: Zollen gehen heiten der Wohtatiakeits Anstatten (1913-1916)

- 427/8: Anordnungen der Turchischen Regierung und Schulen über Scheissung der fromden Schulen, 1887-1916
- 435/2: Umschreibung der Kaiserin in Augusta Victoria –Stiftung auf dem OEIBERUNG, (1907-1910)
- 544/6: Eigentumsrechte des Grund
- 544/8: Neue Deutsche Kolonie Hamidie
- 459/4: Bergheim (1873)
- 464/2: Peter Bergheim Krimmalsa
- 459/5: Angelegenheiten Abu Schusha
- 442/3: Allgemeine Administrativ sachen (1805-1869)
- 426/1: Weinsteuer (1863-1880)
- 543/7: Zehnten und andere Steuern
- 542/9: Türkische Polizei und Genich
- 461/2: Rochmhofsche prozess-sache
- 469/2: Schneller
- 536/13: Angelegenheiten der deutschen (1898)
- 536/12: Angelegenheiten der deutschen 1895
- 544/1: Grund (werghi) Steuer

- 544/7: Mulk und Miri Angelegenheiten
- 451/2: Angelegenheiten Munizipalitaets
- 458/15: peter Metzler (1863-1873)
- 440/5: Bau eines Bet-Hauses in Bet-Djala (1885_1895)
- 441/2: kriche,Friedhof und missions in Jerusalem,Bethleem (1902)
- 543/3: Sanitaets-Angelegenheiten
- 440/6: Bau einer kirche und eines Hospital in Betlheem (1886-1913)
- 436/6: Greisen –Asyl und schule der borromaerinnen-anstalt auf der temple-kolonie (1898-1915)

ثانياً: المصادر

- ابو عبدالله، ياقوت، الحموي (626هـ / 1229م)، معجم البلدان، ج7، دار الكتب العلمية، لبنان، بيروت، (ب، ط)، (1411هـ / 1990م).
- العلمي، مجير الدين الحنبلي (ت 927هـ / 1520م)، أانس الجليل بتاريخ القدس والخليل، ج2، تحقيق (محمود كعابنة، محمد أبو تيانة)، مطبعة دنديس، فلسطين، الخليل، (ب، ط)، (1419هـ / 1998 م).

ثالثاً: المراجع

- الاسود، ابراهيم، الرحلة الامبراطورية في الممالك العثمانية، المطبعة العثمانية، لبنان، بلعبك، (ب، ط)، (1316هـ / 1898م).
- افنيري، اريه، دعوى نزع الملكية الاستيطان اليهودي والعرب 1878-1948، ترجمة: شريف البرغوثي، دار الجليل، الاردن، عمان، ط1، (1407هـ / 1986م).

اوليفانت، لورنس، ارض جلعاد ورحلات في لبنان وسوريا والاردن وفلسطين 1880، ترجمة: احمد العبادي، دار مجدلاوي، الاردن، عمان، (1425هـ / 2004م).

أوين، روجر، تاريخ فلسطين الاقتصادي في القرن التاسع عشر (1800-1918م)، الدراسات الفلسطينية، ج6، هيئة الموسوعة الفلسطينية، لبنان، بيروت، (ب، ط)، (1411هـ / 1990م)

باورد، نعيم، صالحه، رائد، جغرافية فلسطين، (ب، د)، فلسطين، غزة، (ب، ط)، (1437هـ / 2016م).

برو، توفيق، القضية العربية في الحرب العالمية الأولى 1914-1918، طلاس للدراسات والنشر، سوريا، دمشق، ط 1، (1410هـ / 1989م).

البلعبي، منير، معجم أعلام المورد موسوعة تراجم لأشهر الاعلام العرب والاجانب القدامى والمحدثين مستقاة من موسوعة المورد، دار الملايين، لبنان، بيروت، ط1، (1412هـ / 1992م).

ابو بكر، امين، ملكية الاراضي في متصرفية القدس 1858-1918، مؤسسة عبد الحميد شومان، الاردن، عمان، ط1، (1417هـ / 1996م).

بنوره، توما، تاريخ بيت لحم، وبيت جالا، وبيت ساحور، مطبعة المعارف، فلسطين، القدس، (ب، ط)، (1402هـ / 1982م).

التميمي، محمد، ولاية بيروت: القسم الجنوبي ألوية بيروت وعكا ونابلس، ج 2، مطبعة الاقبال، لبنان، بيروت، (1332هـ / 1914م).

تيسير، خلف، وصف فلسطين أواخر ايام العثمانيين 1898-1916 رحلات ومذكرات، دار كنعان، سوريا، دمشق، ط1، (1431هـ / 2010م).

ابو جابر، رؤوف، الوجود المسيحي في القدس خلال القرنين التاسع عشر والعشرين، مركز دراسات الوحدة العربية، لبنان، بيروت، ط1، (1425هـ/ 2004م).

الجبوري، نايف، موقف نصارى بلاد الشام من الاصلاحات في الدولة العثمانية 1839-1914م، دار الحامد، الاردن، عمان، ط1، (1432هـ/ 2011م).

جمال، باشا، مذكرات جمال باشا السفاح، تعريب: علي شكري، تحقيق: عبد المجيد خالد، الدار العربية للموسوعات، لبنان، بيروت، ط1، (1425هـ/ 2004م).

جوهريّة، واصف، القدس العثمانية في المذكرات الجوهريّة الكتاب الاول من مذكرات الموسيقي واصف جوهريّة 1904-1917، تماري، سليم، نصار، عصام، مؤسسة الدراسات المقدسية، القدس، فلسطين، (ب، ط)، (1423هـ/ 2003م).

الحزماوي، محمد، التاريخ الاقتصادي للقدس العثمانية (1850-1900م) "بحوث ودراسات"، فلسطين، القدس، ط1، (1440هـ/ 2018م).

الحزماوي، محمد، ملكية الاراضي في فلسطين 1918-1948م، مؤسسة الاسوار، فلسطين، عكا، ط1، (1419هـ/ 1998م).

حسين، اوزدمير، فلسطين في العهد العثماني صرخة عبد الحميد الثاني، ترجمة: وليد القط، دار النيل للطباعة والنشر، مصر، القاهرة، ط1، (1434هـ/ 2013م).

ابو حسين، عبد الرحيم، السعداوي، صالح، الكنائس العربية في السجل الكنسي العثماني 1869-1922، المعهد الملكي للدراسات الدينية، الاردن، عمان، ط1، (1419هـ/ 1998م).

الخطيب، مصطفى، معجم المصطلحات والالفاظ التاريخية، مؤسسة الرسالة، لبنان، بيروت، ط1، (1416هـ/ 1996م).

الدباغ، مصطفى، بلادنا فلسطين، ج10، دار الهدى، فلسطين، كفرقرع، (طبعة جديدة)،
1412هـ/1991م).

الدجاني، احمد، التعليم في فلسطين في عهد الدولة العثمانية (1516-1917م)، دار الاحياء
الثقافي، مصر، القاهرة، ط1، (1424هـ/2003م).

الدومان،مراد، ذكريات السلطان عبد الحميد، دار النيل، مصر، القاهرة،(ب، ط)، (1438هـ/
2016 م).

رافق، عبدالكريم، فلسطين في عهد العثمانيين من مطلع القرن العاشر الهجري /السادس عشر
الميلادي الى مطلع القرن الثالث عشر هجري /التاسع عشر الميلادي، (ب، ن)، (ب،
م)، (ب، ط)، (ب، ت).

الراهب، متري، تاريخ كنيسة الميلاد الانجيلية اللوثرية في بيت لحم 1854-2016، ديار
للنشر، فلسطين، بيت لحم، ط1، (1439هـ/ 2017م).

ربابعة، ابراهيم، القدس في العصر العثماني في ضوء الوثائق خلال 1600-1700م، مكتبة كل
شيء، فلسطين، حيفا، (ب، ط)، (1435هـ/ 2014م).

سركيس، خليل، جلالة الامبراطور غليوم الثاني ملك بروسيا وامبراطور المانيا والامبراطورة
اوغستا فكتوريا في فلسطين وسوريا، المطبعة الادبية، لبنان، بيروت، (ب، ط)،
1316هـ/ 1898م).

السعدون، صالح، الاتحاد الانجلو يهودي للسيطرة على فلسطين 1882-1922، دار كنوز
المعرفة العلمية، الاردن، ط1، (1431هـ/2010م).

السكاكيني، خليل، كذا أنا يا دنيا يوميات خليل السكاكيني، السكاكيني، هالة، السكاكيني، المطبعة
التجارية، القدس، فلسطين، (ب، ط)، (1374هـ/1955م).

سنو، عبد الرؤوف، المصالح الالمانية في سوريا وفلسطين 1841-1901، معهد الانماء العربي، لبنان، بيروت، ط1، (1407هـ / 1987م).

سنو، عبد الرؤوف، المانيا والاسلام في القرنين التاسع عشر والعشرين، مؤسسة الفرات، لبنان، بيروت، ط1، (1428هـ / 2007م).

شتاينغر، رولف، المانيا والشرق الأوسط منذ زيارة القيصر فيلهلم الثاني الى المشرق في العام 1898 حتى الوقت الحاضر، ترجمة: لورنس الحناوي، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، (ب، ط)، (1440هـ / 2018م).

شراب، محمد، معجم بلدان فلسطين، الاهلية للنشر والتوزيع، الاردن، عمان، ط2، (1416هـ / 1996م).

شراب، محمد، موسوعة بيت المقدس والمسجد الأقصى: التاريخ، الآثار، أعلام الأمكنة والرجال، ج2، الأهلية للنشر والتوزيع، الاردن، عمان، (ب، ط)، (1424هـ / 2003م).

الشريف، ماهر، فلسطين في الكتابة التاريخية، دار الفارابي، لبنان، بيروت، (ب، ط)، (1438هـ / 2016م).

الشناق، محمود، بلدية القدس الشريف في العهد العثماني، وزارة الاعلام، فلسطين، ط1، (1431هـ / 2010م).

الشناق، محمود، العلاقات بين العرب واليهود في فلسطين (1239_1333هـ / 1876-1914م)، مطبعة بابل الفنية، فلسطين، ط1، (1425هـ / 2005م).

شوكة، خليل، نشأة وتطور بلدية بيت لحم ما بين 1880-1967م، بلدية بيت لحم، فلسطين، بيت لحم، (ب، ط)، (1433هـ / 2012م).

شولش، الكزاندر، تحولات جذرية في فلسطين 1856-1882 دراسات حول التطور الاقتصادي والاجتماعي والسياسي، ترجمة: كامل العسلي، منشورات الجامعة الاردنية، الاردن، عمان، ط2، (1414هـ / 1993م).

- صالحية، محمد، مدينة القدس السكان والارض (العرب واليهود) 1275-1368هـ/1858-
 (1948م)، مركز الزيتونة، لبنان، بيروت، (ب، ط)، (1430هـ/2009م).
- صبري، بهجت، فلسطين خلال الحرب العالمية الأولى و ما بعدها 1914-1920)، جمعية
 الدراسات العربية، فلسطين، القدس، (ب، ط)، (1982م).
- الصالح، محمد، الوقف في الشريعة الاسلامية وأثره في تنمية المجتمع، مكتبة الملك فهد
 الوطنية، السعودية، الرياض، ط1، (1422هـ/2001م).
- صلاح، حنا، فلسطين وتجديد حياتها: كتاب جامع لمباحث تاريخية وعمرانية واجتماعية
 وسياسية عن فلسطين، الجمعية الفلسطينية لمقاومة الصهيونية في نيويورك، الولايات
 المتحدة الامريكية، نيويورك، (ب، ط)، (1338هـ/1919م).
- العارف، عارف، المسيحية في القدس، مطبعة دير الروم الارثوذكس، فلسطين، القدس، (ب،
 ط)، (1370هـ/1951م).
- العارف، عارف، المفصل في تاريخ القدس، مطبعة المعارف، القدس، فلسطين، ط1،
 (1380هـ/1961م).
- العارف، عارف، تاريخ غزة، منارة العلم، الرياض، السعودية، ط1، (1430هـ/2009م).
- عازوري، نجيب، يقظة الامة العربية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، لبنان، بيروت، (ب،
 ط)، (ب، ت).
- عامر، محمود، دخان، مروان، تاريخ الدولة العثمانية، منشورات جامعة دمشق، سوريا، دمشق،
 (ب، ط)، (1437-1438هـ/2016-2017م).
- عوض، عبد العزيز، الادارة العثمانية في ولاية سورية 1864-1914م، دار المعارف، مصر،
 القاهرة، (ب، ط)، (1389هـ/1969م).

عوض، عبد العزيز، مقدمة في تاريخ فلسطين الحديث 1831-1914، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، لبنان، بيروت، ط1، (1404هـ / 1983م).

غنايم زهير، لواء عكا في عهد التنظيمات العثمانية 1281-1337هـ / 1864-1918م، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، لبنان، بيروت، ط1، (1420هـ / 1999م).

غوشة، محمد، حارة السعدية في القدس دراسة معمارية وتاريخية، مطبعة بيت المقدس، فلسطين، (ب،ط)، (1420هـ / 1999م).

فالتر، هنتس، المكاييل وألوزان الإسلامية وما يعادلها في النظام المتري، ترجمة: كامل العسلي، منشورات الجامعة الاردنية، الاردن، عمان، (ب،ط)، (1390هـ / 1970م).

فرح، رقيق، تاريخ الكنيسة الأسقفية في مطرانية القدس 1841-1991م، (ب،ن)، (ب،م)، (ب،ط)، (1417هـ / 1996م).

القضاة، احمد، نصارى القدس دراسة في ضوء الوثائق العثمانية، مركز دراسات الوحدة العربية، لبنان، بيروت، ط1، (1428هـ / 2007م).

كامل، مصطفى، المسألة الشرقية، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، مصر، القاهرة، (ب،ط)، (1434هـ / 2012م).

كلداني، حنا، المسيحية المعاصرة في الأردن وفلسطين: تطور بنية الكنائس ونمو المؤسسات المسيحية في الأردن وفلسطين في القرن التاسع عشر في ضوء فرمانات العثمانية وعلائق السلطنة الدولية، الاردن، عمان، (ب،ط)، (1414هـ / 1993م).

الكيالي، عبد الوهاب، تاريخ فلسطين الحديث، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، لبنان، وبيروت، ط1، (1390هـ / 1970م).

الكيالي، عبد الوهاب، موسوعة السياسة، ج5، دار الهدى، لبنان، بيروت، (ب،ط)، (ب،ت)

لندمان، شمعون، أحياء أعيان القدس خارج اسوارها في القرن التاسع عشر، دار النشر العربي، اسرائيل، تل ابيب، (ب،ط)، (1405هـ/ 1984م).

المبيض، سليم، النقود العربية الفلسطينية وسكتها المدنية والاجنبية من القرن السادس قبل الميلاد وحتى عام 1946م، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، القاهرة، (ب،ط)، (1410هـ/ 1989).

محاسنة، محمد، الطراونة، محمد، تاريخ مدينة القدس، دار حنين للنشر والتوزيع، الاردن، عمان، ط1، (1423هـ/ 2003م).

محافظة، علي، العلاقات الالمانية الفلسطينية من انشاء مطرانية القدس البروتستانتية وحتى نهاية الحرب العالمية الأولى 1841-1945م، المؤسسة العربية للدراسة والنشر، لبنان، بيروت، ط1، (1401هـ/ 1981م).

المدني، زياد، مدينة القدس وجوارها في أواخر العهد العثماني 1246-1336هـ/ 1831-1918م، الاردن، عمان، (ب،ط)، (1425هـ/ 2004م).

المسيري، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، ج8، دار الشرق، بيروت، لبنان، (ب،ط)، (1388هـ/ 1968م).

المعلوف، عيسى، (1286-1376هـ/ 1869-1956م)، دواني القطوف في تاريخ بني معلوف، المطبعة العثمانية، لبنان، بعبدا، (ب،ط)، (1325_1326هـ/ 1907-1908م).

مناع، عادل، تاريخ فلسطين في اواخر العهد العثماني 1700-1918، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، لبنان، بيروت، (ط1)، (1420هـ/ 1999م).

المهتدي، عبلة، القدس تاريخ وحضارة (3000ق.م - 1917م)، الاردن، عمان، (ب،ط)، (1421هـ/ 2000م).

الموسوعة العربية العالمية، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، ج30، السعودية، الرياض، ط2، (1419هـ/1999م).

نديم، شكري، حرب فلسطين، 1914-1918 دراسة علمية، مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، (ب،ط)، (1384هـ/1965م).

هنداوي، سهام، التطور التاريخي للعلاقات الالمانية العثمانية وثائق سرية (1293هـ-1327هـ/1876-1909م)، دار نينوى، سورية، دمشق، ط1 (1436هـ/2015م).

الوعري، نائلة، دور القنصليات الأجنبية في الهجرة والاستيطان اليهودي في فلسطين 1840-1914م، دار الشروق للنشر والتوزيع، الاردن، عمان، (ب،ط)، (1425هـ/2004م).

يزبك، محمود، النظم الادارية والبنى الاجتماعية في حيفا في اواخر العهد العثماني (1870-1914)، مطبعة النهضة، فلسطين، الناصرة، (ب،ط)، (1415هـ/1994م).

رابعاً: الابحاث المنشورة

بيات، فاضل، سياسة الدولة العثمانية تجاه القدس نظرة شاملة في ضوء وثائق الارشيف العثماني والمصادر العثمانية حصراً 1516-1917، أوراق مؤتمر الدولي عن القدس عمان 4-8 تشرين الاول /اكتوبر 2009، منشورات وزارة الثقافة، الاردن، عمان، (1430هـ/2009م).

جرار، مروان، الاستيطان الصهيوني في مدينة القدس منذ النصف الثاني من القرن التاسع عشر وحتى العام 1967م، مجلة الدراسات الاجتماعية، جامعة العلوم والتكنولوجيا، اليمن، العدد38، (1434هـ/2013م)، (297-358).

ربابعة، ابراهيم، طائفة اليهود في مدينة القدس من بدايات الحكم العثماني الى قبيل قيام الحركة الصهيونية (922هـ/1516م-1315هـ/1897م)، المجلة الاردنية للتاريخ والآثار، الجامعة الاردنية، الاردن، عمان، م2، ع2، (1430هـ/2008م).

عامر، محمود، **المصطلحات المتداولة في الدولة العثمانية**، مجلة دراسات التاريخية، العدد 18/17، كانون الثاني، (1434هـ/2012م).

ابو فضة، مروان، **عقد الوكالة وتطبيقاته في المصارف الإسلامية**، مجلة الجامعة الإسلامية (سلسلة الدراسات الانسانية)، فلسطين، غزة، مجلد السابع عشر، العدد الثاني، يونيو، (1431هـ/2009م).

خامساً: رسائل الماجستير

خليدة، ماضي، **المانيا من الدمار الى المعجزة 1945-1990م** (رسالة ماجستير)، جامعة محمد بوضياف، الجمهورية الجزائرية، المسيلة، (1437-1438هـ/2016-2017م).

صبري، بهجت، **لواء القدس تحت الحكم العثماني 1840-1873م** (رسالة ماجستير)، جامعة عين شمس، مصر، القاهرة، (1393هـ/1973).

ابو شمالة، مروان، **الاستراتيجية الصهيونية تجاه مدينة القدس 1897-1948م** (رسالة ماجستير)، الجامعة الإسلامية، فلسطين، غزة، (1433هـ/2012م).

شيوخ، ولاء، **القدس خلال الحرب العالمية الاولى 1914-1918م** (رسالة ماجستير) جامعة الخليل، فلسطين، الخليل، (1437هـ/2016م).

العبدالله، عيسى، **السياسة الخارجية للدولة العثمانية في عهد السلطان عبد الحميد الثاني 1876-1909م** (رسالة ماجستير)، جامعة بيروت العربية، لبنان، بيروت، (1438هـ/2016م).

العربيات، غالب، **تاريخ الحياة الاجتماعية في ناحية القدس الشريف في النصف الاول من القرن الحادي عشر / السابع عشر الميلادي** (رسالة ماجستير)، جامعة مؤتة، الاردن، مؤتة، (1420هـ/2000م).

عقابه، مرام، الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية في مدينة القدس 1700-1725م (رسالة ماجستير)، جامعة الخليل، فلسطين، الخليل، (1436هـ / 2015 م).

ابو عواد، ميرفت، الحياة الإدارية والثقافية والاجتماعية والاقتصادية في فلسطين خلال القرنين الحادي والثاني عشر الهجريين / السابع والثامن الميلاديين من خلال كتب التراجم (رسالة ماجستير)، جامعة النجاح، فلسطين، نابلس، (1438هـ / 2016 م).

نعمة الله، ابراهيم، الرملة في اواخر العهد العثماني (1281-1333هـ / 1864-1914م) من خلال سجلات المحاكم الشرعية (رسالة ماجستير)، الجامعة الإسلامية، فلسطين، غزة، (1425هـ / 2004 م).

مجنح، قائمة، العلاقات العثمانية الألمانية 1878-1914م (رسالة ماجستير) جامعة محمد بوضياف، الجزائر، المسيلة، (1439-1440هـ / 2017-2018 م).

سادساً: الصحف

جريدة فلسطين: عدد 52-3518، الجمعة 30 نيسان 1937، 19 صفر 1356هـ، فلسطين، يافا.

صحيفة الشعب: عدد 124، مجلد الاول، السبت 14 جمادى الاولى، (1367هـ / 1947م)، فلسطين، القدس.

النفائس العصرية: بيدس، خليل، ج12، كانون الاول، السنة الرابعة، (1331هـ / 1912 م)، و، ج1، كانون الثاني، (1333هـ / 1914م)، السنة السادسة، مطبعة دار الايتام السورية، فلسطين، القدس.

سابعاً: المراجع الأجنبية

Aaronsoh, Ran, Rothschild and Early Jewish Colonization in Palestine
Rowmand littlefield publishers, USA, 2000.

Beshara,Adel,The Origins of Syrian Nationhood Histories,Pioneers and identity,Routledge,USA,New York,2011.

Bussow,Johann, Hamidian Palestine Politics and Society in the District of Jerusalem,2011.

Carmel,Alex, Die Siedlungen der wurttembergischen Templer in Palestine 1868-1918,Kohlhammer,Germany,Stuttgart,1997.

Carmel,Alex,Geschichte Haifas in der Turkischen Zeit 1516-1918,Otto Harrassowitz,Germany,Wiesbaden,1975.

Glenk,Helmut,From Desert Sands to Golden Orange,Trafford,Canada,2005

Jankowski,James,Gershoni,Israel,Rethinking Nationalism in Arab Middle East,Columbia University,USA, New York,1997.

Kushner,David, Palestine in the late Ottoman Period political Social and economic transformation, Yad Izhak Ben-Zvi, Israel,Jerusalem,1986.

Eisler,Jakob,Der deutsche Beitrag zum Aufstieg Jaffas 1850-1914,Herausgeber,Germany,Wiesbaden,1997.

ثامناً: الابحاث الأجنبية

Al-jubeh,Nazmi,Conrad Schick: Pioneering Architect Archaeologist,and Historian of Nineteenth Century, Jerusalem Quarterly,67,(7-18),

Footprints of the Templers,The Wuttemberg Templers in the Holy Land, Tempelgesellschaft in Deutschland,Stuttgart,Germany,2009,p1-16

Ruth,Kark,The Bergheim Family and The Farm Of ABU Shusha,Oxford
UNI,USA,NewYork,1988, (332-336), and Technological Innovation
in Palestine The Role of the German Templers,Ed,Haim Goren,
Palestine, Jerusalem, Magnespress, 2003,p(201-
224).www.academia.edu

Sindaha,M,Mousa, Banking in Palestine during British Mandate and
before, (1-15),www.academia.edu

الملاحق

شكل رقم (1)



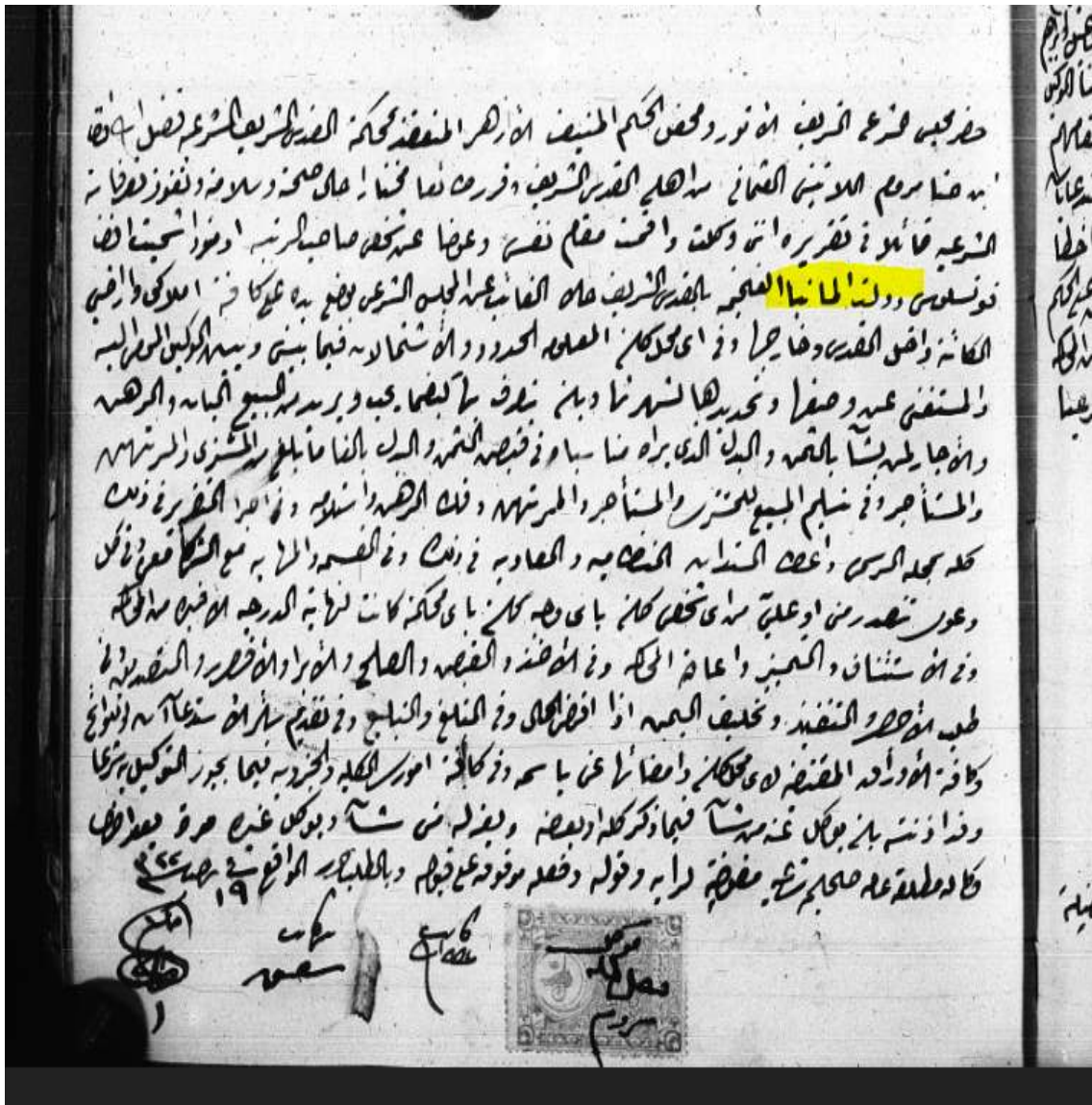
الحدود الادارية لمتصرفية لقدس خلال فترة الدراسة

شكل رقم (2)

[illegible]

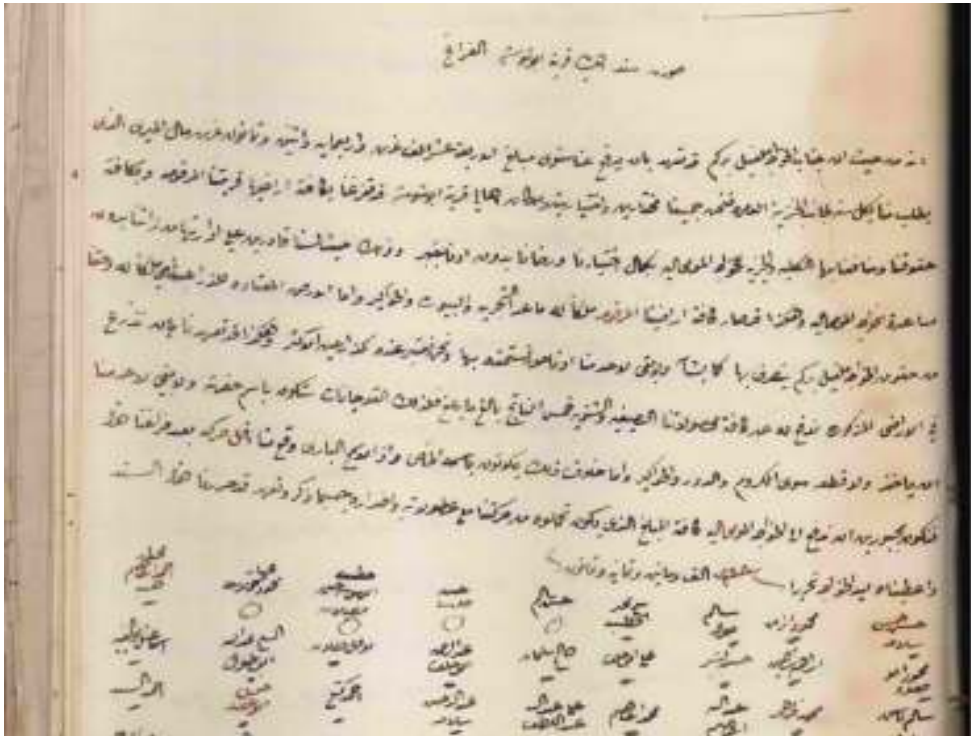
AGCJ,File 459,4,(1858AD/1273AH),p8 (Bergheim) شراء برکم

شكل رقم (3)



(القدس سجل 1322، 396هـ/1904م، ص 47)

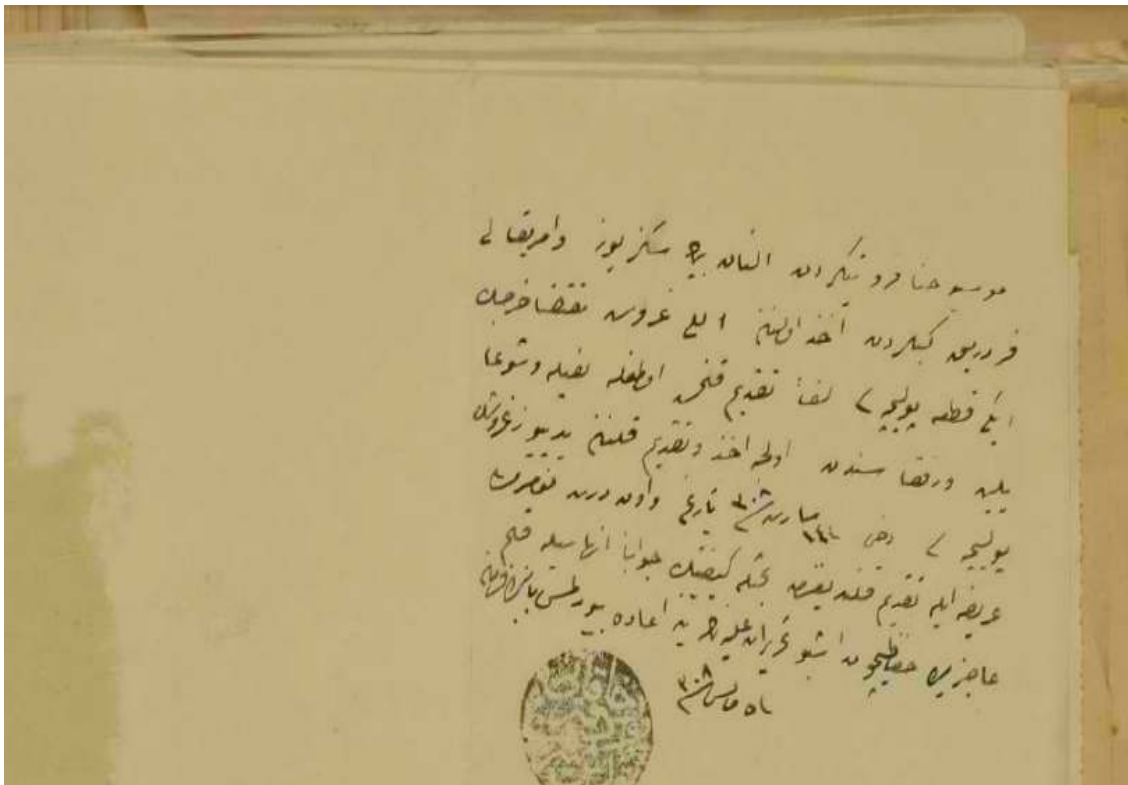
شكل رقم (4)



شراء بركم (Bergheim) لقرية ابو شوشة، AGCJ,File

459,4,(1871AD/1288AH),p70

شکل رقم (5)



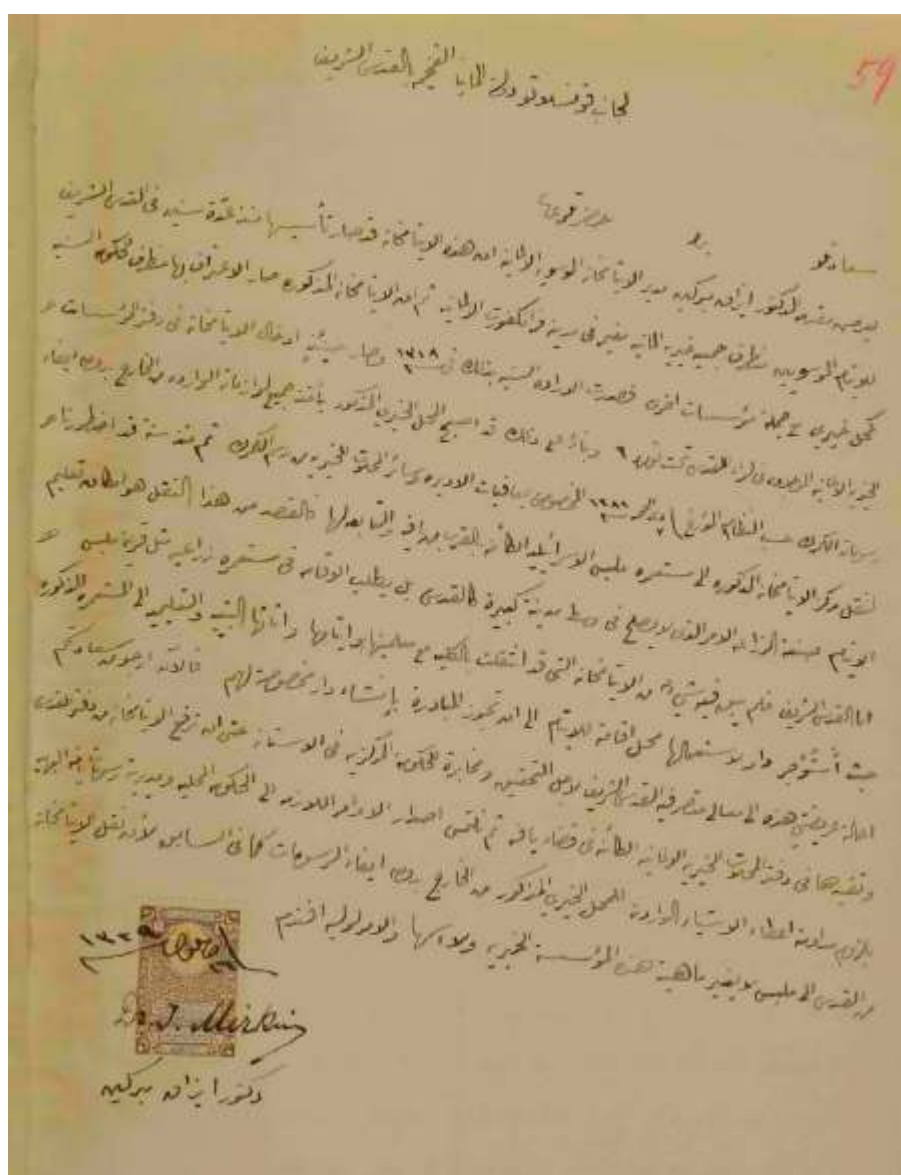
القدس طابو 226 / 5/83، لعام (1309-1310هـ/1892-1893م)، ص 130

١٤١

هذه جملة الشرح الشريف المنعقد بحجامة سرية القدس اخوه جعفر بن يوسف بن فرسينوف لهو فخره مشيخة دولة
 الحانيا الفخرية بالقدس وقررت لنا مختاراً حال محنة وسوءة ونقود وقرراته السبعة قاموا في تقريره الرضام التي
 وكلت واقف تعلم نفس وعوضا عن تخمير اخوه جعفر بن يوسف بن فرسينوف الذي قام به فابر الفاسي بعد المجلس للقيم
 الاخرين يافا في بيع ما لهو في حارة ملكا وقصر في وادي جميع التلوة كروم والبيارة الثانية حارة جافا لطلبه
 المذكورة المملوكة بحود والمستقر في حارة وحقها وتحت يدك الشدرة في حارة الاولوية في حارة جعفر بن يوسف بن فرسينوف
 وقدر به من مائة بعد رسته ونحوه في حارة واربعة واربعة ونحوه في حارة واربعة في حارة واربعة في حارة
 سنة سبعة عشر وثلاثمائة واربعة بيضا بانيا او وفانيا بالوطلة الدورية والاستقلال لحديث وياث انه
 انتم والدة التي يراها مناسبة وفي قصصه الفقهية في حارة واربعة في حارة واربعة في حارة واربعة في حارة
 سوا حارة البيوع المذكورة راحة او متفق في حارة واربعة في حارة واربعة في حارة واربعة في حارة
 والذين عليه والذين في حارة واربعة في حارة واربعة في حارة واربعة في حارة واربعة في حارة
 وفي كل راحة راحة من او متفق على سرية كانت او متفق على سرية كانت او متفق على سرية كانت
 لا فرجة من درجانه الحامة وفي تقدير الاستعداد له واعطى التقدير له واربعة في حارة واربعة في حارة
 وتقدر في البيعة وسوا واربعة في حارة واربعة في حارة واربعة في حارة واربعة في حارة
 ومحكمة وانتخاب الحمة ومسيرته ومحاسبه واهل خبره وقد اذنته بان يطلع عن رسته فيما ذكره خطه واربعة في حارة
 العبد تيسر في واربعة في حارة واربعة في حارة واربعة في حارة واربعة في حارة
 تحت يدي السور الاربعة في حارة واربعة في حارة واربعة في حارة واربعة في حارة

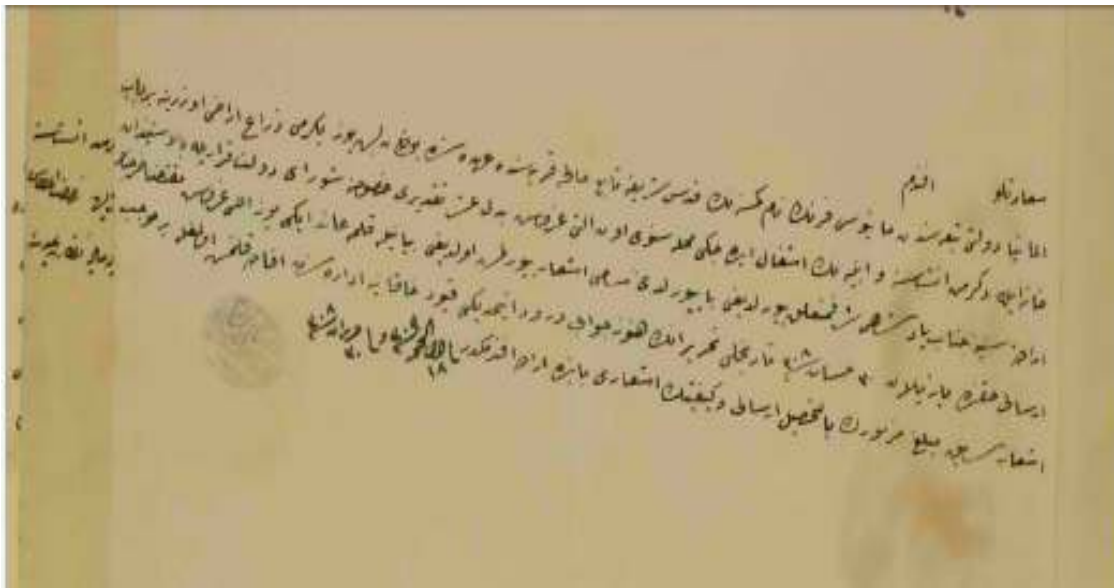
محمد بن يوسف بن فرسينوف
 كنية في حارة واربعة في حارة
 كنية في حارة واربعة في حارة
 كنية في حارة واربعة في حارة
 كنية في حارة واربعة في حارة

شكل رقم (7)



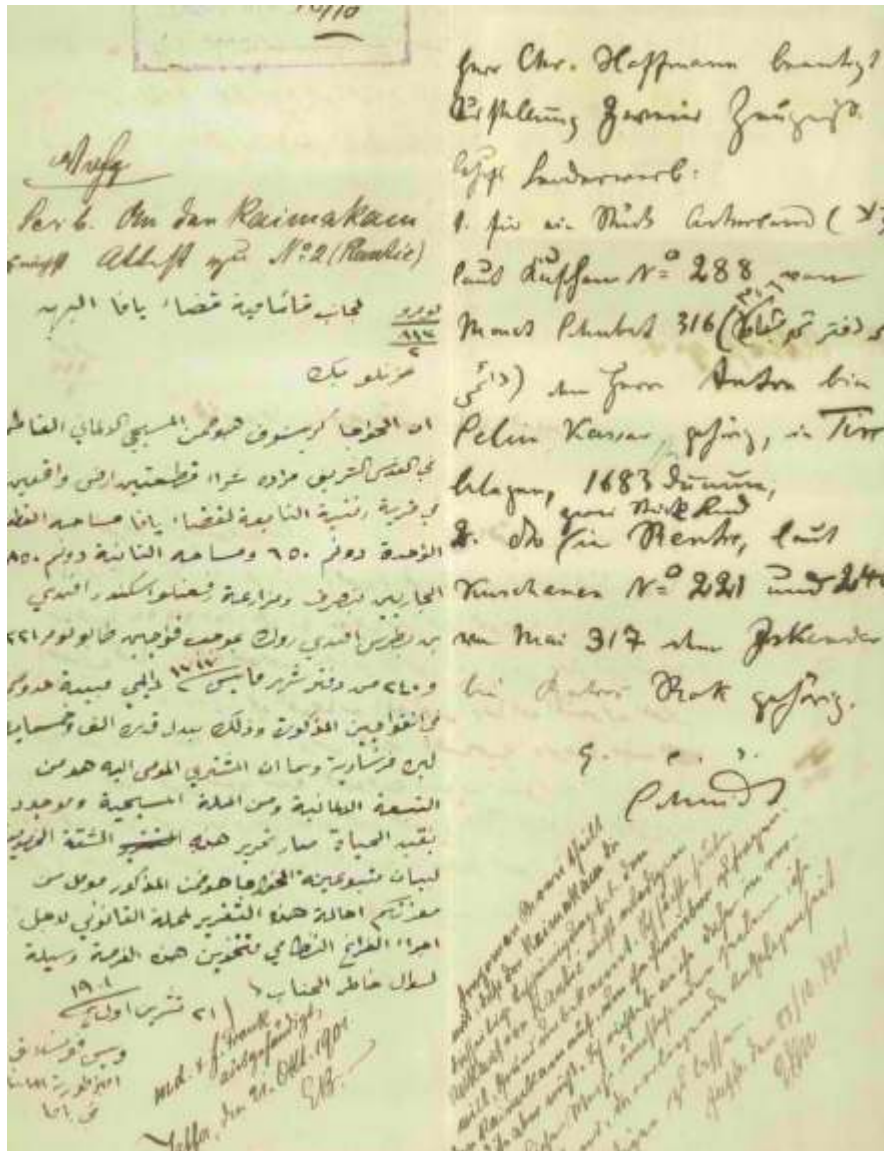
شراء اراضي في قرية ملبس (AGCJ,File 435,8,,(1911AD/1329AH),p65)

شکل رقم (8)



القدس طابو 5/83، 226، لعام (1309-1310هـ/1892-1893م)، ص 7

شكل رقم (9)

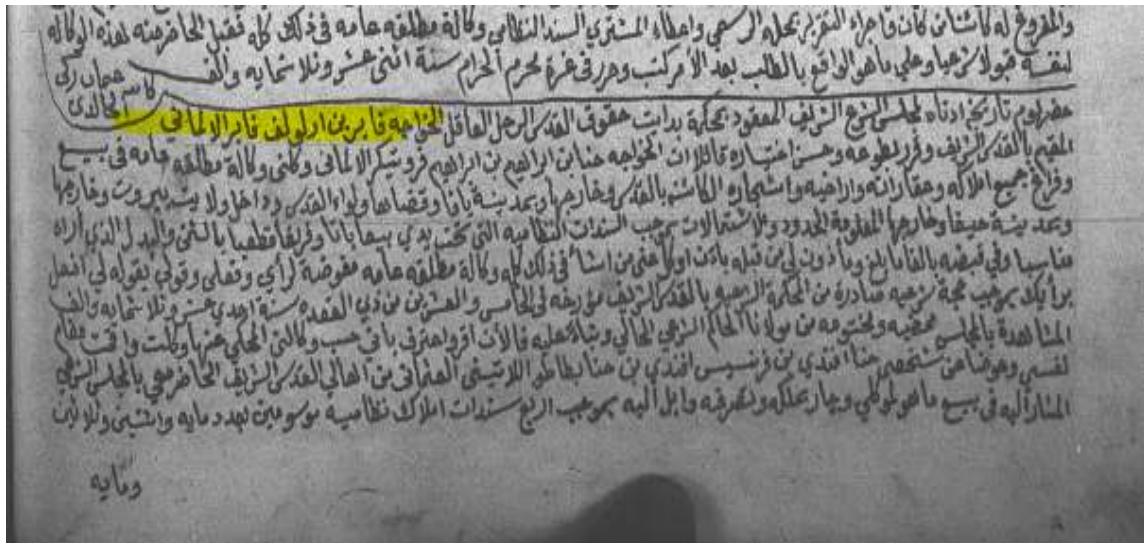


اوغستا فكتوريا (AGCJ,File,544,6, (1901AD/1318AH),p2)

شكل رقم (10)

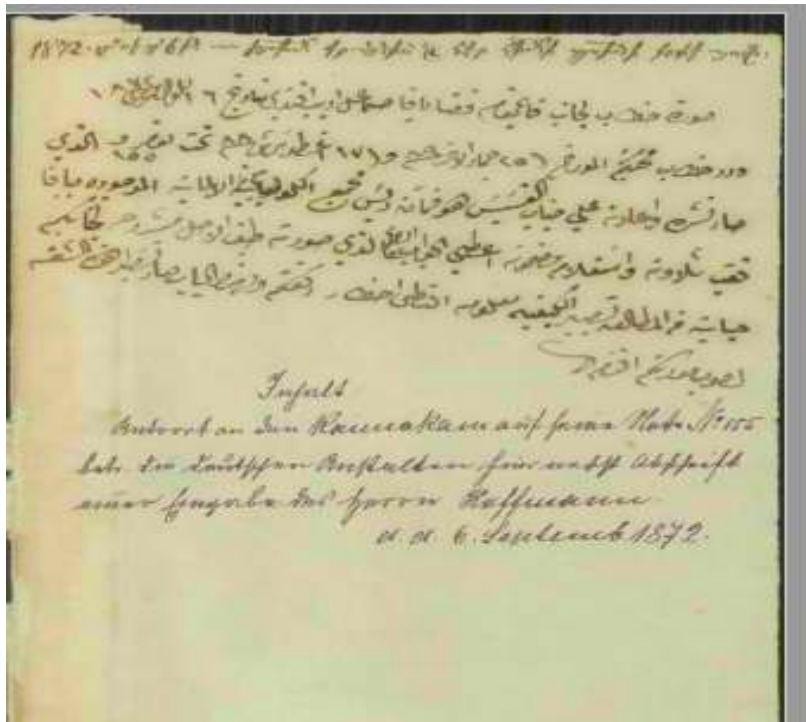
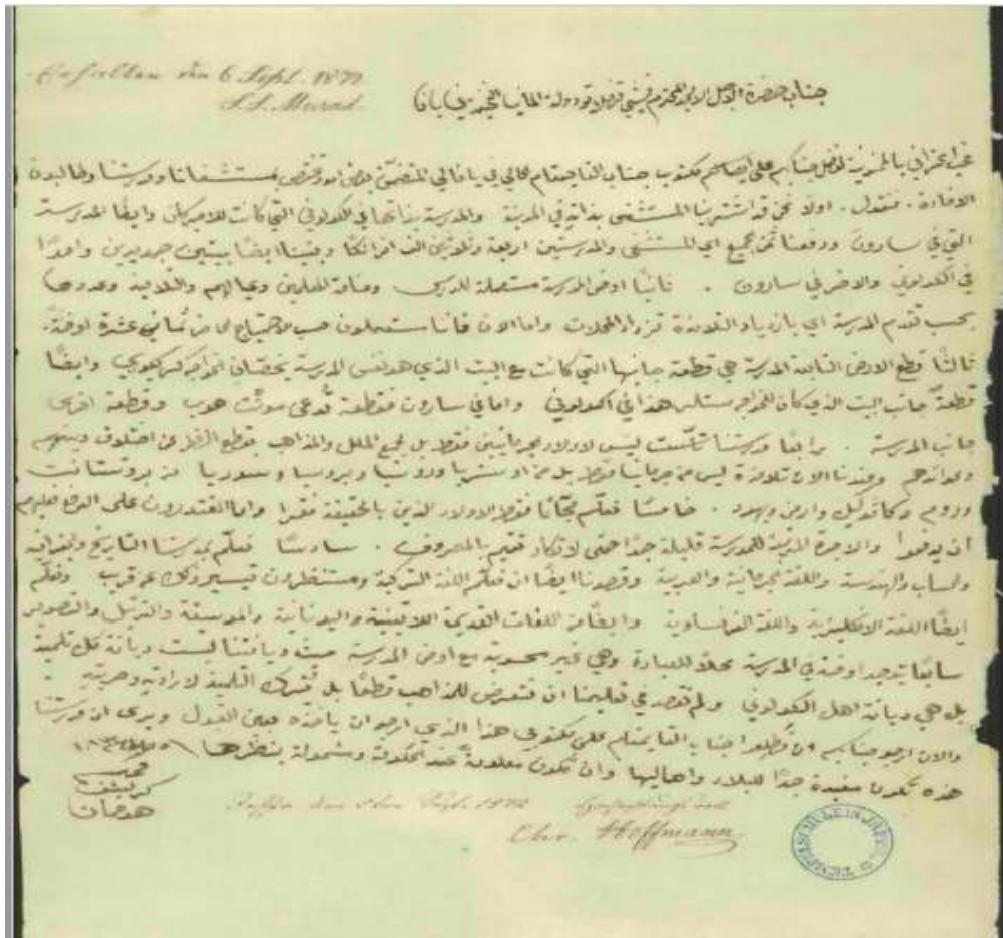
[illegible]AGCJ,File 543,7,(1905AD/1323AH),p16 **تحصيل الضرائب**

شكل رقم (11)

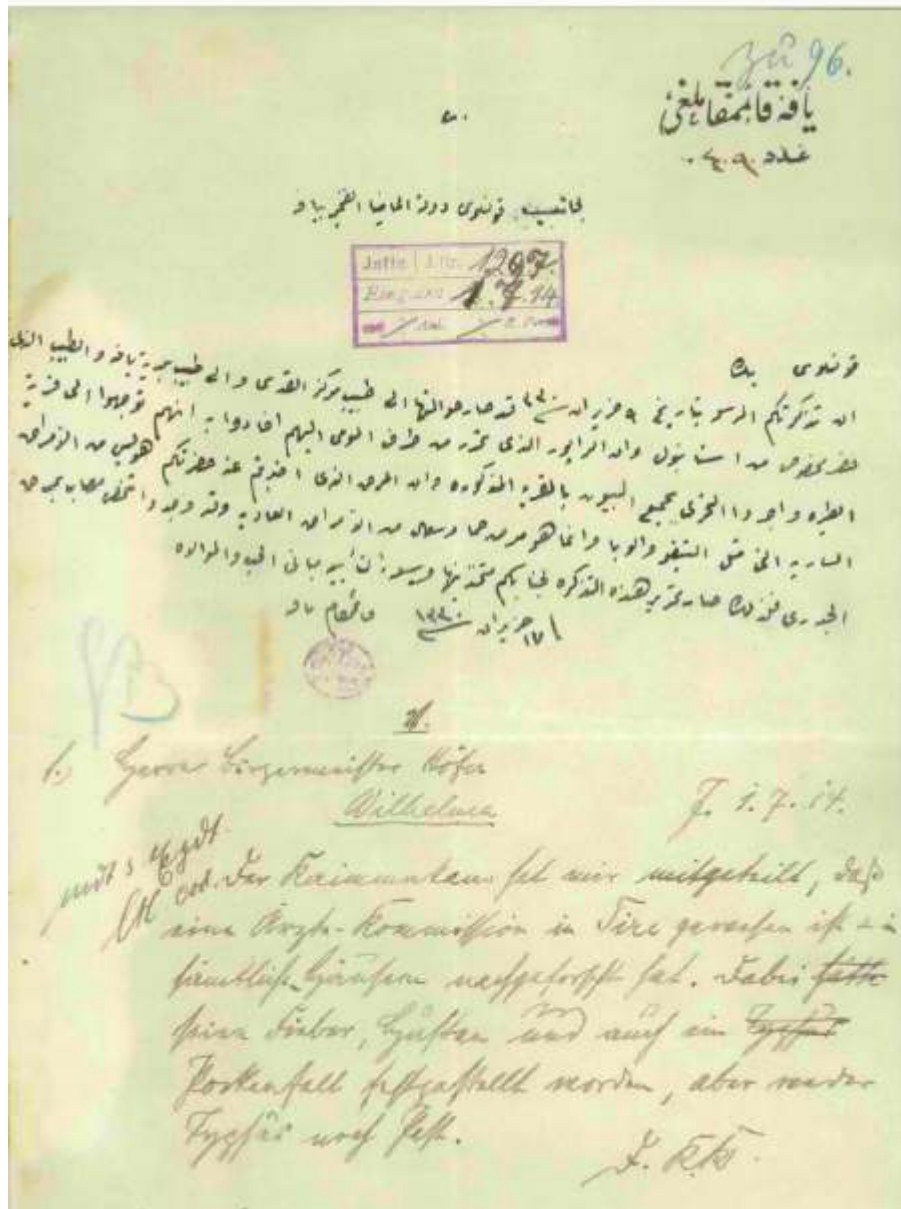


القدس سجل 383، (1312هـ/1895م)، ص 213

شكل رقم (12)

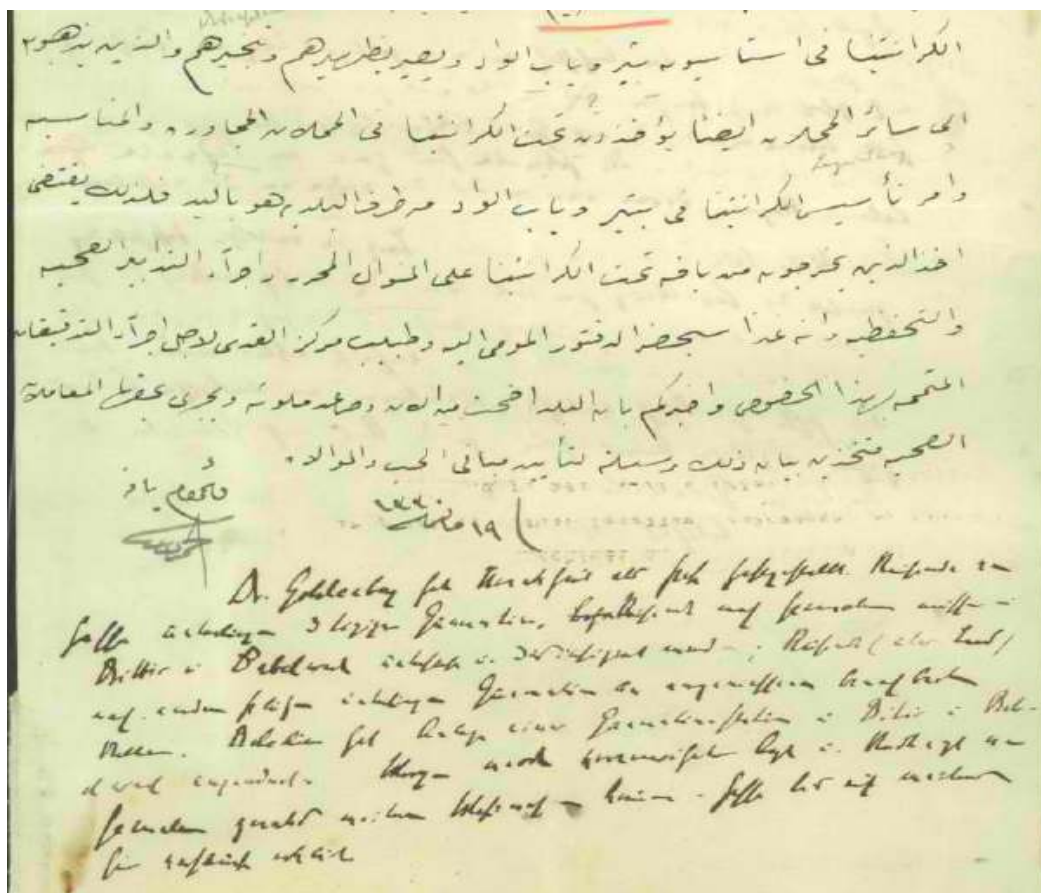
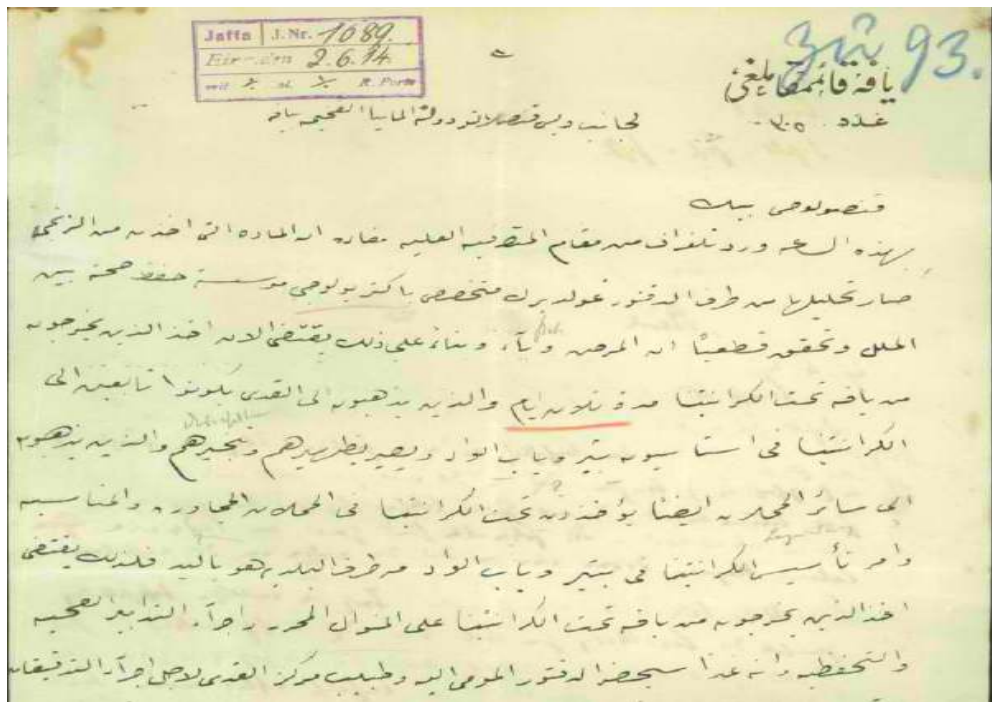


شكل رقم (13)



انتشار الوباء في الطيرة 1330AH/1912AD, File 543,3, AGCJ, p133

شكل رقم (14)



انتشار الوباء في القدس ويفا AGCJ,File 543,3,(1912AD/1330AH),p116

شكل رقم (15)

Handwritten document with a header section containing a table and a main body of text in Ottoman Turkish script.

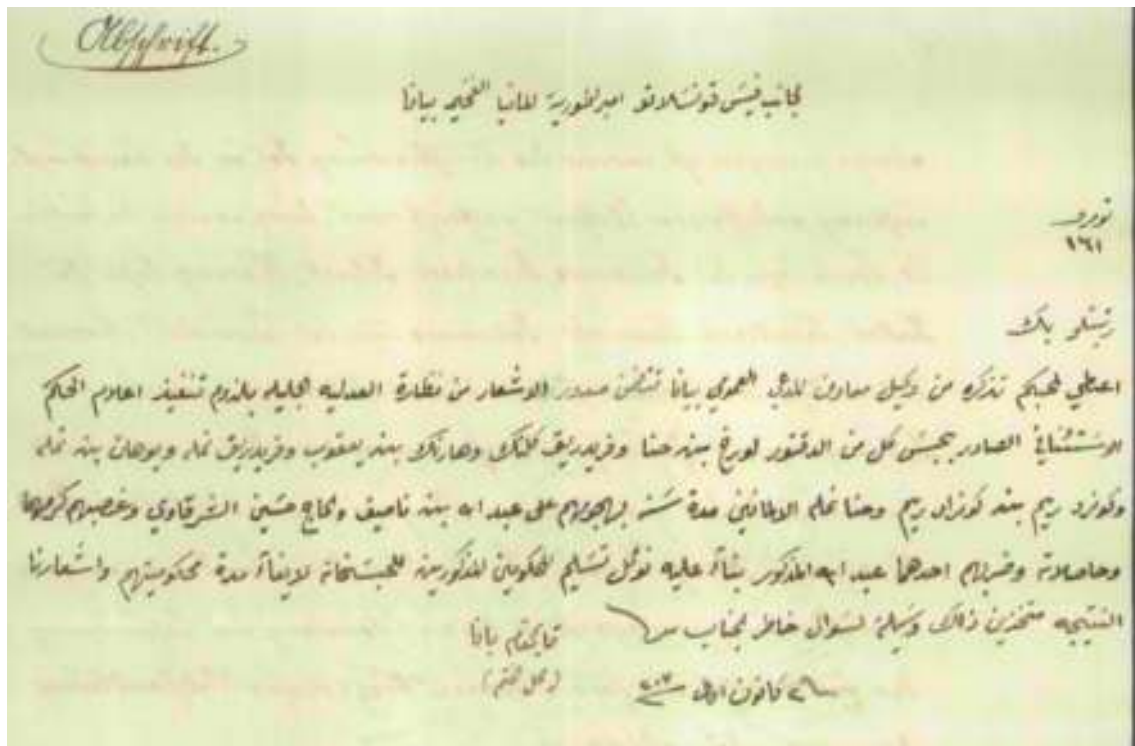
رقم	تاریخ	موضوع	ملاحظات
...	...	...	...

Handwritten text in Ottoman Turkish script, likely a report or official document, discussing administrative matters and financial records.

OSMANLI ARŞIVI
BEO
2016
25.11.2016

BOA,BEO,3549,266130

شكل رقم (16)



AGCJ, File 461, 2, (1890AD/1307AH), 41

An-Najah National University
Faculty of Graduate Studies

**The Economic and Social Life of the German
Community in the Jerusalem District
(1867_1918AD /1284_1336AH)**

By
Majdi Wassef Mohammad Qabaha

Supervised by
Dr. Mohammad ALKhatib

**This Thesis is Submitted in Partial Fulfillment of the
Requirements for the Degree of Master of History, Faculty of
Graduate Studies, An-Najah National University, Nablus,
Palestine.**

2020

**The Economic and Social Life of the German Community in the
Jerusalem District (1867_1918AD /1284_1336AH)**

By

Majdi Wassef Mohammad Qabaha

Supervised by

Dr. Mohammad ALKhatib

Abstract

This study sheds light on the economic and social life of the German community in the Jerusalem District in the period between (1284 - 1336 AH / 1867-1918 AD), and most of its historical material was extracted from its original sources such as the records of the Ottoman Islamic Sharia court, and German documents, which date back to the study period, in addition to relying on some Arab and foreign references that are directly related to the topic.

The study presented the temporal and spatial framework for the Jerusalem District, and the historical development of the stability of the German community in the region starting from the first half of the nineteenth century AD, as the opening of the German Consulate in Jerusalem constituted a fundamental shift in German-Ottoman relations in Palestine, so that German institutions in Palestine will have the official capacity. Therefore, the consulate was an important patron and support for the Germans.

With the issuance of the Ottoman Empire's Law on Acquisition of Aliens in (1284 AH / 1867AD), foreigners, including the German community, were legally permitted to own property in the Jerusalem

District under the umbrella and protection of Germany. Their ownership was concentrated in Jerusalem, Jaffa, and Bethlehem, and the study highlighted the importance of visiting the German Emperor with his wife Augusta Victoria, Jerusalem, as a coronation of this relationship. This visit was accompanied by the inauguration of a number of real estate, such as churches, hospitals and buildings that worked to establish German influence in Palestine in general and Jerusalem in particular. The study also examined the importance of the role of the German Templers in the process of settlement and settlement building, so the centers of settlement and their most important products, and the way of life of the colonists within them, were clarified.

The study also reflected on the size of the German community, its religious denominations, and its real estate properties, including lands, hospitals, factories, banks, schools, etc., as well as their educational contributions, and their accomplishments in the health sector. The study concluded with examining the nature of the German community's relationship with the surrounding community.